

منتخبات

﴿ الطيب الذكر المرحوم ﴾

الشيخ نجيب الحداد

﴿ اعتنى بجمعها حضرة الاديب حنا افندي نقاش ﴾

بالتزام احمد رفاعي

«طبعة ثانية»
سنة ١٩٠٦

مطبعة جرجي غرزوزي ـ بالاسكندرية

منتخبات

﴿ الطيب الذكر المرحوم ﴾

الشيخ نجيب الحداد

جمعها حضرة الاديب حنا افندى نقاش

« طبعة ثانية »

سنة ١٩٠٦

بمطبعة ـ جرجي غرزوزي ـ بالاسكندريه
وتطلب منها

اهداء الكتاب

الى جناب الوجيه الخواجه يوسف سليمان الافخم

يهدى اليكَ كتاب فيه قد جمعت محاسن النثر والاشعار والحكمِ
قد كان صاحبه بالفضل منفرداً كما تفرَّدتَ بالافضال والكرمِ
لو كان حياً لاهداه اليك ولا بدعٌ اذا الفضل اهدي افضل الكلم
فاقبله مني عنه واقبل معه مني دعاءَ فؤادي مع ثناءِ فمي

صديقكم المخلص

حنا نقاش



حضرة الوجيه الخواجه يوسف سليمان الافخم

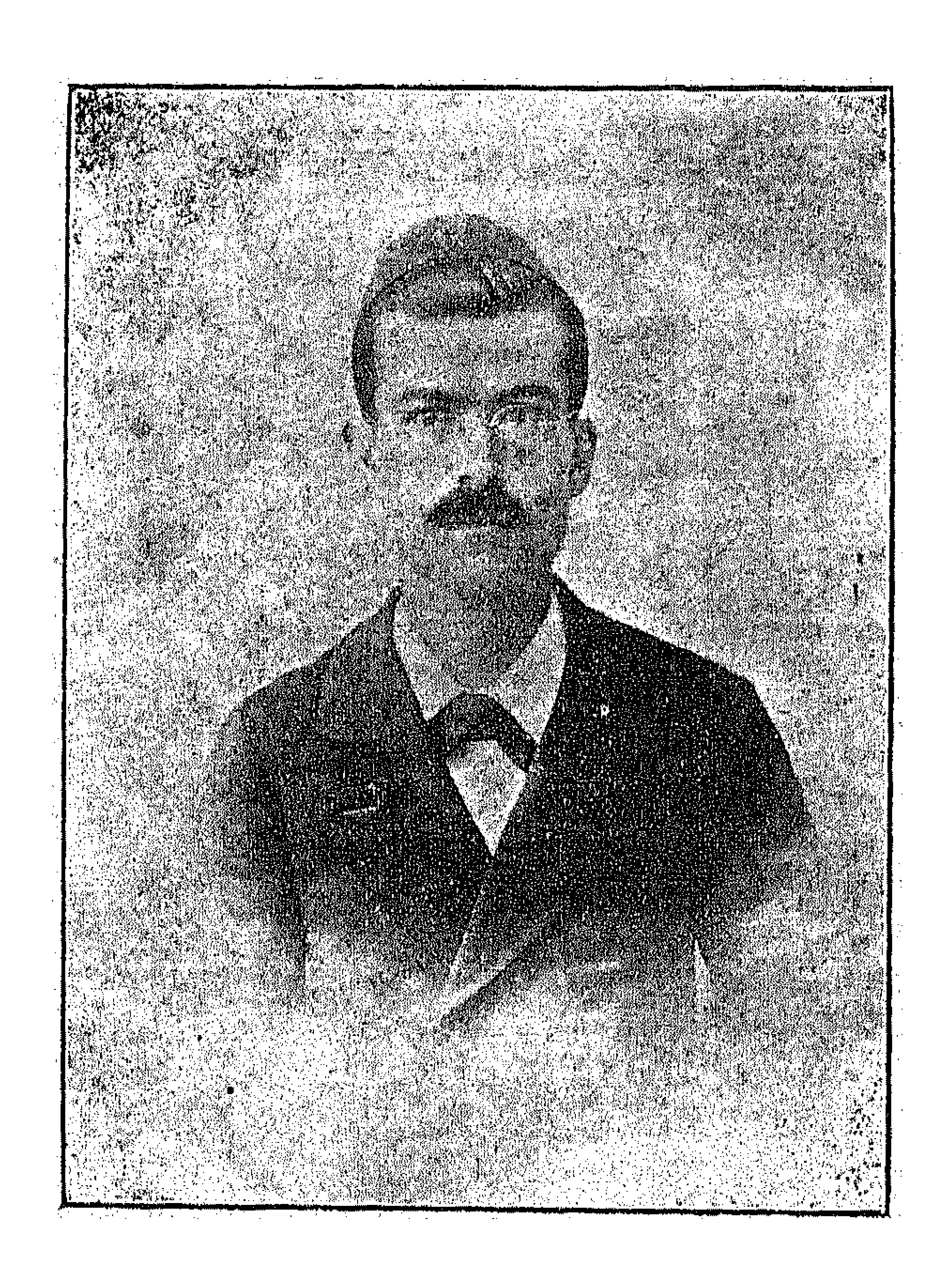
مقدمة

هذه منتخبات الطيب الذكر فقيد الادب الشاعر الناثر الكاتب الاديب الشيخ نجيب الحداد نبسطها في ثنايا هذا الكتاب بين يدي القرآء والمتأدبين فهي انيس الوحيد وسمير الجليس وعون الكاتب ونبراس المهتدي وحجة الهادي ورائد المنشي ومرجع المتأدب لما تضمنته من بلاغة الانشآء وسلاسة العبارة ومتانة التركيب وسلامة الذوق وحسن الاسلوب ومطالب الامة التي افنى الفقيد زهرة حياته في خدمتها بين التحرير على صفحات الجرائد وتأليف الروايات وانشاء الفصول ونظم القصائد الرنانة مما لا يزال صداه يرن في الاذان تردده الالسنة وتتمثل به اقلام الكتاب وقد جمعنا كل ذلك من متفرق اعداد الصحف وشذور الاوراق ولا نقول انا جمعناه حفظاً لذكر الفقيد فان ذكره ملء المسامع والافواه وشهرته طائرة وفضله مذكور ما بقي ناطق بالضاد · وانما جمعناه ليكون للمتأدبين ذخيرة وللمؤلفين بهذه اللغة الشريفة خير ما يطالعونه في وقت فراغهم وعسى ان نكون بعد ذلك قد خدمناهم ويكون عملنا هذا داعياً لاستدرار غيث الرحمة على هذا الفقيد النجيب الذي حق على كل واحد منا ان ينشده

انت احسنت في الحياة الينا   احسن الله في الممات اليك

أنجيبُ انك ان قضيت فما انقضى لك بيننـا عهد ولا ميثاقُ
يبقى مثالك مثل ذكرك دائماً يلهو بذا سمع وذا احداقُ
يتذكرونَ به صباك واملاً رنت لصوت يراعها الآفاقُ
وقصائداً لك ينثني عنها البلى مهما بليتَ ويرجع الاخلاقُ
قد كنت في دنياك روضاً مثمراً لذَّت به الابصار والاذواقُ
فذوى وليس لنـا بديلٌ يرتجى منه وخاب بشوقه المشتاقُ
اما مثـالك فهو ظلٌّ دائمٌ رسمته منها هذه الاوراقُ

شقيق الفقيد
امين الحداد



المرحوم الشيخ نجيب الحداد

الفقير والغني

قلْ للغني المترف السارح في مراتع نعمائه . الساحب ذيل خيلائهِ على بني الانسان ونظرائه . المتقلب في اعطاف النعمة والهناء لا يحس بما في الدهر من شقائهِ . الراكب الخيل الجياد تجري به عَنَقاً . السابح في بحار الغنى والترف يكاد يشكو فيها غرقاً . النائم على حشايا الحرير والدمقس الناعم . المتنعم بما لديه من ملذات الحياة بين المشارب والمطاعم . قف هذا النظر الذاهب في السماء قليلاً . ومل بتلك النعمة التي تجر من فضول اثوابها ذيولاً . على فقير يسأل منك رحمة و يسترحم منك سولاً . ولا تمشِ في الارض مرَحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً . وانظر الى حال التعيس القاعد به العدم في مرابع شقائه . الساحب الدهر عليه ذيل فقره وعفائه . المتقلب في اعطاف المحن والبؤس لا يعلم بما يشعر به الغني من هنائه . الراكب رجليه يقوده زمام الحاجة خبباً . الغارق في تيار العوَز لا يكاد يرجو الى خلاصه سبباً . النائم على بساط الارض يلتحف مشقةً وتعباً . الضعيف عن طلب رزقه بمساعيه والعاجز عن ان يقول واحرَبا . ثم انظر الى من حوله من صبيةٍ صغار يتضاغون جوعاً . ونساء قاصرات ينمهن الحياء ذلاً و يمنعهن الذل هجوعاً . وما بين ذلك من اصلٍ كريم تقضي عليه الحاجة تقدماً وينازعه الخجل رجوعاً . فليس الفقير من يسال على قارعة الطريق

ولا من يتعارج رغبةً في الفرَج من الضيق · ولا من يبسط كفه للمسئلة فينال الحاجة من كف الشقيق · بل الفقير من تقدم لنا وصف حاله يجهله الغني الغريب ويقصر عن اسعافه المعوز الصديق

فما ضرَّ الاغنياء الذين ينفقون اموالهم على سبل لا تذكر · وفي مذاهب لا تشكر · وفي امور يحتاجون من بعدها الى الاسعاف · واما كن يعيشون فيها رغد ايام ثم يتمنون على آثارها الكفاف · لو صرفوا بعض ذلك المال في تأليف جمعيات خيرية ينفقون عليها فضلة المال · ووقفوا بعض حنين قلوبهم الى غير ما تحن اليه من صبابة المحاسن والجمال · وكفوا تلك الأُسر النازل بها الدهر شر سؤالها واراحوا انفسهم من ثقل السؤال

بل ما ضرَّ الغني الذي يتكبر على الفقير · والموسر الذي يحتقر العامل والاجير · لو علم ان المذلة لا تكون في لبس الكتان والعظمة لا تأتي من وراء الحرير · وان الفقير اشد لزوماً منه في مجتمع الانسان · وان العامل المتوسط هو المخترع النافع للبلاد والجندي المدافع عن الاوطان · وانه لم ينبغ من علماء الارض وفلاسفتها الا من كان متوسط الحالة او صفر البنان وكفى بانبياء الله واوليائه حجةً واضحة البرهان

ثم ما ضرَّ بعض الاغنياء الذين يجمعون المال اكداساً فوق اكداس · ويخزن الواحد منهم دنانيره حتى تصير اكياساً على اكياس · فلا انفقها على نفسه فاستفاد منها ولا احسن بها على احد فافاد الناس · لو اجرى بعضها في سبيل الاعمال · واباحها موارد اشغال له وللعاملين وباباً للمكاسب والرزق الحلال · وشارك امثاله في نعمة الله عليه فاكسبهم ولم يخسر وكان له

الفضل في كل حال

أَو لم يرَ الاغنياء عندنا ما صارت اليه حالة اوربا في هذه الايام وما نراه في اغنيائها وفقرائها عبرة لنا وذكرى بين فوضوية تثور • واشتراكية تدور • ونسف منازل كان الفقر من ناسفيها • واهلاك نفوس ذهبت شهيدة ظلم الاغنياء ويأس قاتليها • فان الفقر قد سرى في الدنيا حتى بلغ بها الى الدنايا • واليأس قد خامر قلوب رجالها حتى اصبحوا لا يهابون المنايا • فما نجد من مصيبة ولا خطب الاَّ كان داعيها الفقر والفقر رأس البلايا • فليتق الله من يمسك امواله في سبيل العامل الذليل • ولتكن في قلوب بعض الناس رحمة للمساكين واليتامى وابن السبيل • فانا نخاف ان تزيد اعمالهم فتجر الينا بلاء سوانا • وان تبرق في شرقنا صاعقة قنوط جديد وما عندنا قد كفانا • فان فضلة الغني لا تضره وتنفع الفقير نفعاً جللاً • ورحم الله عبداً علم فعمل والله لا يضيع اجر من احسن عملاً

الخادم والمخدوم

متى ترى الرجل مطرقاً مهموماً يفكر في مستقبل ايامه • وحزيناً كئيباً يحسب لغده قبل عامه • ويحرص على صحته كما يحرص على راسماله • اذ لا مال له سواها وهو مع ذلك ينفقها عرقاً يسيل من ثنايا الجبين العابس ونوراً ينبعث من حدقة تلك العين الكليلة وفكراً تقسم بين عمله المندوب اليه

بدافع المعيشة والاحتياج و بين عيلته المدفوع اليها بداعي الحنو والتسخير فقل هذا هو الخادم رب البيت والاولاد يعمل لطعام اليوم من شغل اليوم و يسأل السلامة للغد ليعمل في الغد ولا امل له من هذه الحياة الدنيا سوى مخدوم اوى اليه وعافية يستعين بها عليه وصبية صغار يرجو ان يقوى على قوتهم وسد حاجتهم قبل ان يرجو لهم بلوغ الشباب و يؤمل منهم النفع والاسعاف

ومتى رأيت الرجل يمشي في الارض مرحاً ويختال في مشيته فرحاً و يرفع ابصاره الى الملاء كبراً قبل ان يرفعها لله شكراً و يدخل الى حانوته آمراً ناهياً يسخط على خادم لا يرضيه او يتظاهر بالغضب عليه لكي لا يطمع فيه او يدعي القلة والخسران لكي لا يزيد في راتبه ما يكفيه فقل هذا هو المخدوم ـ او البعض من امثاله ـ يحاسب على الدرهم و يخزن في الكيس و يعد موءونة الدهر و يجمع لاخر الابد وقد انساه الغنى ان في الارض موتاً دائراً وقضاء محتوماً وان وراءه خادماً عاملاً لا امل له بعد الله الا به ولا معوّل الا عليه ولا رجاء الا عنده ولا طمع بمستقبل العمر والاستعانة على شدائد الدهر الا فيه وفي مكارم اخلاقه وقد لا يكون من اصحاب تلك الاخلاق كما يكون خادمه من اصحاب تلك الامال

نقول ذلك ولا نقصد به كل مخدوم على الاطلاق فان منهم الكريم تفيض نعمة الله عليه فيفيضها على من حواليه وتنبسط يد الخير لاسعافه فيسعف بها من يعيشون في اكنافه وصاحب الشفقة لا ينام و يترك خادمه ساهراً ولا يقر له فكر ما دام فكر خادمه حائراً ولا يشعر انه وفى حق

مولاه من الشكر الا اذا وفى خادمه ماله من الحق والاجر واولئك قوم يحق لهم فرض الثناء ولهم نصيبهم في الحياة الدنيا ولا يعدمون اجرهم في السماء ولكنا نريد بعض المخدومين الذين يحسبون الخادم عبداً و يجدون العامل رقيق الحاشية فيظنونه رقيقاً ثم يذهب بهم الوهم الى انه متاع ساقط في ايديهم وشيء صار الى ملكهم وآلة تهان في سبيل كرامتهم وتعمل من اجل راحتهم وتذل درجات لارتقاء معزتهم وهلمَّ جرًّا مما يضيق دونه القرطاس وتلتهب من حدة ذكره الصدور والانفاس . واغرب ما فيهم انهم لا يعرفون حق العامل ولا يقدرون قيمة العمل ولا يقرون بواجب الاستحقاق ولا يعتبرون ان ذلك الخادم يستحق بعض ما يستحقون وان اعمالهم قائمة به عدا انه يتعب وانهم يستريحون بل تجد البعض منهم ياتيهم الطالب المحتاج للخدمة المضطر الى الكفاف وهو ذو العلم الوافر والادب الباهر والاصل الطيب والنفس العزيزةوانما الدهر دول تدول والايام احوال تحول فيتركون علمه في سبيل مسكنته و يغتفرون حاجتهم اليه في جنب حاجته اليهم ولا يزالون به حتى يرضى بالقليل في سبيل ما يطمعون . وحتى يقتنع من الاجرة بالدون وما هو ممن يستحقون الدون عدا عن تهديدهم اياه كل يوم بالعزل وعن انهم ياخذون فضله منه ثم يقولون ان لهم عليه الفضل . وعن انهم يهينون نفسه ولا حق لهم الا على اعماله . و يذلونها بقوارص الكلام ولا ينبغي ان يرد عليهم كانهم ليسوا بشراً من امثاله

مهلاً بني الانسانية فان للانسان على الانسان حرمة . ورفقاً يا سادة الخدم فان الخدمة في شرع الكرام ذمة . واذا كنتم اولياء نعمة وفضل فاذكروا

ان فوقكم ولي فضل ونعمة · وان كنتم تجدون ما انتم جزاء خدمتكم لله فاعلموا ان للعاملين عندكم خدمة فانظروا الى خادمكم نظرة احسان ان لم تكن نظرة لما يستحق · واعرفوا انه ياخذ منكم اجرة عمل مثلاً بمثل وانه لم يكن عندكم عبد رق · ولا تغتنموا حاجته اليكم فرصة لاذلاله والجور عليه · ولا تبخسوه حقه وانتم تبصرون لانه محتاج اليكم وانتم غير محتاجين اليه · فان خير الناس من انعم عليه ربه فانعم على خدمه وخير الشاكرين عند الله من شكره باحسان يديه قبل ان يشكره بنطق فمه · والا اغنى الله عنكم اولئك الخادمين والعمال وانصرفوا من لدنكم كارهين وهم ينشدونكم بلسان الحال

سيغنيني الذي اغناك قبلي فلا فقري يدوم ولا غناكا

الانكليز

لا تقف في سبيلهم عقبة وهم عقبة في كل سبيل

لا نقصد بهذا العنوان سوى تقرير حقائق راهنة وسرد تواريخ ثابتة نبين من ورائها اعمال هذه الدولة واحوالها وما تنوي من المقاصد والغايات وما مرّ لها من السوابق والاعمال ليكون الماضي تبصرة للمستقبل والسابق غنى للحاضر عن مزيد التامل والاستبصار متبعين في كل ذلك جادة الصدق والصواب لا نميل مع غاية ولا نرمي الى غرض ولا نتعمد مدحاً ولا نقصد الى مذمة ولا بغية لنا الا فائدة الذكرى ومنفعة العبرة والتبصرة لمن كان له

قلب او القى السمع وهو شهيد

قلنا ان الانكليز لا تقف في سبيلهم عقبة ونحن نبين ذلك بالحجة الثابتة والحوادث المقررة الماضية فنقول ان رجال الانكليز احتلوا الهند من سنين فلم تقف في سبيلهم عقبة لانهم لا يزالون فيها ثم احتلوا جوانب افريقيا فلم يعترضهم احد لان دولة استعمارهم لا تزال تمتد في اطرافها ثم نزلوا بعض جهات اسيا وامركا ووسعوا نطاق استعمارهم واخذوا من هناك من الشعوب في غمار دولتهم وسطوة ملكهم ولم يحل دون تقدمهم مانع ولا منع من نفوذهم حائل ثم احتلوا جبل طارق ولا يزال في قبضة ايديهم الى الان ثم اخذوا قبرص ومالطة وهم لم يبرحوا فيهما ولن يبرحوا حتى ياتي الله بامر من عنده. واخيرًا نزلوا مصر فاتحين او مصلحين كما يقولون والعبرة بالاحتلال لا بالاقوال ولم تقف في سبيلهم عقبة سوى ما يسمعونه من اعتراض الدول وترددهالجرائد من معارضات فرنسا حينًا واحتجاج الباب العالي احيانًا واقوال بعض الخطباء اونة مما درجت عليه السنون ومرت دونه الاحقاب وهو لا يزال في حيث كان بل لا يزال كما كان وبقي الانكليز يحتلون البلاد و يمدون كل يوم في ادارتها يدًا و يختلقون من انواع اصلاحها كل حين فنونًا ولم تقف في سبيلهم عقبة ولم يزل حاضر امرهم مثل ماضيه واقفين فيه عند نهاية العمل والناس من حولهم عند حد الكلام والاوهام الى ان يخطر للدنيا خاطر جديد او تطرأ على الاحتلال طوارئ فتعيد اوله الى اخره وترد عجزه على صدره وترجع ما بعده الى ما قبله وعسى ان يكون ذلك اليوم قريبًا فتنال مصر ما تتمناه والامر يومئذ لله

اذن فالانكليز قوم لا نقف في سبيلهم عقبة قول ايدناه بالبرهان واثبتناه بالحجة وصدقنا عليه بروايات التاريخ ومقررات الاحوال والاعمال وقد بقي ان نثبت قولنا عنهم انهم عقبة في كل سبيل لتتم العبارة على جملتها ويصدق القول على وجهه ولا دليل الا ما نرويه من صادق الاخبار وجلي الاثار مما هو في علم الجميع تردده الصحائف وتتلوه السنة المحدثين وسطور الاسفار فنقول

نازل نابوليون الاول مصر ونزلها في بدء هذا القرن فاخرجه الانكليز منها وكانوا عقبة في سبيله ثم حارب سوريا وافتتح اكثر مدائنها فاخرجوه ايضاً وجلوه عن تلك الربوع وكانوا عقبة في سبيله ثم قاتل اوربا ونازل دولها واخذ اكثرها ثم تركها جميعاً وكان الانكليز في كل ذلك عقبة في سبيله الى ان اخذوه اخيراً وكانوا السبب في وفاته منفياً وحيداً في جزيرة حقيرة في اخر الدنيا بعد ان كانت الارض تضيق بجيشه وكان ينزل منها في المقام الاول والمكان الرفيع

واذ قد عرفنا ذلك وعلمنا ان هذه الدولة قادرة الرجال شديدة البأس نافذة القول مطاعة الحكم ثابتة العناد في كل ما تريد فقد وجب علينا ابناء العرب من سكان هذا القطر اذا كنا نريد منها الجلاء عنا وترك ربوعنا لنا وان لا نقف عقبة في سبيل حريتنا واستقلالنا ان نحاربها بالسلاح الذي حاربت به الدنيا وملكت به اطراف المعمور وهو تمدن الاخلاق وانتفاء التعصب بين ديني وجنسي واتحاد الجميع على الخير والاصلاح والاخذ باسباب العلم والرقي في مدارج الحكمة والعدل حتى نكون امة يحق ان يقال

لها الامة العربية وحتى لا ندع لغيرنا سبيلاً يقول لنا فيه انتم جماعة متفرقون تبعد بينكم المذاهب الدينية والجنسية وحتى يمكن ان يشار الينا فيقال هذه الامة العربية كما يقال الدولة الانكليزية ولا يتوهمن قوم ان ذلك بعيد الحصول فهذه اميركا لم يحررها الا تمدنها والفة شعوبها ومثلها كندا واوستراليا اللتان لا يبعد ان تتحررا مثلها بسبب العلم والمدنية و بلاد القوم ليست اخصب من بلادنا ولا اسمى مركزاً واعقل شعباً وانما هي القلوب اذا اتحدت بلغت من كل شأو ما تريد · وايدي الجماعة اذا اجتمعت ادنت كل ارب بعيد · وما ينال من الدنيا امل الا بعدل وما ربك بظلاّم للعبيد

ارضاء الناس

عبارة لو وضعت في كتب اللغة لكانت اخت المستحيل في المعنى ومرادف النجم في البعد وشبه الكبريت الاحمر في الندورة والقلة وان شئت فقل ارضاء الناس كلمة تقال ولا تخال · حتى يصاغ من الخاتم خلخال ومن لا يقدر ان يرضي الواحد الفرد في جميع اخلاقه فكيف يقدر ان يرضي الجميع والناس في اختلاف عقول كما هم في اختلاف وجوه وفي تباين مشارب · كما هم في تباين مآرب · وفي تناقض عادات · كما هم في تناقض صفات · الى آخر ما يتبع هذا المعنى ويجري مع هذه الكلمات · وسبحان من جعل لكل نفس اميالاً · وقدر لكل انسان احوالاً

واحق الجميع بالشكوى من هذا التباين الجرائد واولى الناس بالمعذرة من ارضاء الناس اربابها وكتابها لانها الصحف الدائرة على ابصار كل قارىء والاقوال المنقولة الى كل مكان والكلام المتلو في كل مجلس والواقع في كل اذن وناهيك ما بهذا المجموع من اختلاف المشارب وتباين الغايات والافكار مما يضل في تيهه كل دليل وتقف دون ادراكه هاديات البصائر والابصار

ولقد وضح ان قراء الجرائد في كل بلاد عامة وفي هذه البلاد خاصة اصناف مصنفة والوف مولفة كل له مارب يميل اليه ونوع من الكتابة يلهو به وصنف من الحديث يرتاح الى سماعه . فابن مصر يحب ان يطالع في الجريدة ما كان من اخبار العاصمة وانبائها وابن الاسكندرية ما كان من حوادثها ومحلياتها . وابن القرى ما تعلق منها بقريته من احوال ريها وزراعتها . والجميع ما كان منها عن احوال القطر وسياسة البلاد والدول فيه . وابن سورية يحب مثل ذلك عن بلاده وان يرى في الجريدة التي يقرأها كلاماً يتعلق بها ويروي له اخبارها واحوال حكومتها وحكامها وما هم بالقليل بعد المصريين في عدد القراء . ومن بين كل هذا المجموع على اختلاف امياله وارائه تجد التاجر الذي يرغب في التجارة ويصبو الى الوقوف على اثمانها . والزارع الذي يريد عرفان حال الارض وما تقلب عليها من العوارض . والسياسي الذي تهمه الاخبار السياسية والحوادث البرقية . والاديب الذي يسعى الى نكتة ادبية يقرأها وملحة عصرية يتفكه بها او رواية فكاهية يطالع غرائبها وسير رجالها . ومثله يميل الى النوادر والمضحكات وهلم جرًّا من اصناف القراء وانواع المطالعين الذين يعز

ارضاؤهم على الف جريدة فكيف على جريدة واحدة

ولذلك فقد وجدنا الجرائد تبذل جهدها وتفرغ قرائح كتابها تذرعاً الى بلوغ بعض الرضى من هذا الكل اذ لا مطمع لها في جميعه فتنشر يوماً عن احوال مصر ارضاء للمصريين ويوماً عن احوال سورية ارضاء للسوريين وتارة تميل الى الفكاهة والادب رغبة في رضى المتأدبين. وطوراً تدرج ما يخطر لها من عبارات اللهو ونوادر الحديث ترغيباً لاصحابها من المطالعين وقس على ذلك من مختلف الكتابة ومتفرق المواضيع ارضاء للبعض بعد البعض في الحين بعد الحين . لانه يستحيل على الجريدة الواحدة ان ترضي من يطالعها من القراء اجمعين

ومن في الناس يرضي كل نفس وبين هوى النفوس مدًى بعيدُ

تلك افكار نبسطها لكل قاري بل اعذار نلقيها على مكارم كل مطالع اديب حتى اذا رأى احدهم في الجريدة شيئاً لا يرضيه يغتفر لاصحابها انهم كتبوه الى غيره ممن يعجبه ويرضى به ثم ينصرف عنه الى سواه مما يحبه ويميل اليه ويعلم ان الجريدة كلها لا يمكن ان تكون في مجرى واحد لارضاء خاطر واحد وان السياسة التي فيها مثلاً اذا لم تحسن في اعين جماعة حسنت في اعين سواهم . ورسائل القرى والارياف اذا استنكرها ابن المدينة مال اليها ابن مكانها وبلادها وان الجريدة لا تقدر ان تحاول المستحيل من ارضاء الناس الا بهذا السبيل . وان اصحابها اذا لم يبلغوا هذه الامنية كلها فقد بلغت اعذارهم فيها والله حسبنا ونعم الوكيل

الرقيق

تجارة اولى بان تُسمى بربرية نسبة الى العاملين بها من النخاسين بانهم برابرة الطباع لا نسبة الى المظلومين فيها وان كانوا برابرة الاجناس اذ ليس في الدنيا اظلم ممن يسترق امثاله ويستعبد بشراً خلقه الله واياه واحداً في الصورة والتركيب وتفاهم اللغة وجامعة الانسانية ولا عبرة باللون اذا قضت بسواده بعض الاحوال · ولا ميزة للبياض في تفاوت النفوس وشعائر القلوب فالكل في ذلك سواء وان تخالفت الاشكال

وليس قصدنا من هذه اللمعة ننشرها على اثر حادثة الرقيق اليوم(١) الا ان نبين للبعض من القراء ما يقاسيه العبيد الارقاء من شدة الظلم وعنف المعاملة وقسوة النخاسة وشراسة النخاسين والا فلو اقتصرت مظالم الرقيق على مشتريه من كبار الناس واغنيائهم لعدت رحمة ولم يكن لها نسبة في باب الجور · ولكن الذي يثير النفس غيظاً والحمية الانسانية أنفة واستكباراً ويحرك قلب العدالة شفقةً وحناناً انما هو جلب هذا الرقيق من بلاده ونزعه عن صدر ام تحنو عليه واب يكدح له وقبيلةٍ تؤَمل منه الخير وترجو من شبابه النصرة والاسعاف وسوقه سوق الغنم بل اشد قسوة واذاقته في الطريق من انواع العذاب وصنوف القساوة ما تبكي له عين العدالة حزناً على ظلم بعض العباد للعباد

---

(١) اشارة الى حادثة استرقاق جرت في القطر

واول من سعى في منع هذه التجارة البربرية الدولة الفرنسوية في اواخر القرن السابق غيرة على الحرية التي كانت تحمل اول نبراس ظهر من انوارها في ذلك العهد واول من خطب بين رجالها في هذا الشان الرجل العظيم ميرابو فريدة عقد المنبر ومجرى تيار الفصاحة والابداع وذلك لانه كان قد ظهر من احصاء انكلترا لتجارة الرقيق في تلك المدة انها كانت تجلب كل سنة من عبيد امركا وافريقيا على مراكبها التجارية نحو المئة الف عبد اسود يموت في المئة منهم عشرون نفساً في الطريق اي عشرون الف نفس في العام تذهب شاكية الى باريها من جور بعض الالوان على الالوان . ومن قسوة الانسان على بني الانسان

واذا شاء القارىء ان يعرف مقدار ذلك الجور ومبلغ تلك الاساءة فليتصور مئات والوفاً من العبيد يخطفون من مرابع ابائهم ومساقط روءوسهم فيوءخذ الابن من ابيه وتفرق البنة عن امها وينزع الاخ من جنب اخيه والصديق عن انس صديقه ثم يساقون جميعاً كما تساق الابل في عرض تلك الصحارى القاحلة والرمال المحرقة والهاجرة الشديدة والشقة البعيدة لا يسترهم لباس ولا تقيهم مظلة ولا تعطف عليهم رحمة ولا يرد الذل عنهم شفيع ولا يبلغ انين مسكينهم الى قلب شفيق الا رجالا خلقت قلوبها من حديد تضرب في اقفائهم كأنها تضرب على اوتاد لا على اجساد . وتدوس الساقط منهم بارجلها كما تدوس على الجماد . حتى تجوز تلك المجاهل القاحلة وقد تركت خلفها من اجساد قتلاها تلولاً بل

تركت من سوء اعمالها آثاراً عظاماً ومن قسوة قلوبها على صفحات هاتيك الرمال دليلاً

فاذا بلغ العبيد او من سلم منهم شاطىء البحر انزلهم اصحاب تلك البضاعة المزجاة مقيدين زنداً الى زند فزجوهم في غرف من مراكبهم ضيقة المجال دانية السقوف قذرة المكان مسدودة النوافذ او لا نوافذ فيها حتى يتكردسوا بها جماعات اجساماً بعضها فوق بعض لا يستطيع الجالس منهم وقوفا ولا الواقف جلوساً ولا المائل اعتدالا ولا المتضايق مجالا ثم تسير بهم تلك السفائن في موج كالجبال يلعب بالسفينة من كل جانب فتلعب هي بمن فيها من اولئك المظلومين الابرياء حتى يلتطم الجسم على الجسم . ويندق العظم بالعظم . ويرنّ القيد على مثله رنة الانين والشكوى من ذلك الظلم . وحتى تصطبغ تلك الحجرات بدم الجرحى كأنها غرف الشرف لا تسلم الا اذا اريق على جوانبها الدم . ويصبح العبد مقيداً بسلسلة حي مثله يتعذب الى جنبه . او جريح برحت به جراحه وهو لا يستطيع الخلاص من كربه . او ميت لم يعد في القيد غير جثته وقد اعتقت نفسه هاربة الى رحمة ربه . هنالك يرى الناظر من انواع العذاب ما تقشعر له الجلود . ويسمع من انين النازعين تحت اثقال السلاسل ما يلين له الجلمود وهنالك لا تبصر العين الا عبيداً تحت حديد . او حديداً على عبيد . ولا يطرق الاذن الا زفير بكاء وشهيق يستغيث بمن له قلب او القى السمع وهو شهيد

هذا طرف مما يقاسيه الرقيق ولمعة من بيان عذابه وبلائه . وهذا الذي دعا الدول المتمدنة الى السعي في ابطاله وبذل الهمة في الغائه فكيف لا يحن

القلب الرقيق · لسماع مثل هذه الاخبار عن الرقيق · وكيف لا تضيق انفاس العادلين اذ تتلى عليهم ايات هذا العذاب والضيق · بل كيف لا نمدح عصرًا قامت رجال تمدنه تمنع هذا البلاء · او لا نحمد مساعي حكومات رفعت مظالم الناس عن الناس حتى صاروا لدى عدلها سواء · والامل وطيد بانه لا يمضي قليل على هذه التجارة حتى تزول آثارها · وان تكون مصر في جملة الساعيات بمنعها كما اظهر آخرًا كبارها · وحتى تبتسم البلاد في عهد عباسها كما ارتفع في سماء الحرية والعدل منارها · فانه ليس في الدنيا مرحمة احسن من تخفيف العذاب · ولا في منافع الحرية فضل تحمله رقاب الناس افضل من تحرير الرقاب

اعتلال القيصر

اذا بالغ المتنبي في مديحه لامير حلب ابن حمدان فقال عند ذكر اعتلاله « اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الارض » فقد جاءنا يوم نروي فيه قول هذا الشاعر بلا مبالغة ولا اغراق عند ذكر القيصر العظيم ووصف ما اصاب الناس اجمع من مرضه واعتلاله · وحقًا لقد شغل هذا الملك الجليل بعلته اطراف البلاد · واحزن كل فؤاد وردت عليه انباء مرضه كأنه مقتطع من كل فؤاد · فاضطربت باخباره اسلاك البرق كأنها ترجف من هوله ذعرًا · ودعت له كل شفة وجنان بالشفاء كأنها تطالب بالدعاء

له اجراً · ورنت صدور المعابد بالصلاة تسأل الله قرب شفائه · واستوى في امره العدو والصديق فلا تسمع الا سائلاً عن حاله وداعياً بطول بقائه · ولا غرو فهو الملك الوالد يغار على ابنائه كرعيته و يغار على رعيته كابنائه · وحريٌّ بمن احب سلامة الناس ان تحب الناس له السلامة وان يكون الدعاء خير جزائه .

اعتل هذا القيصر فتواردت انباء البرق يزحم بعضها بعضاً بين واصفة احوال مرضه وخائفة من عقبى اعتلاله وذاكرة ما الم باوربا كلها من القلق والخوف على حياته وكان اشد الناس تأثراً من امره · افراد اسرته والمطيفين به من رجاله وحاشية قصره · فقد وصلتنا الرسائل البرقية الاخيرة بما زاد القلوب حزناً عليه واسفاً من هذه المصيبة فيه اذ قد اشتد مرض ابنه حتى صار الى حالة النزع واليأس كأنه يكافىء اباه على اشتغاله به واعتلاله من اجله ومرضت القيصرة حزناً عليه واشتد عليها الداء كما انبأتنا اخبار اليوم واجهضت ابنته لعظم ما اصابها من الغم والاسف على ما صارت اليه حالة ذلك الوالد الجليل وعمّ المصاب رجال الاسرة المالكة كأنه يتطرق اليهم على مرض كبيرهم من كل سبيل حتى حسب الناس ان القيصر رأس هذه الاسرة حسياً لا معنوياً فقط وانهم اعضاء له بالفعل لا بالقول بدليل ما اصابهم من الامراض في اثر اعتلاله كأنهم اعضاؤه تجري فيها دماء جسمه لا دماء القرابة · وكأنهم لصقوا بذلك الرأس كما يتصل العضو بالعضو فصاروا يألمون لكل ألم فيه ويصيبهم كل ما اصابه · وهو نهاية الغرابة في وصلة المودة والقلوب ولكنه لا يعد مع مثل القيصر في شيء من الغرابة

ذلك وصف البعض من داء هذا الملك العظيم وما اصاب قلوب الناس من هول مرضه وسقامه ولم تكن الدول في سياستها ورجال الاعمال في اموالها باقل تأثرًا من تلك القلوب ولا ادنى افعالاً من هاتيك النفوس فقد نقلت الينا اخبار البرق وجرائد البريد ان القلق اصبح عاماً بين الممالك وان الخوف قد شمل رجال السياسة والاحكام فصاروا يحسبون لوقع المصاب كل حساب ويذهبون في شؤون السياسة كل مذهب بين قائل ان سياسة الروسية لا تتغير وان ما جرى عليه الوالد سيجري عليه الولد اذا نفذ في ذلك الراس حكم المقدور لا سمح الله وقائل ان الامر على عكس ذلك وان لكل ملك سياسة ولكل دولة رجالاً وهو مذهب بعيد لا نظنه يخال ولكنه يقال · واضطربت رجال الاموال في متاجرها فاهتزت المصارف وتقلبت الاوراق المالية وقلقت الندوات التجارية وذهبت الاثمان في قراطيسها ومبيعاتها من كل مكان واصبحت اوربا وكل قطر متمدن في شغل شاغل من امر هذا الداء الذي اصاب كل بلاد في فؤادها وغدت الروسية من بينها في همّ دائم كأن اعتلال قيصرها قد رمى كل فؤاد في بلادها وليس ذلك بكثير على ملك ضبط سلام اوربا في يديه · ووقف بين ملوكها حكمًا فما يرجع لدولها امر الا اليه · وخالف سنة ابائه من قبل فلم يثر على دولتنا ولا غيرها حرباً ومنع عن اوربا مصائب حرب كانت تعد على التمدن باسره خطباً · وتقرب الى ملوك الدنيا بحسن صفاته فما تجد الا راضياً · واحبته شعوب الارض قاطبة فما تلقى في سقامه الا داعياً · فنحن نشارك الداعين له بالسلامة

من كل مكان · فقد اشترك بالدعاء له منهم كل لسان · حتى صار يحق ان يشاركهم فيه هذا اللسان

اضرار المشد (البوستو)

من يرى القامة الحسناء مائلة يحسبها غصن بانه · ويبصر الجسم اللطيف يجرحه النسيم ويدمي لمس الحرير بنانه · ويختال لديه القد الرشيق تكاد تجرح عطفيه الثياب · ويخطر امامه القوام المترف تكاد توءثر في اعطافه ثنايا الجلباب · ولا يأسف على ذلك الخصر النحيل تضغطه عوامل الصنعة ومزاعم التحسين · وذلك الجسم الناعم تشده ايدي القسوة فتضيع ما فيه من اللطافة واللين · وهو يعلم ان ربته توءثر فيها كف اللامس العاشق · كما توءثر في وجناتها لحظات المغرم الوامق · بل اية عين ترى الحسناء تشد باطراف مشدها القاسي تلك القامة الهيفاء · وتبصر ذلك العطف الناحل تنضم اعضاؤه المترفة تحت ايدي الحسان من النساء · طمعاً في زخرف باطل لا يزيد القوام حسناً كما يزيده من السقم والداء · ولا تحزن على تلك الجسوم بما يصيبها من انواع الاعتلال وتدمع لتلك الاعطاف الناحلة ان تزيدها رباتها انتحالاً على انتحال · وما برح المرء عدوّ نفسه وما زال الحسن مجلبة الوبال

وقد قرأنا في احدى الجرائد الاوربية الاخيرة مقالة تحت هذا

العنوان دلت على كره الافرنج انفسهم لهذا النوع المضر من ملابس النساء وطول كتابتهم فيه وطعنهم على استعماله حتى لقد سمعنا ان بعضهم نشر في احدى المجلات مقالة يطلب فيها من الحكومة الفرنسوية ان تضع ضريبة على كل امرأة تشد خصرها بمشد فاحبت جريدة الغولوا ان تعرف اراء الناس في هذا الامر ونشرت شيئاً عن ذلك المعنى فكان من اجوبة احد الباريزيين عليه ما ياتي

اخبركم انني اكره استعمال المشد كل الكره لانه مضر بالجسم ومعطل للجمال ينقص محاسن الحسناء ولا يزيد جمال سواها

وليس من قصدنا الان بيان مضرات المشد للجسم من حيث الطب ولا تفصيل الامراض التي تنشأ عنه فان ذلك من شؤون الاطباء ولهم وحدهم العلم الصحيح في حقيقة اضراره ولكن الذي نريد بيانه هنا مضراته الادبية من تعطيل الحسن وايقاف الحركة وتقييد الجسم وايراد ما يراه الناس فيه من سوء الوضع وكراهة الاستعمال وشدة الضغط على قوام تمد الكف منه الى خصر نحيل فلا تقع الا على مثل الدرع الثقيل يليق ان يرتديه الفارس الكميّ لا قدّ المرأة الهيفاء التي خصها الله بلين القوام فجعلته صلباً قاسياً وميزها بميل المعاطف ورقة الخصر فجعلته بيدها جامداً جاسياً وعسى ان يقع كلامنا لدى نساء الشرق موقع الاستحسان بعد ان نقلنا لهم من كلام اهل الغرب الناقلين عنهم هذا الاستعمال ما فيه الكفاية عن مزيد البيان. فان القوام اذا لم يزينه جمال الطبيعة لم تفده صنعة الجمال. والخصر الناحل في غنى عن هذا المشد الذي لا يفيد سواه في حال. ورحم

الله شيخنا اليازجي حيث قال

انّ المليحةَ مَن كانتْ محاسنها   من صنعةِ الله لا من صنعة البشرِ

ملجأُ الفقراء

نستميح الكبار من قومنا عند هذا العنوان عذرًا جميلاً . وننزل بهم عن شوامخ قصورهم شيئًا وعن اعراش كرامتهم قليلا . ونمازج مسرات اعيادهم بما لا يصادف عند البعض من افرادهم قبولاً . ونجعل رنة الاحسان في آذانهم تلو رنات الالحان وان لم تكن عنها في مجال السرور بديلاً . فان النفس اذا خشعت في عنفوان ابتهاجها كان خشوعها فضلاً جليلاً . وقد سن الله الرحمة في كل كتاب كريم ولن تجد لسنة الله تبديلاً . ثم نستلفت الانظار الى مكان تتهيب لمرآه النفوس . بل الى قصر تنخفض لدى عتبة داره عوالي الرؤوس . بل الى سماء افاض الله عليها من جلال مهابته وكساها من نعمة روحه القدوس . وليست هي بالمكان الذي تحف بجدرانه انواع الهناء . ولا بالقصر الذي تزينه النعمة السابغة وتبهر زائره الزخارف والاضواء . ولا بالسماء التي يقر فيها النعيم الدائم وتصدر عنها السعادة والنعماء . ولكنها المقام الحقير العظيم والوضيع الرفيع والاكمد الزاهر اي انها ملجأُ الفقراء

ذلك هو المكان الصغير الذي سمع به اكثر سكان القطر ولم يزره

الاَّ النزر اليسير من ارباب الميسرة والفضل في هذا الثغر قائم الى جانب الكنيسة الارمنية في الثغر لبانيه الورع التقي المسيو رودولف رفعه من مال الاحسان · و بناه من مبرات اولي المبرة والحنان · وجعله مضيفاً لكل فقير جائع وموردًا لكل غريب ظمآن · وكتب على انفس زائريه من الفقراء آية مراحم الانسان على الانسان · هنالك تجد خيال الفقر ساقطاً تحت اقدام ملاك الشفقة والرحمة وتبصر يأس الفقير المحتاج نائماً ترفرف فوقه اجنحة الرجاء والنعمة · وترى الدار التي ساوى مقام احتياجها مقام الامير في سلطانه · وتعلم ان الغني لا ينال اجر البائس الفقير الا اذا شاركه في احزانه وقاسمه شطر احسانه · وتدرك ان سلطان العوز في حضيض رحمته اعظم من سلطان الغني في رفعة شأنه · وهنالك تجد دارًا قوراء زينتها نظافة الايمان · وجياعاً معوزين جالسين صفوفاً على ذلك الخوان · ويدًا محسنة توزع عليهم قوت النهار كما وزعته عليها نعمة الرحمان · وقد وقف الاحسان لخدمة الفقير فلا تجد حولك الا خدمة · ودارت الرحمة برغيف الجائع وسرير المريض فلا تبصر الا رحمة · وتجلت نعمة الله على ايدي عبيده الامناء المحسنين فلا تقع العين الا على نعمة · ونعم العمل يقرض به المحسن الله و يفي به المتبرع حق الذمة

ذلك هو المكان من وضع في بنائه حجرًا فقد وضع جوهرة كريمة في تاج المدنية · وهذا هو المقام من احسن على اصحابه بدرهم فقد علق اعظم وسام من الشرف على صدر الانسانية · وتلك هي الدار من بذل على بابها حسنة فقد بنى مثلها في الاخرة · وذلك هو الاحسان الصحيح

على المستحقين من ابنائه ومن يصنع مثقال ذرة خيراً يرَه · فالى اغنياء البلاد نرفع هذه الحالة عن لسان الفقير في هذا اللسان · ومن اكف اولي البر نستمطر الرحمة والجود من كل مكان الى هذا المكان · بلا فرق في مذهب ولا دين عنده اذ هو لا يفرق بين المذاهب والاديان · وحيث اجتمعت اصناف الانسان على احتياج فهناك يليق ان تجتمع الشفقة من اصناف الانسان · فقل للذي كانت تمطر كفه امس فضة وذهباً · والذي كان يقطع ليله بين القمار والاقمار لهواً ولعباً · والذي خرج مسروراً ينادي واطربا من الكسب او خرج كئيباً ينادي من الخسران واحربا · رويدك بعض هذا المال الذاهب في غير طريقه · وحنانيك بعض هذا الجود النافق في غير سوقه · على قوم يرون ما تاتيه من قليل الاحسان وهو الخير الجزيل · وقل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل

معركة واترلو

هي المعركة الهائلة التي انكسر فيها نابوليون الاول امام الانكليز والبروسيين في سنة ١٨١٥ وقد جاءنا البرق اخيراً بان غيليوم الثاني قد اخر الاحتفال بافتتاح البوغاز الجديد حتى لا توافق حفلته يوم تذكارها مراعاة لخواطر الفرنساويين من هذه الذكرى الشديدة · وقد رأينا لشاعر

فرنسا الشهير فيكتور هيكو قصيدة غراء في وصف هذه المعركة فاثرنا تعريبها بما يقارب الاصل ما امكن في معانيها وان لم يمكن في بلاغتها وفصاحة الفاظها فكاهة للقراء باقوال هذا الشاعر المجيد قال

اي واترلو ايها السهل المظلم القاتم لقد اصبحت تغلي برجال القتال كما تغلي القدر على النار واختلطت جثث القتلى بين اكامك وغاباتك بصفوف المحاربين الابطال والتقت فيك اوربا باسرها من جانب وفرنسا وحدها من جانب وهنالك كانت الصدمة الهائلة والبطشة الكبرى التي هدم بها الله آمال الفوارس الشجعان وولى النصر راجعاً عن فرنسا بعد ان ملّ من صحبتها ولقاها . اي واترلو اذكرك وابكي ثم اقف فاقول وا اسفاه لان رجالك وهم اخر جنود في اخر قتال كانوا رجالاً عظاماً قهروا الارض كلها وطردوا عشرين ملكاً عن عرشهم وقطعوا جبال الالب ونهر الرين وكانت نفوسهم تخرج مع انفاسهم وهم ينفخون ابواق الكفاح

هذا وقد اخذ الليل يرخي سدوله وامسى العراك شديداً كالحاً وقام نابوليون ينازل الاعداء هاجماً وقد كادت يده تمس النصر ودفع والنتون امام جيشه حتى حصره في غابة هناك ووقف والمنظار في يده ينظر حيناً الى ساحة الوغى فيراها مختلطة اختلاطاً شديداً تموج فيه اجساد الرجال ثم ينظر الى الافق البعيد كمن ينظر في لج بحر عميق واذا به قد تبسم وقال هذا كروشي احد قواد فرنسا قد اقبل ولكن خانه النظر ولم تصدقه الظنون وكان ذلك المقبل بلوشار احد قواد الاعداء فانقلبت عند ذلك هيئة الحرب وتحولت الامال عن مراكزها وزاد مختلط القتال رجالاً بالنجدة القادمة كما يزيد

لهيب النار عند اشتدادها واخذت مدافع الانكليز تسحق مربعات جنودنا و اصبح ذلك السهل تخفق فيه الرايات الممزقة وتعلو منه اصوات القتلى الساقطين وهو كالاتون في التهابه كانه هوة هائلة تخرج منها النيران وتسقط فيها صفوف العساكر مكردسة متناثرة بعد ان كانت في نظامها كانها البنيان المرصوص

تلك ساعة هائلة وعراك شديد شعر فيه الرجل العظيم ان غصن النصر قد لوى بين يديه وان وجه القتال قد اخذ يعرض عنه وكان حرسه الامبراطوري واقفاً وراء اكمة هناك وهم زهرة ابطال فرنسا واخر ما بقي في صدر ذلك البطل من الامل والرجاء

فالتفت الى قواده وقال قدموا صفوف الحراس ولم يكن الا كارتداد الطرف حتى اقبلت تلك العساكر رجال البأس وابطال القتال عليهم الثياب الفاخرة والخوذات اللامعة وامامهم المدافع الصقيلة تحمل في احشائها دوي الرعد ووقع الصواعق وهم يعلمون إنهم يمشون الى الموت و يردون مورد الهلاك الذي لا مصدر بعده فالتفتوا الى مولاهم البطل في وسط تلك العاصفة الهائلة واحنوا رؤوسهم تحية وسلاماً وصاحوا بصوت واحد ليحيَ الامبراطور ثم زحفوا زحفاً بطيئاً باقدام ثابتة والموسيقى تصدح امامهم بالحانها وهم يبسمون لمدافع الانكليز كمن يبسم لحفلة عيد او كؤوس مدام حتى دخلوا في تلك النار المتقدة وباشروا بوجوههم حرّ ذلك الوطيس الحامي واطلّ نابوليون من ورائهم ينظر ما يفعلون فاذا به يجد تلك الالوف المنظمة والرجال الشداد تذوب صفوفها اللامعة امام مدافع الاعداء كما يذوب

الشمع تحت زفير اللهيب وهم يقتحمون نيرانها بثغور باسمة وجباه عالية وسيوف مسنودة على الاعضاد ثم يسقطون جموعاً متتابعة سيف ذلك المعرك الهائل لا يلوون على فرار ولا يعرض احد منهم بوجهه عن حر تلك النار ووقف سائر الجيش امام هاتيك الاجساد الساقطة لا يجسر ان يطأ عليها ولا يستبيح ان يدوس باقدامه تلك الرجال العظام بل يراهم يسقطون قدامه قتلى مكردسين فيبكي ويقف حتى ضاق السبيل وخابت الامال وكلح وجه النصر وانكسرت سيوف الرجاء فصاح الجيش الهرب الهرب . كلمة دوى رعدها في الصفوف فعادت على اعقابها هاربة وقد صار الرجل خيالاً والراية خرقة ممزقة والبطل جباناً هارباً والدرع حملاً ثقيلاً ونسور البيارق ريشاً ساقطا لا يحملها جندي ولا يلوي عليها بطل واجسام الرجال تهوي الوفاً تحت سيوف البروسيين ولم يكن الا كطرفة عين حتى تلاشى الجيش باسره كما يبيد الدخان في عاصفة الريح وسكتت اصوات القتال جميعاً كأن لم يكن ذلك العسكر الجرار شيئاً مذكوراً ورأى ذلك السهل الواسع اقدام الفوارس هاربة عليه بعد ان هربت منها فوارس الارض كلها ولم يزل سهل واترلو القاتم يذكر ذلك القتال الى الان فترتجف ارضه خوفاً ورعباً من ذكرى انهزام الجبابرة

هو السهل لم يحمل خيولاً ولا رجلا * ولم يعد النصر القريب به سهلا
تجمع فيــه الجيش والنصر قادم * وادبر عنه الجيش والنصر قد ولى
وقد خفض النسر المحاقــ راسه * خضوعاً لمكتوب التقادير اذ يتلى
اذا جاءت الدنيا اليك فلا تقل * على الوفد اهلاً او مضت لا تقل مهلا

صغار العمال

هي عجالة نوجه بها انظار الحكومة وكبار رجالها اذ كلامها في الحقيقة واحد الى حالة افرادها الذين هم السواد الاعظم فيها وعليهم مدار الاعمال والوظائف في اداراتها ومصالحها من الكاتب والمحضر والمعاون والشرطي وامثالهم ممن تجد منهم مئات في كل مصلحة قبل ان تجد فيها رئيساً كبيراً وترى انهم احوج الى الاسعاف واعوز الى الانفاق على عيالهم بزيادة قليلة في رواتبهم اكثر من ذلك الرئيس اضعافاً . ولا يخفى ان حياة الانسان وحفظ وجوده هو الدافع الاكبر له في كل امر بل هو الطبع الغريزي الذي ينقاد اليه بالفطرة الحيوانية حتى يفضله بحكم الطبيعة على كل شيء سواه من الشرف والعرض والدين فاذا ضاقت يد العامل وكثرت عياله وقل مورد رزقه من ضيق راتبه ووجد نفسه مدفوعاً الى حفظ وجوده بعامل الخلقة والفطرة هانت عليه الذنوب وسهلت لديه اسباب المخالفة والخروج عن الواجب الخفي في سبيل صيانة الحياة الظاهرة وعن الغرض الوهمي في الحصول على الوجود الحسي الذي هو حقيقة الانسان وانسان الحقيقة . ولما كانت اعمال الحكومة التي تمس جانب الشعب مباشرة من طريق الحس قائمة على ايدي صغار العمال كالجندي والجابي والكاتب والناظر ونحوهم وكان هؤلاء الصغار في ضيق من العيش وقلة في الرزق وحاجة الى الانفاق لم يكن يؤمن على الرعية

من اهتضما حقوقها بتلك اليد التي تسلمها الحكومة رعاية الشعب من جانب وتدفعها الفاقة والحاجة الى ظلمه والتضييق عليه من جانب اخر لا عن رغبة في الظلم او حب في السلب والاهتضام ولكن عن حاجة في النفس وضيق في اليد وكم قاد شر الى شر .

واذ قد عرفنا ذلك وظهر ان مصالح الحكومة مما يلي الشعب موكولة الى صغار العمال صغار الرواتب كبار الحاجة لم نكن نستبعد على الواحد منهم اذا دفعه الاضطرار ان يمد يده الى رشوة صغيرة تعذر عليه ان ينال مثلها مكافأة من جانب العدل فتناولها سلباً من جانب الظلم والذنب واضاع بها حقوقاً كثيرة هي اكبر منها في عين الحقيقة واعظم في وجه العدالة ولو كانت دونها بمراتب واوجب بذلك سوء السمعة على الحكومة وان يرميها الناس بالاجحاف والخلل قياساً على ما يشعرون به من اعمال عمالها وهي في الحقيقة بريئة من ذلك القصد وفي معزل عن ذلك الذنب ولكنها في الواقع لا تبرأ من اسبابه ولا تخلص من وصمة الاسعاف عليه ولو كان اسعافها من حيث تدري ولا تدري

فما ضر رجال الحكم وجهابذة الحل والعقد لو صرفوا هذه بعض هذه الزيادة العظيمة التي ينالونها من مال الحكومة بالمئات فجعلوها زيادات لرواتب الصغار من العمال على حكم العشرات فاغنتهم عن التنديد وسوء المقال في الاحكام واغنت هؤلاء الصغار عن الشكوى من الضيق والتماس اسباب الرزق من ابواب الرشوة والاجحاف بل ما ضرهم لو اكتفوا بما عندهم من الرواتب الطائلة والاجور الباهظة التي تبلغ ارقامها الالوف واجروا

ما يطلبونه من الزيادة على تلك الرواتب القليلة واصحابها المحتاجين الكثيرين أليس خيرًا في جانب العدل ان ياكل العامل الفقير خبزًا من ان يلبس الموظف الكبير حريرًا واذا كانت الحكومة مؤلفة من هؤلاء الكبار وفي ايديهم الامر والنهي والزيادة والنقصان ايكون من العدالة والانسانية ان لا يرقّوا علاوة راتب الا لهم ولا يجروا النار الا الى اقراصهم لانها في حكمهم وتحت ايديهم و يتركوا من سواهم من صغار العملة وفقراء الكتبة يسحبون اذيال الفقر ويمدون يد الحاجة وهي عندهم يد المظلمة والارتشاء. تلك مسائل نلقيها على كبار رجالنا ونرجو ان ينظروا فيها او في حالة العامل الفقير المتعب بما يعود عليه بالكفاف فقط فقد ترك لهم الراحة والغنى وقد كفاهم بعمله ما كانوا يخشون من التعب فليكفوه من فضل حكومته ما هو فيه من الفقر والعنا ورحم الله عبدًا نال كل المنى بسواه وانال سواه بعض المنى

الطلاق

هو الحكم الفاصل بين الزوجين اجازه بعض الاديان وحرمه بعضها ولكل من الفريقين في اباحته وتحريمه حجج مستفيضة لا يسعها هذا المقام وليس الكلام فيها من غرضنا الان. وقد قام بعض الكتاب في فرنسا لهذا العهد يعيدون الكلام على الطلاق بين مبرهن على منافعه ولزومه وبين منكر عليه ذلك وذاهب الى اضراره وافساده في هيئة المجتمع الانساني

والالفة الزوجية فرأينا ان نقتطف من اقوال الفريقين لمعة موجزة نقدمها فائدة للقراء وموضع بحث ونظر للناقدين

نشرت بعض الجرائد كلاماً لكاتب كاثوليكي ينتقد فيه الطلاق على الدولة الفرنسوية و يبين اضراره على الناس بين تفريق الاسرة وضياع المرأة وتثقيل الضمير الكاثوليكي والخروج عن سنة الكتاب المسيحي فاجابه بعضهم في جريدة الفيغارو بقوله ان الضمير الكاثوليكي لا حق له بان يتضايق او يستنكر امر الطلاق المدني ما دام الزواج يعقد في فرنسا مدنياً على يد القاضي والحاكم ولا دخل للكاهن فيه وكل شيء لا تدخل فيه يد الدين الكاثوليكي لا يجوز لصاحب هذا الدين ان يستنكره او ينتقد عليه او يحمل ضميره ذرة تعب من عواقبه · وفوق ذلك فان الكاثوليكي يعتقد الزواج الذي تعقده اليد المدنية الحاكمة زواجاً ملغى باطلاً غير قائم على اساس شرعي فاذا كان هذا فما الذي يضر المعترض من فصل قران لا يعتقد بصحة عقده ولا يسلم بجوازه في اعتقاده فضلاً عن ان انحلال القران قد يكون احياناً بامر الدين نفسه وما جاز للدين ان يأمر به مدة جاز للقضاء ان يأمر به مراراً لتلك الاسباب عينها

ثم عاد المعترض على الطلاق فقال ان اللائحة التي اصدرتها الحكومة الفرنسوية باجازة هذا الانفصال الزوجي كانت لائحة مضرة بالهيئة الاجتماعية وظالمة للمتزوجين جميعاً وسبباً عظيما لزيادة الطلاق بين السكان الى حد لم يكن يبلغ اليه من قبل ولا يخفى ما ينتج عن ذلك من تفريق الاتصال وتشويش نظام البيوت وتضييع مستقبل الاولاد

وكثرة الفساد والشرور بين افراد الانسان

فاجابه صاحب الرد ان هذة اللائحة التي سنتها فرنسا بالطلاق لم تكن الا بارادة الشعب وامره ولم يدفع الشعب الى طلبها وتقريرها الا فساد اخلاقه وكثرة المنازعات والاختلاف بين ازواجه ولولا ذلك ما فكر في الطلاق ولا طلب من الحكومة ان تضع قانوناً يبيحه للطالبين وما انكر ان المعترضين على على الطلاق يقولون لنا ان هذه اللائحة نفسها التي اباحت سبيل الانفصال هي التي زادت في عدده وسهلت على المتزوجين ان يقدموا عليه بما وجدوا من تسهيل اسبابه واباحة القانون له ولكننا نجيبهم ان هذه اللائحة لم توضع لتدعو الناس الى الطلاق بل لتسهل على الزوجين اللذين لم يتفقا سبيل الراحة والانفصال وتمنع بهذا التفريق البسيط ما يمكن حدوثه من عواقب الخلاف والشقاق بين المتزوجين ثم اعود فاقول ان اخلاق الشعب نفسه هي التى اوجبت كثرة الطلاق في افراده وان الذنب في ذلك لتلك الاخلاق نفسها لا للائحة الطلاق والا فايهما خير ان ينفصل الرجل عن امرأته انفصالاً جسدياً ثم يعيش كل منهما في جانب متفرقين ام ان يطلقها بتاتاً ثم يكون واياها مطلقين في اختيار من يريدان رفيقاً لهما حيث تكون الراحة وصفاء البال

اذن فاسباب الطلاق ليست في اللائحة التي تبيحه ويلجأ اليها طالبوه ولا هي التي تدعو اليه او تأمر به بل ان اسبابه قائمة في فساد الاخلاق واختلاف المبادىء المدنية وكثر انواع الشرور والمفاسد والذنب في كل ذلك راجع الى زيادة التمدن والتمادي في اطلاق الحرية للنساء والرجال

حتى صارت تلك الزيادة في المدنية نقصاً وذلك التمادي في اطلاق الحرية تقييداً للنظام وضرراً على الهيئة الاجتماعية باسرها تجني منها السم القاتل وهي تحسب انها تجني حلاوة الحرية ولذة الانطلاق والافلات فاذا شاءت الحكومة ان تضع حداً لهذا الطلاق المتكاثر وتمنع اسبابه المتعددة في افراد المجتمع الانساني كان عليها ان تسعى اولاً في منع المفاسد والشرور وتسد في اوجه الجهال ابواب التهتك وفساد الاخلاق التي يحسبها اكثرهم نعمة من نعم الحرية ونوراً من انوار النزاهة والاستقلال ونعم هي نور ولكنها النور الباهر الذي يعمي الابصار والشعاع الذي زاد انبعاثه في القلوب حتى بهر البصائر والافكار . وعسانا معشر الشرقيين ان نستفيد من كلام الاجانب انفسهم في ذم تمدنهم الزائد ومغالاتهم فيما يدعونه المدنية والحرية فناخذ عنهم ما يفيد احوالنا نظاماً وكمالاً ونترك ما تمادوا فيه من الاستقلال الذي يعود علينا كما عاد عليهم مضرة وضلالا وخير الامور الوسط

وعود الكبار صغار الوعود

الوعد شرف الانسان باسره ومقامه ووداده وحرمة شخصه واعتبار نفسه يلقيها كلها من طرف لسانه بين يدي من يعده حبلاً يجاذبه به وديناً يتقاضاه اياه وذمة يطالبه بها صداقة يمتُّ بها اليه وحرمة ينظر اليه من خلالها فاذا وفي بما وعد صان منزلته وحفظ مقامه وايد الصداقة بينه وبين

غريه واخاص الذمة بينه وبين شرفه ونفسه واذا اخلف وماطل سقطت حرمته وتعب ضميره وعادى من كان صديقه بلا موجب ولا سبب . سوى كلمة يتناولها منه ذلك الصديق كما يتناول اسباب الفعل واعتمد عليها كما يعتمد على ركن الحقيقة والعمل ثم لم يجد الا كلاماً ولم تصادف امانيه الا هباءً منثوراً وضاعت كل آماله وجميع ما بناه عبثاً باطلاً فاصبح ذا حق بالشكوى من صديقه والعداوة لواعده وهو معذور غير ملوم وعثرات الآمال ليست بسهلة

وقد دعتنا الحالة الى تسطير هذه المقدمة والدخول في هذا الموضوع الذي هو وان كان شخصياً فقد اصبح اليوم عاماً شائعاً يتناول جميع افراد الناس على السواء ونخص منهم بالذكر رجال الحكومة وكبار عمالها واعيان موظفيها الذين وجدنا اضرار وعودهم واخلاقهم اشد من غيرها عاقبة واعظم تاثيراً وضرراً وهم الذين نقصدهم على الخصوص في هذه العجالة وان كانت تتناول سواهم ايضاً ولكن المهم المقدم واحق الناس بالوفاء اولاهم بالتنديد والملام

ذلك اننا وجدنا البعض من رجال الحكومة ذوي المراتب العالية والمكانة السامية والاعمال الطائلة الذين وضعتهم ايدي الاقدار او الاجتهاد وعوامل الاسباب او الاستحقاق في تلك المناصب العظيمة يجيئهم الرجل المحتاج من اواسط الناس ذوي الحاجة والعوز يسالهم وساطة في وظيفة او سعياً في عمالة يحصل منها رزق اليوم وينفق فيها عرق الجبين فيجيبونه بالايجاب السريع والوعد العاجل ويضربون له اجل الوفاء لمقاضاة الوعد فيذهب فرحاً مسروراً يبني من الوهم قصوراً ومن الاماني ابراجاً ويفتح من طرق

المعيشة والراحة ابواباً مفاتيحها المزاعم واقفالها المواعيد حتى يجيء يوم الوفاء الموعود فيذهب الى واعده مؤملاً راجياً فلا يجد الا اعذاراً ملفقة ومماطلة كاذبة او وعوداً جديدة الى الغد او ما بعده فيذهب ثم ياتي ثم يعود كما عاد اول مرة وفاوه المطل وقضاء وعوده الاباطيل والتسويف وتدرج على ذلك الايام وتمر الليالي وينقضي الشهر ويتلوه العام والرجل يمضي ويأتي ويروح ويرجع والوعد خيال باطل نصب عينيه والفقر حقيقة محسوسة يشعر بها في يديه وبين جنبيه ولا هو ذو امل فيرجو ولا ذو يأس فيسلو واولاده بين ذلك يتعللون بمواعيده على بساط الحاجة والجوع وهو يتعلل بمواعيد سواه من كبار القوم واعيان الموظفين على بساط الخيبة والحرمان الى ان يقضي الله في يأسه امراً او يجد بعد العسر يسراً او تكاد روحه تبلغ التراق

فما ضر اعيان رجالنا اصحاب المواعيد الطويلة والمطل المستمر لو اوقفوا هذا الموعود على حد معلوم اما رابحاً او محروماً واما امساك بمعروف او تسريح باحسان فقضوا له حاجته على فورها او في عدها او في اوان ميعادها او قالوا له لا نصيب لك عندنا ولا قدرة لنا على منفعة لك فانطلق بسلام. اليس ذلك اولى من ان يتقاذفوا ذلك البائس المسكين بين الذهاب والاياب والامل واليأس والتعطيل والمطل وقضاء الايام على وعود فارغة وحاجة ملانة واماني باطلة يكسب من بعدها حرقة الخيبة ويكسبون منها دعاء الخائب المظلوم وسوء السمعة وتبكيت الضمير وضياع الشرف وحرمة الاعتبار. ألا يذكر بعض رجالنا ما جرى من اشهر على يد ذلك الموظف

المسكين الذي طالت وعوده وقصر وفاؤه حتى ارسل يتهدد احد الوزراء عندنا بالقتل ويجهر بالفوضوية في هذه البلاد التي لا اثر فيها لهذا الداء ولا دافع بابنائها اليه · ايفضلون ان يبيعوا شرف نفوسهم وعزة ضمائرهم وماء وجوههم وصداقة قلوبهم بكلمة مقولة ووعد غير محتوم ولا هم مطالبون به ولا مضطرون اليه على كلمة صرف وحرمان يقف بها الطالب على حقيقة امره ويعرف مصير حكايته ويقصد بعدها سواهم من ذوي معرفته واسعافه فاما ان ينال منهم غايته واما ان يقطع آماله ويلقي اتكاله على الله

ذلك موضوع اقترحه علينا بعضهم وهو في الحقيقة مقترح الجميع ومطلب الكل نبسطه لابناء حكومتنا وكبار موظفيها وان تناول غيرهم ايضاً من امثالهم اصحاب الوعود عسى ان يصادف منهم قلوباً واعية ونفوساً رقيقة تتأثر لمصاب الناس وتعرف ما يلاقي الموعود من مرارة الخيبة والفشل بعد طول المواعيد فيعدلوا عن هذه الخطة الى كلمة صدق هي بهم اولى او وفاء وعد هم به احرى والسلام

ساره برنار

هي روزا برنار المسماة باسم ساره الممثلة الفرنسوية الشهيرة كبيرة الممثلات جميعاً في هذا الفن غير مدافعة · ولدت في باريز في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٤٤ من فتاة إسرائيلية هولندية ووالد مسيحي نصرها

ورباها في احد الاديرة ثم دخلت في مدرسة التمثيل عام ١٨٥٨ ونالت الجائزة الثانية في التمثيل المحزن سنة ٦١ ونالت الجائزة نفسها في التمثيل المضحك عام ٦٢ ثم دخلت الى الملعب الفرنسوي بعد ذلك باشهر حيث مثلت فيه لاول مرة دور افيجينيا فلم يكن لتمثيلها استحسان عظيم فتخلت عن الملعب وانقطعت عن التمثيل مدة ثم عادت سنة ٦٦ فظهرت على ملعب سان مرتين وانتقلت منه الى ملعب الاوديون حيث بدأت شهرتها تنتشر وساعدها جمال شبابها وصفاء صوتها وحسن نبراتها على ميل الناس اليها وسرورهم من تمثيلها حتى استدعاها الملعب الفرنسوي لان تكون من ممثلاته وهناك تجلّى مجدها التمثيلي في ابهى حلاه وظهرت قدرتها العجيبة في دور فيدر واندروماك وزايير وبرت في رواية شارلمان وشمس في رواية هرناني (حمدان) وهو الدور الذي فاقت فيه حد الابداع ورفعها الى رتبة اعظم الممثلات في هذا العصر وفي سنة ٧٥ انتظمت بين اعضاء الملعب الفرنسوي وانشأت عدة ادوار جديدة دلت على مهارتها الغريبة في هذا الفن وفي سنة ٧٩ دخلت في اعضاء الجمعية التمثيلية التي عُقدت في لندن وفي سنة ٨٠ مثلت دوراً لم يوافق ذوقها ولا ميلها الطبيعي فغضبت من نفسها وارسلت استقالتها وخرجت من الملعب الفرنسوي بلا سبب شرعي غير هذا السبب الشخصي فاقام عليها الدعوى ورفعها الى القضاة فحكموا عليها بالخروج من عضوية الملعب واخذ الاربعين الف فرنك التي كانت مودعة لحسابها وغرامة قدرها ١٨٠ الف فرنك ولكنها لم تلبث ان استعاضت هذا

المبلغ الطائل في وقت قصير بان ذهبت فمثلت في انكلترا ومنها انتقلت الى الولايات المتحدة في امركا حيث جمعت ثروة طائلة كان منها غناها وغنى المساوم الذي اخذها لحسابه ثم عادت الى باريز فتولت رئاسة لاميكو وانشأت فيه دور فيدورا الذي الفه لها ساردو وفي سنة ٨٢ اشترت ملعب سان مرتين ومثلت فيه عدة ادوار خلبت بها عقول السامعين مثل دور فرو·فرو ولادام اوكاميليا وتيودورا الذي مثلته ٣٠٠ مرة متتابعة ومن بعده دور لاتوسكا الشهير وبعد ذلك عادت الى لندن وامركا فمثلت فيهما وعادت بثروة عظيمة الى باريز واخذت تمثل الادوار العجيبة ثم قدمت الى مصر ومثلت فيها عدة روايات يذكرها كثير من القراء ورجعت منها الى فرنسا وتولت ادارة ملعبها الجديد الذي سمته ملعب النشوء وهي لا تزال تمثل فيه الى الان

وان في اجتهاد هذه المرأة وشدة اقدامها وثباتها في هذا الفن بعد يأسها من النجاح اولاً وبعد حكم المجلس عليها وانتزاع اموالها منها وتحصيلها بالجد والاجتهاد اضعاف ما خسرت من المال لعبرة عظيمة يجب ان يقتدي بها كثيرون من رجال الشرق ليس في فن التمثيل فقط بل في اعظم الاعمال واسمى المشروعات وما ننكر انه يسوءنا ان نضرب نساء الغرب مثلاً لرجالنا وعبرة لهم ولكن بذا قضت الايام علينا وهذا الذي اوجبه التقاعد والاهمال فينا ولله في خلقه شؤون

اما المرأة في تقاطيعها وصورتها فليس عليها جمال يذكر وقلما تصبو العين الى لمحة من الحسن فيها ولكنها متى وقفت في موقف تمثيلها

وخطرت في ثياب دورها على ساحة ملعبها تجلت فيها محاسن الجمال كاملة وصفات الدلال جذابة باهرة فحامت عليها الابصار ووقفت عندها الافكار وطارت حواليها حبات القلوب وشخصت الى بديع جمالها عيون الشاهدين كأن حسن تمثيلها قد تحول الى حسن في وجهها وجمال وقعها في القلوب وعظم تأثيرها في النفوس قد استحال كله الى جمال يسطع على وجهها وينير محياها الاصفر الشفاف بما لا تفعله يد الطبيعة ولا يورد مثله بنان الشاب على خد العذراء . ولا شك ان للصناعة جمالاً يكسو الوجوه وللاتقان حسناً يفيض من صنع الايدي او صوت الخناجر او اتقان الالقاء على تقاطيع المحيا فيلبسها جمالاً لم يكن لها من قبل ينظر اليه عيون القلوب من خلال عيون الوجوه حتى يصبح جمالاً كاملاً ويتساوى حسناً متماً في كلا النظرين بين مقلة القلب ومقلة العين . وسبحان من خلق الجمال انواعاً فكان اكثر من انواع العاشقين

وصف ممثلة

عثرت جريدة الفيغارو بين اوراق الملعب الفرنسوي في صدر هذا القرن على مقالة للمسيو جوفروا احد مشاهير الانتقاد التمثيلي انتقد بها تمثيل المشخصة الشهيرة ديشنوا التي كانت من نوابغ الممثلات في عصرها وذلك عند بداية تمثيلها وافتتاح ميدانها الروائي في تمثيل رواية فيدر

التي يعرفها كثيرون من القراء معرفة قليلة ناقصة بالنسبة الى اصلها الفرنسوي البديع وقد عثرنا نحن على تلك المقالة في الفيغارو فاحببنا تعريبها فكاهة للقراء وبيانًا لمنزلة هذه الامة من علم الادب ومقام افرادها من مراتب الانشاء وحسن التعبير وغرابة معانيهم في الفن الذي يكتبون فيه بحيث لا يشرع الكاتب منهم قلمه لموضوع ولا يشغل فكره بالكتابة في امر الا وهو عارف كيف ينبغي ان يكتب وفي اي قالب يضيغ معانيه حتى لا تخرج المقالة من تحت يراعه الا وهي اية في بابها وعنوان لما يجب ان يكتب من امثالها لا بالكلام المصفف ولا العبارات الملفقة ولا اضاعة الوقت في استخراج كناية واستنباط تشبيه وابتداع مجاز تضيع به الفائدة وحسن التاثير على الكاتب والقاريء جميعًا بل كلام ممتلىء الجوانب مبتكر المعاني جديد الاسلوب غريب التصورات والافكار يفعل في قارئه كما تفل الحقيقة في كاتبه وينقل المراد من صدر قارئه الى قلب سامعه كما تريد نفس المنشيء لا كما يجيء ترصيع العبارات ورصف الاقوال. وهذه هي الغاية التي نتوخى اليها اقلام كتابنا ونستنهض لها قرائح ادبائنا ومنشئينا لتكون الكتابة طوع ايدينا ونسلك من الانشاء مسلكًا جديدًا هو عين المسلك القديم الذي اغفلناه ونطبع على نفوس قرائنا ما نريده نحن لا ما تريده مستلزمات الاقوال ومقتضيات الكلام فان القارىء لا يطيع يراع كاتبه حتى يكون اليراع رهن ارادة الكاتب وطوع جنانه اما المقالة فهي على ما يحتمله مقام التعريب من الضعف والتقصير عن مبلغ الاصل قال

ليس في هذه المثلة ما يستوقف الإبصار ويستهوي القلوب من لمحات

الجمال والحسن فهي محرومة منها ولكن حرمانها من هذه الصفات ذات الخطر على ربات الحجال لا توجب لها الاسف والرحمة بل المسرة والتهنئة لانها لا تسمع بعدها الا امتداحاً خالصاً بغير تمليق ولا تغزل والاَّ حقائق راهنة بغير مداهنة ولا تشبيب باطل ولا يكون الثناء عليها الا محضاً صافياً من الغرور قاصراً على صفات تمثيلها واجتهادها خالياً مما يغر النساء ويلعب بحبات القلوب من عبارات التودد والاغزال وبالتالي فانها تكون ذات اصدقاء مخلصين بدلاً من عشاق مخادعين ومتى خلت نفسها من رنين هذه الخدعة حول مسمعها انصرفت كلها الى اتقان صناعتها واجادة فنها في معزل عن كل لهو وغرور وكان نقص جمالها ومحاسنها فائدة يغتنمها ذكاؤها ومجالاً ترتع فيه افكارها واجتهادها لا يكدر صفاءها اغترار ولا تيه ولا يوقف سوابقها لهو ولا طرب حتى تصل الى قمة الشرف وتنزل في صميم المجد الصحيح ولكن في طريق الصعوبة والكدر لا في بستان الصبابة ورياض الاعجاب والادلال

ولكن اذا لم تكن هذه الممثلة جميلة الطلعة ولا تروق العين عند اول نظرة فان لها شباباً ريقاً يشفع لها عند الناظرين وهو الفضل الذي يهم في معرض التمثيل وفي كل معرض اكثر من الجمال اذ لا شيء اقبح من ادوار العاشقات تقوم بها على الملاعب نساء كبيرات. اما صوتها فحلو رنان مؤثر ولها صفات كثيرة ندر ان توجد في ربات الجمال وهي شدة التاثير ولطف الاحساس وحدة الطبع وخفة الروح وكلها محاسن نفس لا تقاس اليها محاسن الوجه بشيء ولو خيرت بينها عاقلاً ما تردد في ان يختار

ولقد كان تمثيلها في بعض المواضع يدل على انها لا تزال مبتدئة في اول مجالها وكانت لها بعض اشارات وحركات تأتي بها زائدة او ناقصة مدفوعة اليها بحكم الرهبة وخوف البداية و بعض نبرات في صوتها خارجة عن حدود الاصول بعض الخروج تدل على ان هذا الجواد الكريم لا يزال في اول شوط من ميدانه ولكن هذه الهفوات الطفيفة السهلة الاصلاح تذهب كلها في الحال امام جمال الصناعة واتقان التمثيل وطبيعة الموقف وحدة الوجدانات وهي الصفات التي لا يمكن ان تكسبها الصناعة من نفسها مهما بولغ في كمالها واتقانها بل ان هذه الممثلة تؤثر في نفس السامع بسر بسيط للغاية ولكنه نادر جداً وهو انها تتاثر هي نفسها وتستبكي الحضور لانها تبكي حقيقة فهي تتكلم بقلبها فتسمعها جميع القلوب ولا يعرف لغة الفؤاد غير الفؤاد . ولست اقصد بذلك ان في صوتها غصة البكاء وندبة الاعوال التي تعد عيباً في اكثر الممثلين حتى تخال ان الدمع يعترض في مجاري انفاسهم واصواتهم فان المدامع ليس في صوتها ولا في لهاتها بل في عيون الحاضرين وعلى خدود السامعين . ثم ان من يرى تقاطيع وجهها عند التمثيل يحسب انه يرى صورة متحركة متقلبة تختلف اليها جميع شعائر النفس وترتسم عليها كل وجدانات الفؤاد تباعاً واحدة اثر اخرى او كلها دفعة واحدة . ومثال ذلك في فصل التصريح حين باحت بغرامها لابن زوجها ايبوليت فان هيئتها في بادىء الامر كانت عابسة قاتمة ثم انبسطت ملامحها فجأة كأنها تتعاقب عليها الوان الاميال بين الرجاء وصفوة الوجل وكأن السرور تلمع انواره على محياها من خلال الكآبة والكدر وهي تتقلب تباعاً بين الجسارة والخوف

والرقة والشراسة والسذاجة والوجد بحيث كانت على حالها تلك اصدق صورة موثرة مؤلمة تنطبع عليها آلام نفس شقية مجرمة

ثم انها لم تكن اخف تاثيرًا ولا اقل اجادة في فصل الغيرة الذي مثلته بغير صياح شديد ولا تشنجات ظاهرة ولكنها ابدت فيه اشد مواقف الندم واهول حالات اليأس والقنوط وهذا هو الموقف الذي تجيد فيه هذه الممثلة شعائر الاحساس والوجد وتجعل الرجال يصيحون عند مرآها « لله ما اجملها » كما كانت النساء تصيح عند مرأى الممثل كين لله ما اجمله ويظهر لي انه كان يمكن تمثيل عبارتين من هذه الرواية باحسن مما مثلتها وهما عبارة « انت قلت انت ذكرت اسمه » وعبارة « لكنهما يتحابان الى الابد » . فان مثل هذه البوادر السريعة التي ينبغي ان يختطفها اللسان اختطافًا قلّ ان يظفر باتقانها ممثل الا اتفاقًا ولو كان من مهرة المشتغلين بهذا الفن واي مغن بارع لا تبدر منه بعض الاصوات الشاذة اثناء انشاده ولكن الحكم لا يكون على مثل هذه النقائص الطفيفة بل على مجموع القريحة ومجمل العمل

والشائع بين العامة ان هذه الممثلة تلميذة شاعر مجيد وهو الذي يعلمها الصناعة والاتقان . اما انا فارى ان لها استاذًا اخر امهر وابرع وهو الطبيعة والفطرة فهي التي تجعلها قادرة على تمثيل شعائر الانسان والانتقال الى الحقيقة على جناح الاوهام فان كل انسان قادر على التمثيل في نفسه اذا مسه غضب او حزن او غيرة او نحوها ولكن القدرة على تمثيل الوهم وتجسيم الخيال وتكلف الحقيقة المؤثرة ممن لا يشعر بها في نفسه هي الهبة الالهية التي

يمتاز بها الممثل وينفرد بها الشاعر والكاتب

بقي ان اذكر علاقة الممثلة بي وتاثيرها على نفسي خاصة فاقول انها انستني انني في موقف المتفرج على تمثيل تقليدي وتلاعبت بشعائر قلبي حتى كادت تميلني عن منصب المنتقد الذي كنت قائماً فيه لاحكم لها او عليها واكون قاسياً كالشريعة العادلة التي لا تلوي على شيء مع انني الرجل الذي طالما وقفت في موقف الحكم هذا واعتدت سماع الممثلين وتلاة الادوار وتقليد الحزن والخوف والبكاء واصبحت اقرب الى انتقاد الهفوة وادراك الزلة مني الى التأثر من صوت المشخص والانخداع الى غرور التمثيل وكنت احسبني اعلى نفساً واسمى شعوراً وادراكاً من سائر الحضور في الملاعب وانني اضحك على دموع الخديعة والغرور ولا اشارك فيها وانه لا يليق الا بصغار البنات ان يبكين لمصائب الروايات واحزان العاشقين حتى لقد كنت اخجل بنفسي احياناً من عدم تأثري وشعوري واعد ذلك نقصاً في رقتي وفؤادي بل حملاً ثقيلاً على نفسي ان احضر رواية محزنة لا اقدر ان اضحك فيها ولا ابكي مع الباكين ولا انام حتى حضرت هذه الممثلة فقلت ان ذلك لم يكن نقصاً بي وانني اذا كنت لا اتأثر من رواية فليس ذلك ذنبي ولا قساوة مني بل لانني منتقد قاسٍ لا يؤثر بي الا الاحسان والابداع الفائق وان في القلب بقية من الطرب والحزن لا يظهرها الا مثل هذا التمثيل العجيب المتقن وهي قد ظهرت فسرتني بما وجدت بها من الوجدان الجديد في نفسي وسالت دموعي مرغمة تخط علائم تأثري وشرف احساسي على وجهي وكان ذلك انكساراً لي في معرض الوجدانات والشعائر ولكنه اكسبني زهواً

وافادني كبرًا وتيهًا وعلمت ان اجادة التمثيل تبكيني انا الذي قلما ابكي

خمول الادب

لم يأتِ على الشرق عصر خمل فيه الادب وماتت همم الادباء وفترت نفوس الكتاب مثل هذا العصر الذي صرنا اليه نحن نتعالى فيه بالتقدم والارتقاء علالة الظمآن بالسراب وما ندري اذلك آخر ما وصلنا اليه من درجات الخطة والخمول ثم نهب بعدها الى نهضة العلم وتحصيل ذروة الادب والكمال ام نحن لا نزال في طريق الهبوط والانحطاط حتى يأتي علينا يوم تخمد فيه جمرة الاداب فتصير رمادًا · وتنكسر رؤوس الاقلام حزنًا واسفًا فتسود لها وجوه الاوراق حدادًا · ومهما يكن من امر نهايتنا في الخمول والامل بالارتقاء او مصيرنا الى الدرك الاسفل في عالم الكتابة والانشاء فان حالتنا الحاضرة من حيث الاداب وضياعها وفتور الهمم وتوانيها وانحطاط اقدار العلم وابتذالها ولا سيما في هذه المدينة الشرقية الزاهرة التي نسميها عروس الشرق ومنتدى ابناء الحرية والفضل انما هي حالة تدمع لها عين المدنية ويرثي لها قلب الانسانية ويحق ان تبكي لها مقلة الامة العربية بل هي حالة لو انصفها القلم لصرف مداده دموعًا في بكائها ولو انصفتها الاوراق لشقت جيوبها اسفًا في ندبها ورثائها · ولو عدل معها اولو

الاقلام لخطوا ضريحها برؤوس الاقلام· ولو عرفتها الايام لاجفلت من حلولها الايام· ولو ادرك ابناؤها سوء مصيرها لقالوا تلك ايامنا عليها السلام

لا غروَ ان الادب قد تهدم بنيانه· والعلم قد ذبلت اغصانه· ولغة البلاد قد ضاع مقدارها وآثار السلف قد ندر انصارها· ولا تطلب على ذلك برهاناً فهو ملء العيون والمسامع والاكباد· وانما نحن قوم ضللنا عن مجد ابائنا الاولين ومن يضلل الله فما له من هاد· ترى الاديب منا يبذل جهده ويحيي ليله وينفق من قلبه ويجني على نفسه ليؤلف كتاباً مفيداً او يضع رواية نافعة ثم يحمل بعد ذلك على نفسه وينقص من حظ معاشه ويجور على الشيء القليل من ماله وقد يكون ذا بيت وعيال فينقص من واجب بيته وعياله ويطبع ذلك الكتاب برمق العيش ومشقة الجهد وفضلة الاقتصاد وثمالة التوفير املاً بربح قليل يناله او تعويض نفقات قليلة يستر بها ما ثلمه من جوانب حاله ومعاشه او نيل شهرة ادبية تسعفه على دهره او تذيع خامل قدره او تكسبه كلمة ثناء في حياته· او عبارة رحمة واسف بعد مماته· فيجد ان اماله قد ذهبت في طريق امواله· وان تعويض امواله ابعد مدى من نيل اماله· وانه لم ينل من تعبه غير مشقة السهر· وادمان الفكر· واتعاب القلب والبصر· فلا مال وصل اليه ولا كتاب طُلب منه ولا شهرة ذاعت عنه ولا اجرة حصلها ولا كلمة ثناء سمعها ولا احد اهتم بكتابه ولا لسان لهج بآدابه الا نزراً يسيراً اشتروا من كتابه عدداً معدوداً لا يسد خصاصة ولا يعيض خسارة وبقيت سائر النسخ تحت رحمة العنكبوت يجللها· والارَضة تحللها· واسف صاحبها يكللها· اكواماً مكردسة لا تغني فتيلاً· ولا

تروي غليلا · ولا يجد الى تصريفها سبيلا · وقد اصبحت على صاحبها ثقلاً على اثقاله · وشغلت من منزله الضيق مكاناً كان اولى بواحد من عياله

بل ترى الكاتب النحرير والمنشيء البليغ تخطر له المقالة الرنانة والرسالة البديعة في المعنى النادر والبحث المفيد فيتناول القلم لتسطيرها ويجيل فكره في اجادة تحريرها ويكاد يهم في كتابتها ويوطن النفس على عناء انشائها ثم تتمثل له حالة بلادنا الادبية وهبوط العلم فيها وخمول الادب بين ابنائها وضياع اقدار الاقلام في نواديها واعراض الحكومة والناس عن الالتفات اليها والاخذ بناصر المتقن لها او الاقرار فقط بفضل المجيد فيها ويرى ان التعب ضائع والاجادة مجهولة والاجتهاد مبخوس حقه ومنزلة الكتابة خامل مقدارها الا في طائفة قليلة العدد قليلة المدد بصيرة العين قاصرة اليد فيرمي القلم جانباً اذا كان يكتب مختاراً · او يرمي الكلام على عواهنه اذا كان يحرر اضطراراً · وقد خفي بذلك فضل اجتهاده وذهبت حلاوة كلامه · وخسر القراء الادباء ما كانوا يرجونه من حسن معانيه ونفثات اقلامه · وتلك حالنا ايها الكتاب في هذا العصر فلا تجهدوا خواطركم · وهذا مبلغ الادب في الشرق فلا ترموا جواهركم

وليس اللوم في ذلك على افراد الامة فقط والسواد الاعظم من ابنائها بل هو اللوم كل اللوم على الحكومة التي تهاونت في امر لغتها وعفت رسوم الادب والذوق السليم من مدارسها والغت طرائق الإنشاء والكتابة الصحيحة من مكاتبها بل هو اللوم على الانكليز الذين تولوا معارفنا فلم يراعوا فيها جانب البلاد ولا حفظوا حق الامة ولا تسامحوا في نشر اللغة الوطنية

حتى صرفوا كل جهدهم الى نشر لغاتهم الغريبة فصرفوا اليها جهد الطلبة واميالهم وانصرف ابناؤنا معهم فساعدوهم على بغيتهم وآزروهم في الاستمساك بالسنتهم بل انصرف وجهاؤنا يجمعون المال من فلان وفلان لمساعدة اقوام لا يكون من معرفتهم للجميل الا النكران وهم لو انشأوا بمبالغ تلك الاعانة مدرسة واحدة جامعة لساعدوا على تقدم الامة ونالوا ثناء الاوطان

مرثية

لشهداء باريس

لو جرينا على مذهب الشعراء في رثاء الموتى وتأبين اولي الفضل والادب لقلنا ان مصيبة باريز في حريقتها الاخيرة تعد اجل مصائب هذا العصر واشدها خسارة على فرنسا بالخصوص وسائر الدنيا بالعموم لان من فقد فيها يعدل الواحد منهم الفاً قياساً على عظم نفسه ووفور عقله وفضله بل ان هذه الحريقة الهائلة التي قتل فيها نحو المئتي نفس تعد اجل من مصيبة موسكو يوم تتويج القيصر واعظم من الاعصار الذي اصاب شيكاغو من عهد قريب او حريقة ملعب فينا منذ ١٥ عاماً وحريقة الاوبرا كوميك في باريز منذ عشرة اعوام لانها قد افقدت فرنسا اعظم رؤوسها واشرف اقوامها حتي انه لا يوجد الان في فرنسا جميعها بيت شريف الا وهو

مرتدٍ بأثواب الحداد حزناً على مفقود له ذهب في تلك الضحية الانسانية

وقد وافتنا جرائد البريد الاخير مفصلاً فيها حال هذه الحريقة فاذا هي مما يفوت حد التصور ويتعدى مبلغ الهول والشدة فان النار لم تكد تبدأ بالاشتعال حتى انتهت باحراق مئتي نفس شريفة طاهرة ذهب اكثرها دوساً تحت الاقدام وسائرها فريسة للنار وليتصور القاري سوقاً عظيمة كلها من الخشب وفيها نحو سبعمئة نفس علقت بها النار فلم تلبث عشرين دقيقة حتى احترقت كلها وصارت رماداً وحتى صار ينكرها بانيها ويجهلها ساكنها — يعلم جسامة ذلك الحادث وشدة تلك المصيبة الهائلة. ولقد كنا نحب ان ننقل للقراء كيفية ما جرى ولكننا وجدناه يفوت وسع جريدتنا فاكتفينا بما نقله الينا البرق عنها حرصاً على شعائر القراء ان يوءلمها ذكر ما جرى بتفصيله ولا يتوهمن القراء اننا نغالي في ذلك فقد ذكر مراسلو الجرائد انه لم يبقَ احد في باريز من عصيّ الدمع وطيّعه الا بكى بكاء الاطفال حزناً على تلك الضحايا ولكننا رأينا ان نرثي اولئك الشهداء الابرار بهذه القصيدة ايفاءً لحقوقهم الانسانية واقراراً بفضلهم في تلك السوق الخيرية اما القصيدة فهي

اي رزءٍ أجرى الدموعَ دماءً وأذابَ القلوبَ والاحشاءَ

وأسالَ النفوسَ حزناً واذكى م الصدرَ ناراً واستنزف العينَ ماءَ

ايُّ خطبٍ اصابَ باريسَ أمَّ م المدن بنت التمدن الزهراءَ

فجعةٌ اكمدت ضحاها وقد خصت بنيها وعمت الغرباءَ

ليس بدعٌ في خطب باريس ان تشمل آثار حزنه الدنياءَ

هي قلب الدنيا اصيب بسهم ... فاصابت آلامه الاعضاء
وهي امُّ الآداب اثكلها الدهر ... فابكت بوجدها الابناء
قد دهاها مصاب سادوم لكن ... خصَّ من بين قومها الابرياء
فهي في الحزن مثل راحيل اذ ... تبكي بنيها ولا تريدُ عزاء
اصلت الكهرباء فيها لهيباً ... قد كرهنا لاجله الكهرباء
ورماها نورُ الضياء بنار ... اظلمتها فما تلاقي الضياء
في مكان انشي لدفع بلاء ... عن فقير فكان فيه بلاء
سوق برّ تباع فيها اللاهي ... بيعاً ويشرى الثواب فيها شراء
زينتها بيض الايادي وايدي ... البيض من محسن ومن حسناء
انفسٌ تبتغي السماء فما امسين ... الاَّ وقد بلغن السماء
ادركت ما تروم من جنة ... الخلد ولكن كان الطريق صلاء
من رأى قبلهما جحيماً يؤدي ... لنعيم ابناءه الشهداء
او رأى محسناً يجود على الناس ... فيلقى نارَ الحريق جزاء
أَترى كان ذلك مطهر من ماتوا ... فيمحو عن النفوس الخطاء
ام هو الدهر لا يزال مسيئاً ... لكريم ومكرماً من اساء
يا ربوعاً كانت معاهد احسان ... وحسن فاصبحت قفراء
وديارًا كانت منازل ايناس ... فضحت بلاقعاً وخلاء
وكراماً كانوا مناهل جود ... لفقير فاصبحوا فقراء
امراء نادى الندى فاطاعوه ... اميراً لهم ولبوا النداء
وحسانٌ قد جدن برّاً كأن ... البرّ ثوبٌ يزيدهن بهاء

ساحة تنبت المكارم والرأفة والمجد والندى والاخاء
فنساءٌ بها تباري رجالاً ورجالٌ بها تباري النساء
اوجهٌ يشرق السنا من محياها فتزداد بالجميل سناء
رحن يزهين بالبياض فما اصبحن الا كوالحاً سوداء
رمماً لم تدع بها النار الا رسم جسم واعظماً جرداء
كنَّ ناساً فصرنَ ناراً فاصبحن رماداً بها فصرن هباء
قد كفت لحظة لان تقلب الامر وان تجعل النعيم شقاء
فاستحال الهناء بوساً واحزاناً واضحى ذاك السرور بكاء
نقمةٌ صبها القضاء على الابرار ظلماً ومن يردُّ القضاء
رحم الله من قضى وشفى الجرحى وعزى الباكين والتعساء

الحرب

انظر الى ساحة اومضت في سماء قتامها بروق الصوارم · وجرت في جوانبها سيول الدماء يسكبها سحاب الجماجم · ودوى فوقها رعد المدافع يصب صواعق كراته على الاجسام · وعصفت بها ريح المنية فما يطير لها غبار الا من السواعد والهام · وامتقعت الشمس من مرأى الارض فغطت وجهها بنقاب من الدخان · واحمرت الارض من مظالم ابنائها خجلاً فاذا هي وردة كالدهان · وانف الغبار ان تدوسه قدم الانسان الظالم فارتفع

استكبارًا على هامة الانسان · ودارت خمرة الموت على شفرات السيوف فتساقتها النفوس · وتمشت سكرة القسوة في ايدي الضاربين فما تطلب مقيلاً غير الرؤوس · وطارت قلوب العسكرين شعاعًا فتلتها العيون حيارى · وطاشت عقول الجيش التياعًا فترى الناس سكارى وما هم بسكارى · واستحال القلب حديدًا فما تدخله رحمة ولا حنان · وعاد الانسان حيوانًا ضاريًا فما يرده اخاء ولا احسان · وصمت الاذان عن صوت الانسانية فما تسمع لغة ولا تفهم بلسان · الا ضربًا دراكا يطير الهام عن اعناقه · ورصاصًا فتاكاً يدخل بين الفؤاد واشواقه · ونارًا حامية تصلي الوجوه حجارة وحديدًا · وصواعق نسافة تغادر الصف هباءً والرجال حصيدًا · وقد ذهل الخليل عن خليله فما يرى الا دمًا يسفكه عامدًا · واشتغل المحب عن محبوبه فما يجد الا قتيلاً يدوسه جاهدا · وثارت الخيل غائرة ترسم سنابكها على الجباه والصدور · وتردت فرسانها ساقطة فاحتملتها العقبان والنسور · ورفرف ملاك الموت على القلب والجناحين فماتت تحته الخوافي والقوادم · ونادى منادي البين على العسكرين لا مانع لكم اليوم من امر الله ولا عاصم · وتصور كم هنالك من جراح دامية وكبد حرى · وكم ساقط خضيب يضم على جنبه يدًا ويودع بالاخرى · وكم صريع رمته الايدي فاجهزت عليه الاقدام · وكم جريح كفنت جسمه الدماء ثم دفنته اكداس الاجسام · وكم فؤاد حيل بينه وبين آماله فهو يئن حسرة وندمًا · وكم عين يئست من لقاء اوطانها فهي تبكي ادمعًا ودمًا · تصور كل هذا الهول يجري وكل ذلك الويل يتجسم · واعتبر ان كل ما رسم على صفحة

القرطاس لا بد ان يجري على صفحة الارض ويرسم . ثم ادخل في هذا المعترك نذيراً وقف بين الجمعين خطيباً وتكلم

« ننقل الكلام الاتي من قصيدة لفيكتور هيكو »
« الشاعر الفرنساوي الشهير »

ايها الانسان الواقف في وجه اخيك انت السهم وانت الوتر فمن الذي يرميك وما هو الساعد الذي ينزع فيك وما بال هولاء القوم يذبح بعضهم بعضاً وهم لا يعقلون وانتم ايها الجند باي حق تحملون السيوف وماذا تصنعون هنا وما هذا الصياح وما هذه المدافع . اي بني الانسان انتم احقر من ذبابة واجهل من نملة ما لي اراكم اشد من الاسود بطشاً واقداماً وبامر من انتم هكذا ولاجل من تتقاتلون . الا تعلمون ان ليس لكم الا حق واحد وهو ان تحبوا بعضكم بعضاً وليس لكم من ربكم الا امر واحد وهو ان تنموا وتكثروا وتعمروا الارض فما بالكم تعكسون الاية وما بالكم لا تطيعون

وانتم ايها الملوك انكم تلتفتون حواليكم فلا ترون الا ارضاً تريدون امتلاكها ومدناً تطمعون في اخذها وافتتاحها ومجداً تزعمون انكم تنالونه في انتصاركم ومطامع هي اخلاق الذئاب يعدو الفريق منها على الفريق ويفترس الذئب منها اخاه . وانا التفت يمنة ويساراً فلا ابصر الا امهات تبكي اولادها . وقلوباً تندب آمالها . وارضاً مقفرة من عمالها . وعيوناً غائرة تحت دموعها . وحداداً منشوراً على اطلالها . وحياة هاربة من ابنائها . وشعوباً يلعب رجالها بالموت لعب الاطفال وهم لا يشعرون

وانتم ايها الجند الذين تسمعون . ما بالكم تبصرون ولا تعون اتكونون

العدد والقوة والراس والساعد والاصل والقشر واللباب والاغصان والاثمار والاوراق بل شجرة العالم باسرها وتكون الدنيا كلها لكم لانكم كلكم لها وتكونون جبابرة الله ونوع الانسان والعامل الاكبر في عمران الاكوان ثم نقدمون على مثل هذا الذل وانتم تعلمون. وتضعون ايديكم في قيد طفل صغير هو واحد منكم اتكونون كل هذا ثم تفعلون هذا. اذن فالمستحيل موجود وقد اصبحنا نراه رأي العيون

افاذا قام ملك فاهان ملكاً او غضب امير على امير تجمعون انتم انفسكم وتحشدون اعدادكم وتعدون سلاحكم ويلتقي بعضكم ببعض في هذا السهل وانتم لا تعلمون لماذا بل انتم لا تعرفون الامير الذي تحاربون من اجله. ولا تعرفون اخاكم الذي تسعون الى قتله. ولا يعلم الواحد منكم ايكون هو القاتل ام هو المقتول في هذا المعترك الهائل بل هذه المظلمة الشنعاء . يا عجباً للشعب يكون الكل في الكل وهو القوي القادر الآمر كيف يرضى بهذه المظالم الوحشية وكيف يقبل ان يساق الى القتال سوقاً بالعصي واخذاً بالاعناق لوهم باطل يقال له الملك وظل زائل يقال له النصر يتنعم به رجل فرد في قصره ويجنيه له الوف من بني الانسان باثمان الارواح والدماء أليس هذا هو الخسران المبين . حاشا لله ان يكون المرء عاقلاً قادراً متنعماً مخلوقاً على مثال الله في رقته وحنانه ثم يقدم على قتل اخيه بيديه ويهدم الكون الذي اقامه الله لبنائه ويتصور نفسه قهر جموعاً من امثاله وهو لا يفطن انه رهن رجل واحد وان يداً واحدة قد قهرته باسره وقادته الى الموت عنفاً وقسوة لمطمع من مطامعها وتركت خلفه اولاداً

يصبحون من بعده يتامى · ونساء يصبحن ثكلى واياى · وعيوناً باكية يحجبها الدمع عن النظر وقلوباً مفطرة جنى عليها الفرد المالك وهي تعاتب القدر. حقاً ان ذلك لما تذوب له الاكباد حزناً واسفاً · ويكاد يثير سخط الخالق على ارضه فيجعلها قاعاً صفصفاً · وما الله بغافل عما يعملون

كيف يكون الزواج

عثرنا في احدى الصحف الفرنسوية على قصة موجزة الحادثة ادبية المغزى فآثرنا تعريبها فكاهة للقراء الذين سئمت نفوسهم ولا شك من جد الحوادث السياسية وهزل الدول فيها وهي كما يأتي منقولة على نسقها الاصلي في اللغة الفرنسوية ·

لحظت مرغريت ان فتى من العمال يتبعها كل مساء على مسافة منها حتى يوصلها من محل شغلها الى منزل والديها · ولقد كان في طبعها وعزة نفسها ان تهزأ بطمع هذا العامل فيها بعد ان ردت من خطابها من هو اغنى منه كثيراً ولكنها مع عنفوان ذلك الصبا فيها وتلقيب اترابها لها بالاميرة الصغيرة لزهوها وجمالها لم تتمالك ان تأثرت من منظر ذلك الشاب الاديب وعمل في فؤادها لطف مرآه · ثم استمرت تصادفه كل صباح في طريقها وهي ذاهبة وتشعر به يقفو اثرها كل مساء وهي عائدة الى بيتها حتى صارت تشعر منه بسرور خفي لم تقدر ان تنكره على نفسها رغماً عما كان

يغالبها من عزة الجمال وحياء النساء بل صارت كلما رأته قادماً من بعيد بثيابه الزرقاء التي تدل على انه عامل في معمل حديد او في احدى المطابع وكلما شعرت بنظراته الحلوة واقعة عليها وهي سائرة يخفق فؤادها حباً ويحمر خداها حياءً وتمر من جانبه وهي راجفة الاعضاء مطرقة الابصار

وقد ظهر لها من نظافة ثيابه وحسن طلعته وادبه انه فتى شريف النفس كريم الاخلاق وانها تقدر ان تنظر اليه من طرف خفي ولو اثر ذلك المنظر عليها وكان خطوة في سبيل الغرام الذي تحاول كل فتاة ان تخلص منه فلا يزيدها ذلك الا اقداماً عليه· ثم كان يتخيل لها مما تراه من ظاهر هيئته انه شاب فقير له والدة عجوز يعولها في منزل حقير على قدر مقامه كما هو شان كل عامل شريف يدعوه واجب الشرف الى العمل وواجب الامومة والقربى الى القيام على والديه· كل ذلك وهي لا تجسر ان تخاطبه ولا يجسر ان يفاتحها بحديث حتى اتفق لها ذات مساء وهي سائرة الى بيتها ان اعترضها فتى سفيه تعود ما اعتاده اكثر السفهاء عندنا وفي كل مكان من اعتراض الفتيات المنفردات في الطريق ومقابلتهن بالكلام الوقح والجبين الصلب الذي لا يندى حياءً مما يندى منه جبين العذراء · ولكن لم يكد ذلك المعترض يفاتحها باول كلمة حتى رأت صاحبها العامل قد وقف بجانبها ونظر الى الفتى نظرة منكرة جعلته ينكس راسه حياءً وخوفاً ويعاود مسيره صاغراً معتذراً عما كان منه· ثم وقف العامل امام الفتاة باحترام وقال لها لا تخافي يا سيدتي وسيري في سبيلك· فشكرته بلطف على احسانه ومرت سائرة وقد اثر في فؤادها ذلك الامر كل التاثير وشعرت لاول مرة في حياتها

انها عاشقة وان قلبها قد تعلق ذلك الفتى الجميل الاديب وانها اصبحت تعي في صدرها سرًا لا تجسر ان تبوح به لابيها وامها حياءً منهما بما عرفاه من انفتها واستكبارها وانها لا تتنازل الى حب عامل صغير . وكانت تلك اول مرة لفظت بها الحب في ضميرها فتحرك فؤادها بين عاملين من سرور الغرام وخوف العواقب ووقفت حائرة لا تدري اتبكي ام تضحك وهل امرها مما يوجب الضحك او البكاء . وكان ابوها كثيرًا ما يفاتحها بامر الزواج ويخبرها انه يريد ان يزوجها بفتى اديب عامل يليق بها وتميل اليه وهي تخشى ان يكون ذلك الخطيب غير حبيبها فتقع فيما تخشاه من الحيرة والارتباك حتى اذا عادت ذات مساء الى منزلها رأت صاحبها جالساً عندهم على الطعام فعلا وجهها الاحمرار ورجفت اعضاؤها خوفاً ولم تتمالك ان سلمت عليه مسرعة وخلت في حجرتها ريثما سكن روعها وخفوق فؤادها ثم عادت فجلست واختلفت بين القلبين رسل العيون بما لا يمكن ان تحويه عبارة متكلم ولا يراعة كاتب الى ان سلم وانصرف فاخبرها ابوها انه قدم يخطبها منه وانه اجابه الى طلبه بعد ان سال عنه فعلم انه احسن عامل في المعمل الذي يشتغل فيه وسألها في قبوله فاجابته بالايجاب وهي تحاول ان تستر عوامل السرور تحت حجاب الحياء والاطراق فسر ابوها بقبولها وعجبت امها لتغير اخلاقها ورضاها بفتى عامل بعد ان كانت لا ترضى اغنياء الفتيان وعقدت الخطبة بين العاشقين وصار الشاب يسايرها جنباً الى جنب فيوصلها الى شغلها وهو مسرور من مرافقتها . وهي مفتخرة بخطيبها وقد عجب بذلك كل من رآها من اترابها الفتيات وكل من عرف ما كانت

عليه من العزة والازدهاء

ولما حانّ يوم الزفاف واجتمع اقرباؤها عندها وردتهم هدايا الخطيب للعروس في علبة كبيرة مذهبة فلم يكادوا يفتحونها حتى تراجعوا مندهشين مما رأوا فيها من الحلي الفاخرة والاحجار الكريمة وبينها خاتم مركيز ودبوس عليه تاج من الماس مما لا يقوم بالاف من الدنانير فندم ابوها على ما كان منه وقال ان هذا الفتى سارق ولا شك وقد ضاعت آمالنا فيه والا فكيف يمكن ان يحصل على مثل هذه الجواهر ومن اين تأتيه هذه الحلي وفيما هم كذلك وقد علتهم الدهشة حتى كأن على رؤوسهم الطير فتح الباب ودخل الخطيب باسماً مسروراً وسلم بلطف وادب فقال له ابوها لقد ساءني يا سيدي انك غششتني واخلفت آمالي ولم تسلك سبيل النزاهة والصدق معي وارسلت لابنتي حلياً ليست من مقامها ولا من مقامك والله اعلم من اين مصدرها وكيف وصلت اليك . فضحك الفتى وقال عفواً يا سيدي العم فانني قد خدعتك مكرهاً كانني اردت ان اتخذ امرأة تحبني انا وحدي اي تحب شخصي واخلاقي دون مالي واعلاقي حتى ظفرت بينتك هذه فاحببتها واحبتني وهي لا تعلم مني الا انني عامل فقير وقد عشقت بي صفاتي دون سواها مما تميل اليه قلوب النساء وما خلا ذلك فانني لم اخدعك بشيء بل انا مركيز غني كما ترى من هديتي هذه والمعمل الذي اعمل فيه هو ملكي ولي ثلاثة مثله ايضاً وعندي عدا ذلك املاك وعقار واراضٍ واسعة وقصر كبير ورثته عن ابائي ولي دخل يبلغ خمسة عشر الف فرنك في السنة وها انا مع كل ذلك بل بدون شيء من ذلك اركع

مع عروسي على قدميك واطلب منك ان تسمح لي بها وان لا تحرمني اشرف فتاة احببتها لادبها واحبتني لاجتهادي وشغلي وما كذبت في اعتقادها بي فانا عامل مجتهد اعمل مع خدمي واعتبرهم اصدقائي وزملائي وارى ان ذلك اشرف لي واولى من ان اصرف اوقاتي واموالي في بيوت القمار ومركبات النزهة والبطالة والكسل. (انتهت بتصرف)

فمن لنا بشبان مثل هذا الشاب الشريف ومن لنا باغنياء يقصرون همهم على اختيار ربات الجمال وياخذون من الفتاة نفس الفتاه لا ما عندها من النقد والمال

الشبيبة في مصر

لقد رأينا في مقالة الامس التي عربناها بعنوان « يقظة غرام » نصيحة صدق وان صدرت مصدر عشق فلم نجد باساً من الافاضة فيها والتوسع في موضوع نصحها بما يكون منه فائدة لكثيرين من شباننا الادباء وفتياننا النبهاء الذين ما نجد صاحب المقالة قد كتبها الا تنبيهاً لامثالهم من ابناء بلاده لا تذكاراً لايام شبابه وصبابة فؤاده

وانما هو قد اوردها ونقلناها نحن عنه في هذا القالب الفكاهي الروائي تنشيطاً للنفوس على قراءتها وترغيباً لها في اتمام تلاوتها جرياً على ما هو معهود في اذواق فتياننا بل في سائر اذواق الفتيان في كل عصر من

الميل الى مثل هذه الفكاهات والاقبال على قراءة ما خالطته رقة الغزل من المقالات والروايات

فلقد وجدنا اكثر الفتيان عندنا يرزق الواحد منهم راتباً ينفقه او ارثاً لم يتعب في تحصيلة فيقبل على الفتاة الحسناء من بنات الحانات او امثالها فينفق عليها فضلة ماله ويصرف اليها جل اوقاته ويوقف لها اميال فؤاده وخواطر افكاره وساعات فراغه وصحة شبابه ولا يصل دينار راتبه الى كيسه حتى يفرغه في كاس حانتها ولهو مغازلتها واضاعة قدره بينها وبين امثالها من ذوات الخلاعة والقصف جهراً على اعين الناس وقوارع الطرقات ونوادي الحانات معصية غير مستورة وهفوة غير مواراة وارتكاب نواهٍ ما دونه حجاب نقلاً عن التمدن الحديث وتقليداً لذلك الزي الجديد. ولا يبعد على البعض منهم ان يعلق بهوى تلك الحسناء وتجذبه شراك المقلة النجلاء فيصبح عاشقاً مغرماً يبذل من صحيح غرامه وجوهر فؤاده وحقيقة عواطفه وصبابة قلبه على فتاة لا تحس من ذلك الغرام بجذوة ولا تحركها من عوامل ذلك الحب الصحيح نسمة والقلب يذوب لديها وهي لا تذوب الا من اللسان . والنفس تقطر من هواها دموعاً على الخدين وهي لا تقطر الا دمعة الكاس على مائدة الحان. والفتى هائم مشغول بتلك الطلاوة وقلبها مشغول عنه بغيره وهي تعطيه من طرف اللسان حلاوة حتى يصادفها عاشق قادر او جمال فاتن فتترك عاشقها الاول في ليلة غاب بدرها وتسلط خمرها فيصبح من بعدها يعض بنان الندم ويقرع سن الخيبة والاسف الى ان تشفيه الايام من ذلك الغرام وقد جرعته من كاس النوى مرارة اشواقٍ الذ منها الحمام. بل لا

يبعد ان ينعكس الامر على تلك الفتاة التي باعت جمالها في سوق الفقر وانزلتها يد الحاجة والعوز الى ذلك القدر فتولع بهوى صاحبها المتردد عليها وتهيم به الهيام الصحيح وتحمل من حبه الوجد المبرح كما هو المعهود في هذه الطبقة من النساء اذا اخلصت الحب ووصلت الى صحيح فوادها جوارح الهوى فتوقف له حياتها وتبذل له خالص هواها وتتهالك في سبيل حبه اكثر مما هي متهالكة في سبيل معاشها وارتزاقها ثم يتفق لذلك الشاب ان يهيم بسواها وتقيده حبائل جمال خادع غير حبائل حبها الخالص فيجفوها بغير ذنب ويهجرها بلا سبب ويتركها فريسة دامية بين ايدي الهجران وريشة طائرة في رياح الشجون والاحزان ويكون قد جنى عليها جناية لا يلحقها عقاب كما جنت غيرها على غيره جنايات الهجر التي لم يرد قصاصها في كتاب .

ذلك طرف في وصف حالة بعض الشبان الادباء في هذا العهد قد انصبوا عليها وتهافتوا على اتباعها وهجروا كل لهو ولذة سواها فما يخرج احدهم من الديوان . الا الى الحان . ولا يفارق مقعد الكتابة . الا الى كرسي الصبابة . والاعمار بين ذلك تفقد ضياعاً . والاقدار تبتذل اتضاعاً . والاموال تتسرب اتباعاً . وما حياة الدنيا الا متاع الغرور . فما ضرَّ الفتى من فتياننا لو قصر هذا السعي على فائدة نفسه ووقف تلك النفقة على بيته وصرف بعض هذه الاوقات على علمه وادابه واقتصد شيئاً من ذلك المال في سبيل مستقبله وتوقع ما يكون في قابل ايامه . او اقتصر على فتاة اديبة يتخذها قرينة يأنس بها ويصون حياته وماله بقربها ويقف آماله ومستقبل حياته عليها

ويكون رجلاً اديباً كاملاً قد استقر على حالة من حالات الدنيا ووجه انظاره وافكاره الى احوال معاشه واسباب تقدمه وارتقائه. فان المرء لا يزال في هذه الحياة قلقاً مضطرباً تلويه كل عين وتعبث بفؤاده كل تبسمة حلوة من كل ثغر جميل حتى يقترن بمن يقرن بها ايامه ويضع عندها خزائن قلبه وفكره فيستريح من مشاغل الفؤاد وقلق الصبابة ولواعج الوحدة ويعمل على ما به حقيقة الراحة ومستقبل العيش السعيد. والا فان هذه الحال الفاسدة التي وصفناها تقلل في الزواج وتمنع من تمام الحياة وتوجب كثرة الفساد والشرور وتؤول بالبلاد الى ما اصبحت تشكو منه بلاد الغرب من قلة النسل وانتشار القبائح والفساد . واذا كانت بلاد الغرب مع زهو تمدنها وتمام عمرانها وارتقاء حضارة ابنائها قد اصبحت تشكو من هذا الشان وتخاف من عواقب استمراره فما القول ببلاد الشرق وهي تشكو الان من كل مصيبة وتنقصها كل فائدة اذا اضيفت اليها هذه المصيبة الاخرى وهي ادهى المصائب واشد النوازل لانها تقضي على الحياة والانسان وتعم اضرارها النوع باسره من فتيات وفتيان نسأل الله ان يلهم شباننا طريق الهدى وان يعملوا على ما فيه صلاحهم وصلاح بلادهم حتى لا تذهب اعمارهم واموالهم سدى

يقظة غرام

عثرت في بعض الجرائد الفرنساوية على مقالة لاحد كتابها الادباء وصف بها اول عشق داخل فؤاده واول حبيبة اوى اليها في صباه فاحببنا تعريبها فكاهة للقراء ولانها لا تخلو من فائدة لمن يسير على هذا السبيل من شباننا الادباء قال

اكتب رسالتي هذه وانا قد نسيت اسم التي كنت اهواها لطول العهد بها وبعد مسافة الفراق بيني وبينها وقد جهدت كثيرًا ان اذكره فما اغنى الجهد ولا نفع التفكير وما انسانيه الا الشيطان وكفاني اذا نسيته انني لا ازال اذكر حوادثه واتمثل ما كان لي مع صاحبته من اوقات الصفاء وساعات الهناء فاحسبها عادت اليَّ بمثل مسرتها وبهجتها كالغني الذي يفتح عتاق خزائنه فيجد فيها قديم كنوزه باقية على عهد قيمتها واصل اثمانها ورونقها وان يكن قد علاها من طول الايام بعض غبار الاهمال وصدأ الاغفال والنسيان. ولقد كنت يوم شرَّف الحب قلبي باول زياراته ابن ثماني عشرة سنة اي في زهرة العمر وقد اخذت تتفتح اوراقهـا لنسيم الصبابة وندى الغرام . وفي فجر الشبيبة وقد اخذت تبدو من افقه شمس الحياة فتنير له ما تقدم وما تأخر من الايام . وقد اسعدني الدهر بحب تلك المعشوقة الحسناء فكانت بين ذراعيها اول كلمة همسها فمي من كلمات الهوى وعلى عنقها الابيض اول قبلة وضعتها شفتاي من قبلات العاشق

الولهان وفي قلبها اول نقطة سكبها قلبي من نقط غرامه او نقط دمائه وفي حبها لي اول مرآة رأيت بها وجه حبي وتمثل لي خيال قلبي كما احب ان امثله واراه فكنت البسها ثيابها بنفسي واعقد مشدها على خصرها بيدي وما اجمل ذلك الخصر وهو يدق ويستدير تحت ذلك المشد وهو يضيق ويجتمع وهي في اثناء ذلك واقفة تجاه مرآتها تبسم لخيالي امامها عن ثغرها الدري فانسى ما انا آخذ فيه من عقد المشد على ذلك الجسم اللطيف وازيد في حبكه وجذب اطرافه حتى تنبهني وهي تقول بصوتها الرنان لا تزيد في الشد يا بنيّ فانك تؤذيني

ولقد خلت من شدة حبي لها وفرط هيامي في محاسنها انني لا اتأخر عن الاقتران بها راضياً مسروراً لولا ما كان ينبهني في بعض اوقات الفتور من جهل ماضيها وخفاء حياتها وسابق حوادثها وامكان حبها لسواي فارقد آنفاً غيوراً والغيرة على قدر الغرام

فلما كانت احدى ليالي العيد ذهبت الى المنزل لآخذها معي الى وليمة حافلة دعاني اليها احد اصدقائي الاخصاء فلما دخلت عليها وجدتها لابسة ثيابها كأنها في انتظاري وقد جعلت زي ثوبها واظهار صدرها وارخاء مشدها على النسق الذي كنت احبه وادعوها الى استعماله فكادت تنسيني ما انا قادم لاجله وكدت اقول لها لنبقَ في مكاننا فلا اريد الذهاب الى مكان . ولكنها اخذت يدي بدلال ونزلت بي الى الشارع مسرعةً كأنها فرخ حمام يزدهي باول طيرانه فسرت بها وانا احسب الناس تحسدني عليها واحب لكل احد من المارة يراني واياها واجد في نفسي زهواً وفخراً في المسير

الى جانبها واشعر انني قد اصبحت رجلاً اذ قد صارت لي معشوقة وصرت محباً ومحبوباً وهي ولا شك الحساسة التي يشعر بها كل من كان في سني واسعدته الايام بمثل غرامي فانه ينظر الى المستقبل بعين الواثق الظافر من آتي حياته ويرى انه قد تخلص من قيد ابيه وامه واصبح في قيد حبه او قيد نفسه وانه اصبح رجلاً يحب النساء ويحببنه وقد خطا اول خطوة وحده في ميدان الحياة

ولما وصلنا الى منزل صديقي وجدت المدعوين عنده كثيرين من امثالي وامثال محبوبتي فجلسنا نتعاطى كؤوس المدام بين لطائف الحديث والسمر ثم قمنا الى الطعام وانا اشعر انني قد بدأت اسكر مما شربت واخذنا مجالسنا على المائدة فلم ابصر الا وحبيبتي جالسة عن يمين صاحب الدعوة وفتاة مثلها جالسة عن يساره فكاد الغضب يحملني على الاعتراض ولكني تمالكت وسكت ودارت بيننا كؤوس النبيذ على الطعام حتى لعبت بنا سورة الخمر ونظرت صاحب المنزل قد اخذ يترنح من سكره ويميل بالتقبيل تارة على يساره وتارة على يمينه فكدت انهض اليه وارده عمن اهواها لولا ما ردني من مراعاة المقام وحرمة الاجتماع وفترة السكر التي سرت في اعضائي ثم تقدمنا في طعامنا وزادت دورة الخمر في رؤوسنا او في راسي انا وحدي فرأيت كأن سحابة غشت على بصري وان كل شيء امامي قد تغير تقريباً عن وضعه وان اكثر المدعوين قد نهضوا بعد ان خف ما عليهم من الملابس وان حبيبة قلبي ومنتهى آمالي وملاك صبوتي وغرامي قد مالت على صديقي تغازله وجهاً لوجه وقد كادت شفتاها تمس شفتيه وكاد نحرها

يظهر كله مما وسمت حوله من حجب الثياب فانقبض لذلك قلبي وشعرت كأن جارحة نزلت في صدري وتوهمت ان وترًا رنانًا قد انقطع في عود حياتي

وهنا وقف حد تذكاري وضاع عني ما كان يجري حولي فلم اعرف منه شيئًا ولا اذكر مما رأيت حرفًا سوى انهم حملوني في مركبة وانا فاقد الشعور واهي القوى حتى بلغت منزلي فسألتهم عنها واين تركتموها فقالوا لا تجزع ولا تضطرب فقد هجرتك هجرًا طويلاً وقد سافرت من ساعتين فسقطت على سريري ضائع الرشد من سكر المدامة والحزن الى ان افقت في الصباح وفي عزمي ان اطوف الدنيا بحثًا عنها واقتل صديقي رب المنزل غيرة منه عليها ولكنني توقفت عن عزمي واخذ سلطان العقل يتولى على دولة جهالتي وغروري فعلمت ان الحب من هذا القبيل خدعة وخيانة وان كل محبوبة من هذه الطبقة انما هي لعبة وفكاهة وان فتى يعلق قلبه بحب غادة سيارة ليس الا احمق مغرورًا فعدت الى رشدي وتكلفت سلوة الغرام جهدي ووكلت الى الايام شفاء نفسي فما لبثت ان تعافت من سقمها واصبحت بعد ذلك الحب لمن اهوى وانا لا اذكر حرفًا من اسمها وعدت اتمثل بمن قال

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن	عليك شجى في الحلق حين تبينُ
وان هي اعطتك الليان فانها	لغيرك من خلانها ستلينُ
وان اقسمت لا تنقض العهد والهوى	فليس لمخضوب البنان يمينُ

معركة سيدان

هي الموقعة الهائلة التي انصرم فيها حظ فرنسا وانكسرت رايات نصرها امام الجيش الالماني وقامت المانيا تحتفل لتذكارها في هذه الايام اعظم الاحتفال . وقد عثرنا لشاعر فرنسا المجيد فيكتور هيكو على قصيدة في وصفها قال :

هو السهل الواسع موعد الاجتماع العظيم جاءوا وجئنا اليه على قدر فكنا واياهم غابتين حيتين اعاليهما رؤوس الرجال واشجارها الاعضاد والارجل والسيوف واصوات الوغى ثم زحفت الغابة على اختها واختلط القوم وعلا الصياح ودوت طلقات المدافع وتنادت الابطال وثبتت الشجعان وكان كل ذلك احكام اعدام القتها الملوك على الرجال فانفذها الانسان على الانسان واعتد الشقيق قتل اخيه فوزاً ونصراً واعتاد الفرنسويون طريق النصر بعد معارك نابوليون الاول فصاروا لا يرون الا انتصاراً ولا يرى اعداؤهم الا انكساراً حتى اخلفت الايام تلك الآمال وابطلت الحرب تلك العادات ومرَّ اله النصر على مركبته يجوز ابطال فرنسا وهم لا يبصرونه حتى حاد عنهم الى صفوف الاعداء . هذا وقد كان القتال شديداً والمذبحة هائلة والبنادق تصدم البنادق والرصاص يلقى الرصاص والافق اقتم مظلم تطل منه خيالات الموت وتلوح على شفقه الاحمر الوان الدماء وقد حامت العقبان تطلب رزقها من الاشلاء وتعد كل مقتل وليمة وكل

مذبحة خواناً حتى كان يخيل للناظر ان الطبيعة قامت تشارك الانسان في معاركه واهواله وان العناصر والجماد قد صارت عوامل حية في ذلك المعرك الضنك والجيش في ميدان هياجه بين اخذ ورد واقبال وادبار كأن كل فرد منه ينتزع النصر من كف عدوه انتزاعاً وقد قامت فرنسا في جانب والمانيا في جانب وكل منهما لا ترى سوى الموت دليلاً ولا غير الحمام رجاء وسكرت الرؤوس بخمر الدماء ودارت كؤوس الممات على الرجال فثبتت كل قدم في موقفها لا ترجع ولا تحيد وكانت الساعة هائلة والعراك شديداً ضيقاً والمدافع تصب البلاء على الاجسام صباً والجرحى تسقط مخضبة فتدوس عليها الاقدام جموعاً والبارود يدوى بين بروقه ودخانه كأنه ينفخ على الجيوش ناراً وحماً والجند لا ترى غير الواجب والوطن والمجد والفخر فلا تميل الى غير اصواتها اذناً وبينما الوغى في اشد احتماسه والجيش يهجم مستبسلاً ويستقبل الموت باسماً والحديد يقرع الحديد والهاجم يدوس القتيل الساقط وابواق القتال تنفخ موسيقاها بشدة وزفير ورجال فرنسا تذكر اجدادها وتريد ان تقتدي باسلافها في ساحات القتال وسوابق النصرات اذا بالرايات قد نكست والاعلام قد التوت والرجال قد وقفت والمدافع قد صمتت والسيوف قد نبت عن مضاربها فلا تغمد ولا تحرك وصوت نابوليون الثالث قد طلع في ذلك الجمع وهو يصيح كفوا عن القتال فلا اريد ان اموت . فوقفت المدافع عند ذلك عن دويها كأنما اصابها اندهاش وجمود وانقطع صليل السلاح كأن لم يكن سلاح ولا جنود واقبل النسر حائماً يخطف احشاء القتلى ويعتدي على ضواري الاسود.

ورأينا البلاد في مجدها الزا هر من كل حقبة وزمان
ورأينا الابطال من الفعام ثم من قبلهم الى شرلمان
ورأينا جند الوغى ورجال الـ بأس من قادة ومن شجعان
ورأينا أسد المعارك ابطا ل المنايا ونخبة الفرسان
قد رأينا الجميع بعد علاهم سلموا سيفهم بكف جبان

المرأة والرجل

خلقهما الله ذكرًا وانثى · واوحى باقترانهما ما اوحى · وجعل الحب عروته الوثقى · فجعل الفؤاد له مأوى يسعد به ويشقى · ويموت به ويحيى · واقام اللحظ آيته الكبرى · يرسل الى القلب الهوى · فيأمر فيه وينهى · فاثار العاطفة القصوى · عاطفة الوجد الاولى · فنبه النفس من الكرى فآنست من الجمال نارًا تذكى · فوجدت على النار هدى · فعلمت سر الجمال واخفى · فهامت غرامًا الى اللقيا · وسعت لها سعيها الاوفى · فكان القران خاتمة المسعى

تولد البنت فيبسم لها ثغر الحب قبل ان يبسم ثغرها لوجه الحياة ويخفق لميلادها قلب الصبابة قبل ان يخفق فؤادها بانفاس النسيم ويرف من حولها جناح الهوى قبل ان يكتنفها جناح الهواء وتستبشر بها سعادة الغرام قبل ان يعبس لها وجه الوالدين ويقول الحب هذه غرض لسهام الغرام قبل ان تقول الدنيا تلك غرض لسهام الايام · ثم

تنشأ في بيت ابيها ناجمة عصر تنتظر ناشقها وزهرة جمال مرصودة لقاطفها وثمرة غبطة وهناء ترجو قدوم جانيها حتى اذا اكتمل جمالها واستتم هلالها ودانت قطوفها اعرض ذلك الجني عنها وفاتها ذلك الفتى الذي خلقت له وخلق لها وانصرف يجري وراء سواها من بنات الليالي وفتيات الحانات وهو يدوس جمال تلك الحسناء بتغاضيه واهماله كما يدوس الصائد زهرات الربى الزاهية وراء طير يطارده وقد لا يصيده واذا صاده فقلّ ان يكون فيه نفع او غناء

يفعل الفتى كل ذلك ويجري في ميادين الصبابة واللهو مخلوع العذار مطلق العنان وتبقى الفتاة في خدرها وحظها في النهار النظر وفي الليل الفكر وهي تشعر بالحب يضيق به صدرها ولا ينطلق لسانها ويظهر الغرام من عينيها ولا تقدر ان تبديه بفمها وتدعو الفتيان بجمالها ولا تجسر ان تدعوهم بقولها وترى انها اما ان تكون لواحد وهذا الواحد لا يلتفت اليها واما ان تكون للجميع كغيرها وهو ما لا يسمح به حياؤها وعفافها فتبقى كالوردة الناضرة يظهرها الجمال ويخفيها الخجل وتقيم في مكانها كالحمامة الهائمة تدفعها علة الظماء فتردها رهبة الوجل

تلك هي الفتاة التي خلقت للزواج وابدعها الخالق زينة المنزل واكمل بها خلقة الانسان. قد اتمت واجبها من انتظار الفتى الذي خلق لها ووفت حق جمالها بصيانته والزيادة عليه ووفت لها الطبيعة عهدها في تمام زينتها وكمال محاسنها عند بلوغ الرشاد وزادت هي حلية جمالها بما اضافت اليه من حسن التهذيب واداب النفس واصبحت جوهرة كاملة

يليق ان تنتظم في عقد الاجتماع وحلية ثمينة يجب ان يتمم بها الرجل ما ينقصه من زينة الدنيا وسعادة الحياة· فهل وفى الرجل ما خلق لاجله من الاقتران بها واين العهد الذي اخذته عليه الطبيعة عند ميلاده كما اخذته عليها واي عذر له في ان يترك تلك السعادة الدائمة ولذة ذلك الحب النقي المستمر ليجري وراء امنية زائلة تعود عليه بالامراض والشقاء ويتعلق بكل فتاة خادعة تقوده معها الى مهاوي العار وحضيض الذلة والهوان ثم لا تلبث ان تعقبه من فاسد قربها هجراً طويلاً وتبيعه كاسد جمالها وزائف حبها فيشتري بعفته واداب نفسه ثمناً قليلا

واذا كان الدهر قد حكم للفتى بقوة مطلقة وعيشة مستقلة وسيادة كاملة ساد بها على الدنيا وحكم نفسه بنفسه وانفرد عن مشورة سواه وكانت الاقدار قد حكمت على الفتاة بعكس ذلك من التقيد باهلها والتعلق باحكام والديها وذويها والاحتباس في خدر من العفة والخجل هو اشد الخدور صيانة واوثق السجون توصيداً فهل ينبغي للرجل ان يستعمل تلك السلطة المطلقة في ظلم هذه الخالقة الضعيفة المقيدة وهل يليق في عرف الانسانية التي وضعت شرائعها لحماية الضعيف من القوي ووقاية المظلوم من كف الظالم ان تسمح بهذا الظلم الذي حكمت به الطبيعة كما حكمت بسواه فمنع الانسان كل ظلم طبيعي سواه ولم يرد ان يتلافاه· انه لا يكفي الفتاة ان تنظر اليها بثغر باسم وقلبك مبتعد عنها وهو في قبضة سواها· وانك لا تتلافى مظلمتها واساءة الدهر اليها بان تقابلها بالاجلال وتغريها بلين الكلام وترنو اليها بعين الحب وانت تصرف الحب الصحيح الى غيرها من

لا تستحقه من بنات الهوى وفتيات الازقة والحانات وتلقي الكلام الذي يخرج جوهر غرام من صميم فؤادك على اقدام نساء بغايا يدسن عليه بعد انصرافك كما يدسن على جوهر فؤادك في حضورك . بل انت بذلك تغري فتاة المنزل الحسناء فتحملها من نقضك واخلاف وعدك ظلماً جديداً فوق ما ظلمتها به الايام . وتغري الفتاة الساقطة بابتذال مالك وغرامك فتزيدها طغياناً وضلالاً في سبيل التهتك والابتذال يعود على غيرك من فتيان الجهالة باضعاف ما عاد عليك من المذلة والخسران

ثم ياليت هذا الرجل التائه في غلوائه يستمر على هذا الطريق الى اخره ويبقى على هذه العيشة الفاسدة الى ختام حياته فانه بذلك لا يضر الا نفساً واحدة هي نفسه ولا يجني على احد سواه . ولكنه متى لعبت في رأسه طلائع الشيب وعبثت به يد العجز والكبر وتخرمت جسمه البالي امراض النساء وعاهات الغواية والفحشاء اقبل يلتمس من مصونات المنازل وفتيات الطهارة والآداب ضحية بريئة طاهرة يقدمها على مذبح امراضه ويشركها في مالم تجن به شيئاً من غوائل علاته وادوائه ويجعل نصيبها من عواقب مرضه وعاهاته وهي المصونة في خدرها والحابسة النفس عن اميالها واهوائها نصيب التي صرفت ايام صباها على التهتك والفحشاء وارخت لنفسها عنوان الشهوات في ميادين الخلاعة والبذاء . ثم يجني بعد ذلك على اولاده تلك الجناية القتالة التي يشركون بها اباهم في شقائه وهم لم يشركوه من قبلها في شيء من ملذاته ونعائه وهي حالة لو تأملها القلب القاسي لاصبح رقيق الشعور والاحساس فكيف لا يتأملها اصحابها اللطفاء وهم يدعون رقة

الصبابة ولطف المدامة والكاس ان في ذلك لعبرة لكل ذوق سليم وتنبيهاً لكل فؤاد حساس

المرأة والمرآة

جعل الله حلية الرجل عقله وكماله حسن حديثه وادب محاضرته ومكارم اخلاقه وجعل حلية المرأة جمال وجهها واعتدال قوامها وفتور عينيها وحسن ابتسامها ورقة لطفها ودلالها. فاتخذ الرجل المرأة مرآة له يرى فيها نفسه ويستشف منها ما خفي عنه من اخلاقه وآدابه وحسن وقعه في النفس وما له من التاثير على القلوب منها فهو يجلس في مجالس الحسناء يحادثها ويتقرب اليها وينظر من خلال وجهها وبريق عينيها وتلوّن محياها كيف يكون تأثيره عليها وهل هي مقبلة عليه او نافرة منه وهل هو مقبول في مجالسها او بغيض اليها فيعرف من ذلك ما هو وقعه في النفس وما هي منزلته عند ربات الجمال وما هي صورته الحقيقية وما هو رسم اخلاقه او رسم جماله في قلوب النساء فيزيد مما يراه حسناً مقبولاً ويصلح ما يشعر به في نفسه من العيب والنقصان

واتخذت المرأة وجه مرآتها كفيلاً لها باظهار ما خفي عنها من جمالها الذي تعتمد عليه ومحاسنها التي هي حليتها وكمالها في كل مقام تكون فيه. فكانت المرآة امين اسرارها ومرشد سيرها وهدى ابصارها ومشير زينتها والناصح المخلص لها في اصلاح ما نقص من محاسنها والدليل الهادي امامها الى

بلوغ ما تتوخاه من كمال بهائها وحسن محياها فهي تكشف للمرآة ما لا تكشفه لاحد في الدنيا من اسرار جمالها او نقائص تكوينها وتستشيرها في الذي لا يمكن ان تستشير به احداً سواها من لوازم حسنها ومتمات فتنتها وابداعها. ولقد يعجب الناظر منها بل لقد تعجب هي من نفسها لو تيسر لها مرآة ثانية تكشف لها ذلك الموقف الغريب حين تقف لدى مرآتها ساعات وهي جامدة الحركة مبهوتة الطرف تتأمل في وجهها وملامحها تاملاً طويلاً ينتهي بها احياناً الى حد الدهشة والذهول حتى تنسى موقفها وتصبح من شدة اشتغالها بنفسها وهي لا تكاد تشعر بذلك الاشتغال ثم تنتبه الى نفسها وتدير الحاظها في دقائق محاسنها وتنتقد ما يبدو لها من ملامح وجهها ثم تنقل طرفها في تقاطيع محياها وتنظر الى كل شيء وحده من تفاصيل طلعتها ثم تجمع ذلك النظر على كل وجهها ثم تنتقد باجماله بعد ان انتقدته بتفاصيله واجزائه. ثم تدير نظرها في كل جسمها لترى هل ينطبق ذلك المجموع على تلك التفاصيل وهل تكون محاسن ذلك الاجمال موافقة لجمال تلك الاجزاء. ثم لا يكفيها ما يبدو لها من هيئة قوامها وهي واقفة امام المرآة حتى تريد ان تعلم ما يكون تاثير حركاتها واختلاف مناظرها على العيون والقلوب. فتخطر لدى مرآتها خطوات لترى كيف مشيتها وكيف اهتزاز قوامها وهل فيهما عيب فتصلحه او حسن فتبقي عليه. ثم تعرض بوجهها قليلاً وتنظر الى خيالها شزراً لترى هل تحلو نظرتها على تلك الصفة وهل يبقى وجهها جميلاً بذلك الاعراض. ثم تبسم قليلاً لترى كيف هيئة ابتسامها وانتظام ثغرها وهل تكون جميلة لو ابتسمت كذلك ام ينبغي

ان تزيد في الابتسام. ثم تضحك بعد ذلك بملء فمها لتعلم كيف تكون ملامحها عند الضحك وهل يكبر فمها فيكون قبيحاً ام يزيدها الضحك لطفاً وجمالاً وبالتالي هل ينبغي ان تستره بيدها اذا اضطرت الى الضحك في مجلس ام ينبغي ان تضحك كثيراً لاقل حديث لكي تزيد في محاسن وجهها حسناً جديداً. ثم تنتقل الى تجريب عينيها وامتحان نظراتها كما يمتحن الرامي سهام كنانته وكما يجرب البطل مضارب سيفه وهناك الامتحان الطويل والبحث الدقيق ومجلى اسرار المحاسن ومظهر مكنونات الملاحة والجمال. فتنظر في مرآتها اولاً نظراً بسيطاً بلا كلفة ولا تعمد ثم تغزل بعينيها بعد ذلك كأنها تغازل احداً لديها لتعلم هل يخطيء ذلك الغزل ام يصيب. ثم تكسر اجفانها لترى تأثير ذلك الانكسار ثم تفتح مقلتيها وتجعل هيئة الضحك في عينيها لتنظر ما يكون لها من حسن الوقع في النفوس وشدة الفتك في القلوب. ثم تقطب حاجبيها وتنظر في خيالها نظرة الكره والغضب ثم تنظر بعد ذلك نظرة المودة والرضى لترى كيف يكون تاثير النظرتين وتكون عالمة بهيئة وجهها فيهما اذا لم تكن لديها مرآة. ثم ترفع عينيها الى السماء ثم تخفضهما الى الارض ثم تديرهما من الجانبين لترى كيف تكون طلعتها في كل تلك الحالات. ثم تنظر اخيراً في ثوبها فتصلح ثناياه وفي حليها فتسوي مواضعها وتعدل انحرافها وفي مروحتها فترى كيف تتبرقع بها وكيف تلبحها في يدها وفي حذائها فترى كيف يكون بروزه من تحت اثوابها وفي شعرها فترى كيف اجتماعه على رأسها او كيف تهدله كتفيها ثم في قوامها كله فترى كيف تناسبه واعتداله

تلك هي المرأة لدى مرآتها يحسبها الناظر اليها مجنونة وما بها من مس ولا لمم. وانما هي تتبع سنة الله التي خلقها عليها ومن يتبع سنة الله فما ظلم. ولكن ما ضرها لو اتبعت تلك السنة الى اخرها فجمعت الى جمال محاسنها جميل حسناتها. ورأت جمال نفسها في اسعاف البائس المسكين كما ترى جمال وجهها في صحيفة مرآتها. فان دعاء الفقير الجائع مرآة ترى فيها الحسناء صورة مكارمها وسجاياها. كما ان صحيفة الزجاج مرآة تنظر بها اعتدال قوامها وجمال محياها. خلا ان هذه تعدو عليها يد الدهر فتكسرها او تكسر تلك المحاسن الزهراء. ودعاء الفقير مرآة لا تكسرها الايام بل يرى المرء فيها نفسه في الارض ثم يراها في السماء

الزواج

هو الالفة التي تمتزج بها الروحان امتزاج الصهباء بالماء . والهوى الذي يطلبه القلب كما يطلب الصدر الهواء. والجنة التي لم يسعد آدمها الا يوم خلق الله له حواء. ولا عبرة بما لقي لاجلها من الشقاء فانما هي تعزية الشقاء . ولا بما جبلت عليه من الداء فقد كانت هي الدواء. واذا كانت قد حرمته هناء الجنة فقد عوضته في الارض بجنة الهناء . او منعته عن ثمار الخلد فقد منحته ثمار الوداد وحلاوة الابناء . وسبحان من كمل آدم بنقص ضلع من ضلوعه فزاد من حيث انقص واحسن من حيث اساء. الا ترى ان الفتى لا يزال ناقصاً في كيانه. خفياً في ميدان زمانه. وحيداً منفرداً

حتى يضم تلك الضلع الى جنبه ويرجع هذا الجزء الى مكانه · تلك حكمة الخالق لو لم يجد المرء ناقصاً لم يخلق له تكميلاً · ولو رأى آدم وحده جميلاً ما جعل له حواء تجميلاً · سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

وقد خاض البعض من كتابنا الادباء في هذا الموضوع المهم خوضاً طويلاً وارتأى كل منهم في شأن الزواج رأياً حسناً وذهبوا فيه مذاهب متنوعة وقد يذهبون اكثر من ذلك مع ما تبديه لهم الايام · وتفتحه لهم ايدي التجارب وقرائح الافهام · ولو تعمدنا الالماع الى كل مذهب مما ذهبوا اليه وابداء كل راي كتبوا فيه لطال بنا الكلام · ولكننا نجمل ما نراه في هذا المعنى اجمالاً نبين فيه للقراء السبب الاكبر الذي يحول دون الزواج ويمنع الفتى ان يضم الى جنبه ذلك القسم الذي خلقه الله له وجعله تكميلاً لخلقته وزينة لحياته وهو من اشد الناس رغبة فيه واكثرهم صبواً اليه لو كان ينطلق فؤاده في ميدانه · او يسهل لنفسه اسباب تحصيله وامكان وجدانه · ونقصر كلامنا في هذه العجالة على الفتى بخصوصه دون الفتاة وان كان الامر لا يتم الا باتفاقهما جميعاً لان الفتى اطاق يداً في الاختيار وابعد مدى في مجال الحرية والامكان · واقدر اسباباً على انتقاء الفتاة وطلب الإقتران بل هو السيد الذي يرجع اليه امر نفسه · والحاكم المطلق الذي لا يعارضه حائل فيما يريده من انتخاب عرسه والامر الذي في يده زمام الدنيا يصرفها على ما يشاء من رغباته · والحر الذي يملك هوى نفسه وفي يده حاجات عمره وضرورات حياته · بل هو المتحكم الذي يطلب فينال ما

يرجو من زمانه. وقد انفسح له ميدان المطالب يجري فيه ملء عنانه.
واينعت له ثمار اللذات دانية القطوف فكانت على حبل ذراعه واطرف
بنانه. اما الفتاة في خدرها فزهرة تنتظر جانيها وذخيرة مخزونة تؤمل من
يشتريها. وامنية واقفة في مكانها تتوقع من يتمناها ويطمع فيها. وقد قيدتها
ربقة الخجل فما ينطق لسانها. وعقلتها يد العفاف فما يمد لاحد بنانها.
والبسها الله نقاب الضعف والحياء فما ينطق منها الا اجفانها فهي صامتة
والهوى يتكلم. وباسمة والقلب يتألم. وصابرة والحب بها يتعلم. والغرام يوحي
اليها فلا تقدر ان تنطق بآياته ولسان الهوى يكلم فؤادها فلا تقوى على اظهار
كلماته. ولواعج الصبابة تنتابها فتخزنها في الصدر. وتفنى عليها العمر. وتطيع
لها كل امر. ولا تطيع لها الصبابة من امر. فهي تعرف كل شيء ولكنها
لا تجسر ان تقول. وترى مجال الحياة فسيحاً لديها. ولا تقدر ان تجول. وتبصر
آمال فؤادها ترف حواليها. وما اليها سبيل ولا اليها وصول. فهنالك اللسان
المقيد والقلب الطليق. والقوام الرشيق تحسبه منعماً سعيداً وفي طيه الفؤاد
الرشيق. وهنالك الطرف الذابل يرى ساحل النجاة قريباً وهو في لجة الغرام غريق

ولما كان الزواج امراً طبيعياً تقود اليه السليقة الفطرية كما تقود الى
غيره من حوائج المعيشة وضروراتها وكان الفتى اشد انطلاقاً من الفتاة واوسع
سناً في حرية العمل وميدان الحياة كان منه اول ما يشعر بتلك الضرورة
وعندما تمسه حاجتها ان ينظر فيما حوله من اسباب قضائها فيجد بنات الهوى
وربات الحانات مورداً مباحاً ورزقاً شائعاً فيقبل عليهن اقبال من ادركته
فورة الظماء فصار يقنع بما يجده من الماء كيف كان ذلك الماء وقد سهل

عليه الوجد بذل الدينار . وهوّن عليه حاضر السكر ما وراءه من المتاعب والاخطار . وكلما توغل في هذه اللجة هان عليه اقتحامها واستخف بعواقبها وغفل بلهو الساعة عن عذاب الدهر بعدها فيصبح وقد قضى لنفسه ذلك المطلب واخمد من فورة وجده تلك الغلة ولكن القلب لا يزال حائرًا مضطربًا ولم يظفر بمطلبه ولا داخله الهوى الذي خلق له ولا ادرك الحاجة الوجدانية التي يسعى اليها من الغرام الخالص والحب الصحيح فيظل معذبًا قلقًا دائم التعب في ذلك الجسم المنعم المستريح . ولا يخفى ان للقلب حاجة هي قبل حاجة الجسم وان قضى الجسم حاجته قبله فانما قضاها لسهولتها وقرب منالها وحاجة القلب هي ان يعلق بقلب مثله يربط بينهما الحب الطاهر ويصل بين وجدانهما الهوى العذري والصبابة الخالصة التي هي لذة القلب وراحة الفواد ولو كانت كلها تعبًا وعذاب غرام . فاذا لم يجد القلب تلك الضالة التي ينشدها انصرف مطلبه الى مطالب الجسم فزاد ضلالاً في غوايته وزاد القلب بعدًا من غايته حتى يتيح له القدر المقدور لحظ عذراء طاهرة فيعلق في جمالها او تسنح له فرصة مقابلة ولقاء تميل بذلك القلب الى قلب على مثاله وهذا هو البحث الذي يجب الالتفات اليه في هذا المقام

ان المرء ميال الى الزواج من سببين كل واحد منهما يكفي فيه وهما الجسم والقلب اما الجسم فقد تقدم لنا ان حاجته سهلة القضاء قريبة المأخذ على طالبها بمن يرى حوله من النساء الفواجر واسباب الدعارة والفساد فمتى بلغ اليهن بَعُدَ عن الزواج وهانت عليه العزلة والانفراد . واما القلب فلانه اذا علق صاحبه فتاة حسناء وتوله في حبها قاده اخيرًا الى

الاقتران بها طلباً لراحة فؤاده قبل راحة جسمه وهذا الحب لا يعلق الا بطول العشرة وكثرة الالفة واستمرار المقابلة ومداومة اختلاف الرسائل بين العيون فاذا امتنعت العشرة وانقطعت الزيارة وبعدت اسباب المقابلة بقي القلب محروماً مما يرجوه من لذة هذا الحب الصحيح وانصرف كله الى الاميال الجثمانية على ما قدمناه وبقي المرء ناقصاً في نفسه يشعر بحاجة القران من غير ان يدركها ويحس ان في فؤاده فراغاً يقتضي الامتلاء ولكنه لا يجد من يملأه بهواه وبقيت الفتاة العذراء بين ذلك تشقى بالحاضر وتنعم بالآمال على نحو ما تقدم لنا من وصفها في عرض هذا المقال. ولا دواء لهذه الحالة الا من وجهين اما ازالة اسباب الشهوات وفتيات الحانات من طريق الفضيلة الزوجية وهو مستحيل اذ لا مساعد فيه ولا قدرة على مناله. واما ايصال العيون وتقريب ما بين القلوب بكثرة الزيارات وتوالي المجتمعات واقامة السمر في منازل العيلات وهو قريب ميسور فيصبح الشاب يقضي لياليه وسمر سهراته في منازل عامرة وأسر اديبة بدلاً من ان يصرفها في القهاوي والحانات ويتلف جسمه فيها بين المغازلات الفاسدة وكؤوس الشراب القاتلة ولهو الحديث الساقط المضر ومتى حصلت هذه الالفة بين العشائر وكثر الترداد والزيارة وجد كل فتى من يميل اليها ووجدت كل فتاة من تعلق آمالها عليه ويعلق الحاظه عليها فيتم عند ذلك ما يرجوه القلب من الهوى الصحيح والحب المتبادل واللذة الغرامية الخالصة التي تعقبها السعادة الحقيقية والهناء المقيم ويصبح كل من الالفين يطلب الفه للاقتران به

لا يصدها مال ولا شرف ولا اختلاف مقام ولا غضب اهل ولا موافقة زمان ولا مكان ويتم الزواج على الحال الحاضرة والمعيشة المتيسرة والرضى بالفقر او بالكفاف فلا يرهب الفتى من تغيير الازياء ولا كثرة النفقات بل يعيش مع من يصطفيها وتصطفيه وهي راضية بحاله وهو راضٍ بجمالها ويكون الزواج من اسباب المعيشة التي يتناولها كل فرد على حسب مقدرته وامكانه من الغنى والفقر كما اشار اليه حضرة الاديب صاحب المقالة السابقة في هذا اللسان والا فما دام القلب لا يهوى والنفس لا تجذبها عوامل الحب ولا تقتادها لواعج الصبابة والهيام فهناك التعلل بالمال والاحتجاج بالشرف والهرب من الاقتران والخوف من الانفاق والجزع من اختلاف الاثواب والازياء والمناقشة في المعيشة والتفنن في تزيين الزوجة والمباهاة في بهجة العرس واقامة حفلاته ونواديه بل هناك يكون الزواج تكلفاً من جانبيه وتعنتاً من صاحبيه والمتعنت كما قيل لا يطاع والمتكلف لا يزال كارهاً يطلب ما لا يستطاع . فاذا اردنا حقيقة الزواج براحتها وهنائها واتفاق الزوجين فيها فلنسهل لفتياننا وفتياتنا سبل الالتقاء ولنجعل منازلنا مكان ائتلافنا حيث يظهر كمال الفتى الاديب وجمال الفتاة الحسناء ومتى ملك اللحظ قلب العاشق فهو لا ينفك عن طلب الانضمام الى فؤاده . وهو متى طلب الانضمام اليه فقد فازت الحسناء بمرادها وفاز العاشق بمراده

شهيدة الرقص

هي قصيدة لفيكتور هيكو نظمها في فتاة حسناء ماتت على اثر الرقص فاثرنا تعريبها فكاهة للقراء باقوال هذا الشاعر المصري لما آنسنا فيهم من الميل الى تعريب اقواله وفائدة لكثيرات من فتياتنا اللواتي الفن فن الرقص الافرنجي في هذه الايام قال

كم قد رأيت فتاة حسناء تموت في شرخ صباها وكم قد رأيت قدم الاقدار تدوس زهرات تلك المحاسن والجمال كما يدوس الراقص على ما يتناثر حوله من الرياحين والورود تلك سنة الله في خلقه ينضب الماء بكثرة جريه ويختفي البرق بعد وميضه وتسقط الزهرة بعد ذبولها ويقبل الليل بعد نهاره والدنيا وليمة حافلة يجلس حولها الناس افواجاً واكثرهم يقوم وينصرف قبل انتهاء طعامه

كم قد رأيت فتيات يقضين في زهرة العمر وابان الصبابة والصباء بيضاء ناصعة الجبين تزين خديها حمرة الورد وبهاء الشباب وسمراء ناحلة القوام شاخصة ابصارها الى السماء كأنها تناجي النجوم او تسمع نشيد الملائكة ورقيقة صفراء يزيدها الذبول جمالاً فتحسبها الخيال الساري من رقتها ونحولها وقد خف جسمها الذابل عن حمل الحياة فسقط تحت اثقالها صريعاً كالغصن الدقيق يقع عليه الطير فلا يقوى على حمله فينكسر تحت رجليه . ومريضة ناحلة تبسم للموت وهي لا تدري كما يبسم الطفل في

قرارة مهده ثم تذهب حياتها في غشية مستطيلة كما يتلاشى النغم على وتر العود عند انقطاع اهتزازه · زهرات صبابة وجمال لا يكاد يفتحها نسيم الصبا حتى تقطفها انامل الايام وحمائم حسن بيضاء لا تكاد تنهض من اعشاشها حتى تصيبها سهام الاقدار · وانوار ملاحة وذكاء لا تنيرها شعلة الشباب حتى تطفئها نسمة الموت من فمه الاصفر القتال فتصبح تحت الثرى رفاتاً هامداً بعد ان كانت زينة محافل ومجالس وتضمها احجار اللحود والمقابر بعد ان كانت زهرة حسن تضمها الصدور وتحنو عليها العيون والافواه

واني اذكر منهن واحدة كأنها ملاك كريم بجمال محياها وطهارة قلبها وسواد عينيها وبهجة محاسنها ولطف قوامها تكللها وردة الشباب الزاهرة ولا تتجاوز سنو عمرها ايام البدر عند اكتماله قصفتها يد المنية في ذلك الشباب الناضر فلم يكن موتها من الحب لانها لم تكن تعرف بعد ما شقاء الغرام ولا خفق فؤادها تحت عوامل الصبابة والوجد بل لم تكن تسمع الا قول الناس « ما اجملها » ولم يكن احد بعد قد قال لها ذلك همساً · ولكنها كانت تحب الرقص كثيراً وهو الذي قتلها وبه انطفأ مصباح ذلك الجمال · بل كانت تحب الرقص حتى لو مرت اليوم سحابة على قبرها وهي ترقص حول القمر في سمائه الصافية لرقصت لها عظامها في ذلك القبر · فكانت اذا اقبلت على حفلة عيد تفكر قبلها بثلاثة ايام كيف تصنع فيها وتحلم بها ثلاث ليال تباعاً كيف يكون انتظامها فلا ترى في نومها سوى الراقصين والراقصات كأن كل اثنين منهم اعصار مستقل يدور على نفسه وكأنهم في اختلاط قاماتهم اغصان بان تصفقها الرياح وبما يلمع على صدور حسانهم من بريق الجواهر نجوم

ساريات تتنقل في البروج . حتى اذا جاءت ليلة الرقص وحفل المكان بالراقصين بين محاسن الزينة والانوار اقبلت تلك الشهيدة الحسناء بين اترابها كأنها البدر بين نجومه ودخلت في غمار الراقصين يلاعب الهواء ثيابها الشفافة كما يلعب النسيم بجناح الفراشة الحائمة وقد هاجت عواطفها رائحة الزهر والعطر وحركت فؤادها نغمات العازفين واثارت دماء صباها حركات الرقص ودوران الراقصين فلم تعد تبصر مما لديها شيئاً ولم تعد تعلم هل ترقص على الارض ام هي طائرة في السماء

ولما انشق جفن الليل عن مقلة الفجر وسكن عزف الموسيقى ووقفت حركات الراقصين وخرجت تلك الصبية الحسناء يلتهب خدها التهاباً ويندي جبينها عرقاً كانه لؤلؤ مرصوف على صفحة هلال قابلتها نسمة الصباح الباردة ومسح صدرها النادي كف الهواء الرطب فامسك خيط تلك الحياة الزاهية واخذ يسله من ذلك الجسم النضير فلم تصل الفتاة الى منزلها حتى تناوبها السعال الشديد ثم تلته الحمى القتالة المحرقة تذيب ذلك الجسد النقي كما يذوب الثلج على النار ثم اخذ الموت وديعته الثمينة وقطفت يد المنية تلك الوردة الحمراء فراحت في عنفوان صباها ومقتبل شبابها وبهاها شهيدة الرقص المضر وقتيلة ذلك اللهو الشديد . بنت اربع وعشر كسفها ظلام الموت كما يكسف البدر عند تمامه وكسرتها كف المنون كما يكسر اناء الشرب عند امتلائه وجمامه وتركت اماً واهلاً يبكون على فقدها بدموع حرى وختمت حفلة ذلك الرقص بمأتم شديد كان لامثالها من الفتيات الراقصات تبصرة وذكرى

ملجأ الاطفال

الطفل ثمرة الحب وزهرة الاقتران وزينة الحياة الدنيا والمصباح الذي يرسله الخالق لنور المنزل والسلوة التي ينزلها الله على قلب الوالدين بعد ان يملاً من عيشة الاقتران ويسأما من حياة الوحدة والانفراد بل هو الحب الجديد الذي يدخل فؤاد الوالدة فتشعر منه بعاطفة جديدة هي غير ما كانت تشعر به قبله من العواطف والوجدانات وهو الوصلة التي يشعر الوالد انها وصلته بامرأته اتصالاً جديداً فوق ما بينهما من الاتصال القديم بل هو مقرّ الآمال التي يعقدها الرجل على قرانه فمتى ظفر به استقرت عليه آماله ووقفت عنده اماني نفسه ولم يعد يطمع من لذة الدنيا بسواه اذ لم يكن يطمع من عقبي قرانه الا به . بل هو اللعبة الوحيدة التي تجعل الرجل صبياً يلعب بها ويرى سعادته معلقة عليها كما يرى الصبيّ سعادته في بقاء لعبته بين يديه . والعزاء الاكبر على ما يلاقيه رب المنزل من شقاء الدنيا ونكد الايام ومتاعب الحياة فاذا حمل ابنه بين يديه ذهبت عنه كل اكداره وهمومه وشعر انه القى كل اثقال قلبه على ذلك الطفل الصغير فاحتملها عن والده باسماً مسروراً وهو لا يحس منها بمثقال ذرة

ذلك هو الطفل الذي خلق ليكون مهاده الحرير وسريره الصدور ومرآته ابتسامة امه وابيه وليكون حلية على صدر امه تفتخر بها

اكثر مما تفتخر بغوالي الحليّ والجواهر وتتراآى به الدنيـا ماثلة على ذراعي ابيه ينظر اليه مسروراً كأنه ينظر الى كل حياته محمولة على يديه ذلك هو الطفل قد خانت الايام بعض افراده وعبثت مصائب الدهر بكثير من احاده نعني بهم اطفال الازقة واولاد الفقر وصغار اليتم والشقاء القتهم ايدي المحبة والهناء من احشاء امهاتهم فطرحتهم عوامل الذلة والفقر في مطارح البوءس والاحتياج فاستعاضوا عن صدور الامهات بتراب الطرقات ولاقوا بعد احضان الاباء احضان الفاقة والشقاء فاقاموا في زوايا الشوارع وقوارع الطرق انضـاء فقرٍ وجوع يقرصهم برد الشتاء من خلال اثوابهم الممزقة البالية وتعضهم حرارة الصيف على روءوسهم المكشوفة العارية وهم تائهون على بحر الحياة لا يعرفون اكدارها اذ لم يعرفوا صفاءها ولا يحسون بشدتها اذ لم يحسوا قبل ذلك بلينها وكان ذنبهم بداة غرام ولوثة عشق خامرت والديهم فسقط عقابها عليهم او حادثة فقر وفاجعة موت اصابت احد ابويهم فوصل اذاها اليهم فكانوا هفوة من هفوات الانسانية تجب مداركتها على الانسانية وسقطة من سقطات المدنية الجديدة يجب ان يتلافى عواقبها رجال المدنية .

فاذا كانت الام قد اذنبت وهي انسانة افلا ينبغي ان تحمل ذنبها الانسانية واذا كان الوالد قد اغوته مدنيته الحديثة على ارتكاب هذا الجرم افلا تقع جريمته على عاتق المدنية . ومن هي الانسانية لتحمل ذلك الذنب أليست هي الامة بتمامها ومن هي المدنية التي اباحت مثل هذه الغواية أليست الحكومة فيما وضعته من قانونها ونظامها . اذن فاذا اخطأ

بعض الانسان وقد تعذر ان يتلافى خطأه بنفسه فقد وجب ان يتولاه
عنه جميع الانسان . واذا وقع الذنب على طفل بريء ثم اختفى والداه فهل
تختفي من الدنيا الرأفة والحنان معاذ الله ان في الناس قلوباً رحيمة وانفساً
حساسة وضمائر شفيقة لينة قد رأت ضعف الاطفال وسمعت دعاء
الانسانية وبلغ صميمها صوت الرأفة ان لم يكن من طريق الاذان فمن
طريق العيان واذا لم يضرع اليها الطفل بلسان مقاله فقد ضرع اليها
بظاهر فقره ولسان حاله فتألفت له الجمعيات الخيرية واقيمت لاجله
المدارس والمستشفيات المجانية وامتلأت عواصم اوربا بملاجيء الصغار
ومحلات الاطفال تلقيهم يد القساوة من ابائهم فتلتقطهم يد الرأفة
والحنو من مواطنيهم واخوانهم وقد شعر الانسان هناك ان شر المصائب
مصيبة هذا الطفل الذي لا يقدر ان يدافع عن نفسه بلسان فجادت
له اكف المحسنين بما يرد لهفته ويحفظ حياته اولاً للانسانية وثانياً
لخدمة الاوطان

ولقد جرت حكومة مصر الى جانب الحكومات المتمدنة شوطاً بعيداً
في نظام بلادها ومدنية اهلها وترتيب امورها وتلافي كل خلل تقدر
على ملافاته من ابنائها الا في هذا الامر المهم الذي هو عماد المدنية
وقوام العمران ودليل الانسانية والرحمة والحنان فانها لم تلتفت اليه اقل
التفات ولا خطر لكبار رجالها ببال مع انها ترى الاطفال الوفاً في طرقاتها
شاردين مهملين يسيرون حفاة عراة ويدرجون على اسواء الاخلاق
واشد المخازي والمعايب فلا تنظر الى تاديبهم نظرة ولا تمد الى شقائهم

يداً وهي تعلم ان من وراء ذلك صغاراً يصبحون فتياناً وفتياتاً يكونون لصوصاً وارباب دعارة وقطاع طريق ولطخة فساد وعار في جبهة الحكومة المصرية والامة الشرقية العربية· بل جل ما وصلت اليه الحكومة انها انشأت لهم سجوناً تعاقبهم فيها بدلاً من ان تفتح لهم مدارس تهذب اخلاقهم بها وسنت لهم قانون قصاص تعاقبهم على مقتضاه بدلاً من ان تسن لهم قانون رحمة لتلافي مستقبل حياتهم فيه· فوضعت بذلك سوء الغاية امامها قبل ان تضع حسن البداية بين يديها واستعدت لمعاقبة المذنب منهم قبلى ان تستعد لملافاة ذنب البريء بينهم وترصدت منهم للذنب تعاقبهم عليه ولم تترصد للاحسان والخير تدرج بهم على طريقه فكأنها بذلك تعدهم للشرور والمفاسد وسكنى السجون بدلاً من ان تعدهم للاصلاح والاستقامة ونفع الامة والبلاد

فالى هذا الامر الخطير انبه انظار الحكومة ورجالها الفضلاء الذين كلهم رجال رحمة وشفقة ان لم يكونوا كلهم اباءٌ يعرفون قيمة الابناء والى هذا الواجب الانساني العظيم نحرك قلوب مواطنينا الاغنياء الذين يؤلفون الجمعيات الخيرية لكبار المعوزين فكيف لا يؤلفونها لصغار الفقراء واملنا ان لا تضيع بين الحكومة وابنائها هذه الآمال· فيصل الى قلوبهم نداء الانسانية والوطنية وان كان خارجاً بصوت ضعيف من افواه الصغار والاطفال

المرأة المكروهة

لا اكره المرأة الباغية تدفعها يد الفقر الى البغاء . ولا الوم الفتاة الساقطة تطرحها عوامل الاحتياج في مطارح الفحشاء . ولا احتقر الغريبة النازحة تلجئها كف الضرورة الى بيع العفة والحياء . ولا استهين باليتيمة الجائعة تبذل نفسها دون السؤال والاستعطاء . ولا انفر من المرضع اذا ارتكبت منكرًا لاطعام اطفالها . ولا ابغض الوحيدة المنقطعة اذا اخسرها الدهر سندها فتاجرت بجمالها . ولا افند بنات الهوى يتخطفن الفتيان من قوارع الطرقات . ولا اذم بغايا الاسواق يجهرن بما يأتينه من المنكرات فانما هنّ مخلوقات انزلها الشقاء في منازل الذلة والهوان فلم تخف ما رمتها به يد الاقدار ولم تنكر ما اصابتها به طوارق الحدثان بل هي قد استوفت من ذلها وانحطاطها بعض العقاب عن اعمالها ونالت من قبح سمعتها جزاءً واجبًا عما بذلته من محاسن جمالها ولا تلم المرأة الساقطة في مهاوي عارها واذلالها . انك لا تدري تحت اي حمل سقطت من احمال الدنيا واثقالها

بل انا اكره المرأة الغنية ترفل في حلل الدمقس والديباج وتسمع بالفقر والاحتياج سماعا ولم يذقها الدهر طعم الاحتياج وهي ترى نفسها في القصور الشاهقة تعقد في العلى سببًا وترى ثيابها سراجًا وهاجًا بما حلاّها الغنى ذهبًا وتجد زوجها يوالي عليها اصناف الهدايا وانواع النعم

وقد حفها من كرمه ووداده بجيش حافل من الوصائف والخدم. فهي لا تنقل قدماً الا في المركبات الفاخرة تجرها الخيل الجياد. ولا تنطق بكلمة من اوامرها الا انحنت لاقوالها المناكب والاجياد. ولا تلقي راسها الا على وساد يتمنى كل فوءاد ان يكون ذلك الوساد. وقد اغنتها الايام فما تجد فيها الا الغبطة والهناء. وتجلت لها الارض جنة الخلد حتى لو خيرت بينهما لاختارت الارض على السماء. اكره هذه المرأة حين تزاحم البغي في خيانتها وبغائها. وتجاري بنات الهوى في خلع الحياء وهي متسترة وراء مجدها وعلائها. وتأتي منكرات الاعمال وهي غير محتاجة الى اتيانها. وتبذل حسنها عفواً مجاناً لقوم يحتاجون احياناً الى احسانها. تلك التي تسير في مركبتها وابصارها تنتهب الوجوه انتهاباً. او تطل من شرفة قصرها وعينها تنتخب الفتيان انتخاباً. والتي تواعد خليلها جانب البستان او في اقصى المدينة مكاناً قصياً. وتخون زوجها شر الخيانة وهو لم يذنب اليها ولم يات شيئاً فرياً. تلك التي اكرهها ويجب ان تكرهها القلوب والاحداق. لانه اذا كانت بغايا الاسواق شرّ النساء فتلك شرّ من بغايا الاسواق

بطرس الاكبر وامرأته

كانت الامبراطورة كاترين قرينة بطرس الاكبر امبراطور روسيا من اعقل نساء زمانها واجملهنّ ولم تكن شريفة الاصل جداً بما يؤهلها لان

تكون قرينة امبراطور كبير ولكنه اقترن بها لجمالها وادبها . فلما كان ذات يوم وهي واقفة لدى مكتبه تقدمت اليه ورقة ليوقع عليها فسألته كاترين عنها فاخبرها انها حكم بالقتل على عشرين رجلاً كانوا يأتمرون على قتله اغتيالاً وقد علمت بهم الحكومة فحاكمتهم وصدر حكم قضاتها بقتلهم جميعاً وهم ينتظرون توقيع القيصر لانفاذ الحكم ثم تناول القلم ليكتب توقيعه فامسكت كاترين يده واخذت منه القلم وقالت اذن فدماء عشرين نفساً يتوقف سفكها على سفك قطرات حبر من رأس يراعك قال نعم وذلك بحكم القضاة قالت بل بحكمك يا مولاي لان قضاءهم لا يتم الا بامرك وقد فعلوا هم ما يجب عليهم من العدل فافعل انت ما يجب عليك من الرحمة والعفو قال ان العفو مستحيل فانهم قد نووا لي القتل فهم مجرمون قالت انهم قد عزموا على قتل واحد ولم يفعلوه فعددتهم مجرمين يستحقون العقاب وها انت الان تفعل اكثر منهم اي تنوي قتل عشرين ثم تريد انفاذ القتل فعلاً فايكما اشد جرماً امن ينوي لقتل واحد ثم لا يقتله ام من ينوي قتل عشرين ثم يقتلهم جميعاً قال بل لا بد من قتلهم لا انتقاماً منهم ولكن ليكونوا عبرة لسواهم قالت هيهات ان اسمح لك بذلك او ان ادعك تلطخ وشاح ملكك بدم قوم لم يجرموا اليك الا بالقصد دون الفعل . فغضب القيصر من شدة اصرارها ومنعها له عن انفاذ قصده ونهض حانقاً هائجاً وضرب بكفه مرآة نفيسة من اثمن المرائي في ذلك العهد فكسرها قطعاً ثم اخذ يسحق تلك القطع بقدميه والتفت الى كاترين وقال لها هكذا اعيد كل من يعصيني الى اصله كما اعدت المرآة غباراً (يشير بذلك الى اصل امرأته وانه

يتهددها بارجاعها كما كانت) فتبسمت تلك المرأة العاقلة وقالت انك تقدر يا مولاي ان ترجع كل شيء الى اصله كما فعلت بهذه المرآة ولكن اذكر انك تكون قد كسرت زينة قصرك. فسر الامبراطور من جوابها وسري عنه الغضب وامر بالعفو عن المجرمين وانقذت تلك الامبراطورة بعقلها وحسن جوابها عشرين رجلاً من القتل

المستقبل لله

هي قصيدة رنانة لفيكتور هيكو الشاعر الفرنسوي الشهير نظمها بعنوان نابوليون الثاني ووصف بها ميلاد هذا الطفل وما كان يرجى له من سعد الطالع وحسن الاستقبال ثم ما صار اليه حاله وحال ابيه من قبله وما لقيا من مرارة الفشل وسوء العقبى بعد تلك الاماني والآمال . ولما كان قد تقدم لنا شيء من تعريب قصائد هذا الشاعر الكبير في ما تقدم من جريدتنا اليومية وكنا قد وجدنا له حسن الوقع لدى كثيرين من قرائنا الادباء حباً بالوقوف على تلك القصائد وما حوته من الاجادة والابداع فقد رأينا ان ننقل لهم هذه القصيدة متبعين فيها الاصل ما امكن خدمة للادب واظهاراً لمنظومات اولئك القوم في لساننا العربي . اما القصيدة فهي

في العام الحادي عشر من بداية هذا القرن كانت شعوب لا تحصى وامم لا عدد لها تحدق بقصر اللوفر الكبير احداق الغمام وهي تنظر اليه بعين المتأمل وتتطلع نحوه بقلب المؤمل والقصر في وسطها كانه طور التجلي

تلمع من خلاله بروق الاقبال وتظلل اعالي شرفاته سحائب الامال . والناس تموج من حوله امواجاً ويقول بعضهم لبعض سيولد لنا اليوم مولود عظيم واليوم تنتظر الدولة العظمى ميلاد وارثها . فماذا عسى يرزق الله نابوليون الكبير ومن سيكون ولي عهد لهذا الرجل العظيم الذي هو اكبر من قيصر واعظم من رومه وقد جمع في يديه مفاتيح الاقدار ومستقبل الشعوب وازمة الممالك وعنان الدنيا يصرفه كما يشاء ويقلب كرة الارض على بنانه كما يريد وبينما هم يتساءلون عن ذلك النبأ العظيم انفتحت شرفة القصر كما ينفرج الغمام وظهر على الشعب ذلك الرجل العظيم كأنه يطل على الدنيا باسرها ويشارف العالم باقطاره من رفعته وجلال قدره نخفتت عند ذلك الاصوات وعنت الوجوه وسكتت الالسنة ثم ارتفعت الابصار تنظر ما يحمل لها ذلك الجبار بين يديه من بشرى ولاية عهده واذا بها قد اطرقت هيبة واجلالاً لطفل صغير كان يحمله الامبراطور على ذراعيه كأنه يبشر به الارض باسرها ولم يكد ذلك الطفل يظهر للوجود حتى خفقت لانفاسه الضعيفة رايات البلاد كانها تخفق تحت ريح عاصفة وحتى دوت لاهلاله وصوت بكائه افواه المدافع الهائلة وهو بين يدي ابيه كانه كوكب دري تحمله شمس منيرة من المجد والفخر . ولما اظهر الوالد مولوده لكل تلك الشعوب ورآه تعنو له عوالي الرؤوس والتيجان اخذته عزة الملك وتولاه زهو الرئاسة والمجد ونظر الى الدنيا وهو في ابهة نصره وجلاله كما ينظر النسر الى ما تحت معقله من الهضاب وصاح بصوت المنتصر الظافر . المستقبل لي

فاجابه صوت الشاعر من وحي الغيب لا يا مولاي ليس المستقبل لاحد

ان المستقبل لله فلا يغرنك ما ترى من عظمة الدنيا ومجد الملك وعزة الانتصار وبهاء التيجان ونيل المطامع والآمال فان كل ذلك وهم باطل وظل زائل لا يخيم على فؤاد صاحبه الا كما تخيم السحابة السارية في كبد السماء · وانت ايها المستقبل الذي ندعوك بالغد وتسير وايانا جنباً الى جنب مهما كان الانسان عظيماً ومهما كان التمانه منك شديداً لا يقدر ان يعرف منك شيئاً قبل حينه ولا يمكن ان تنفرج شفتاك عن الخبر اليقين الا متى آن اوانه · والعلم لله انما الغد شيء عظيم لانه شيء خفي مستتر لا يعرف كنهه احد ولا تقدر ان تدركه مقلة انسان · بل هو الارض الواسعة يلقي فيها المرء بذار آماله والله ادرى متى يكون نباتها ومتى تجنى منهـــا الثمار · بل الغد برق خاطف لا تدري ما يكون بعده من عواصف الايام وسحاب سار لا تعلم متى تنكشف من تحته نجوم السماء وقاتل سفاك يسلب نفائس الاعمار وهادم عنيد يهدم صروح الآمال ونجم سيار لا يثبت في مكانه ولا تقف عليه عين الدليل · بل هو باريز تتبع بابل في دمارها وخرابها وهو شوك المذلة والقهر ينبت على العرش الذى كان بالامس نضرةً ونعيماً

انما الغد جوادك ايها الفاتح الكبير يكبو بك ساقطاً يرغي ويزبد من اعيائه وكلاله وانما الغد احتراق موسكو تخرج منها وهي نار جاحمة يطبق دخانها الاقطار فيزيدها ظلاماً بعد اذ دخلتها منتصراً فاتحاً وبعد اذ كانت عليك برداً وسلاماً بل الغد جيشك العظيم منثر الجماجم مبدد الاجساد بل هو موقعة واترلو الهائلة ونفيك الى تلك الجزيرة القاصية ثم مصيرك من بعد ذلك الى القبر

انك تقدر يا مولاي ان تفتح المدائن وتدوسها بحوافر جوادك وتحل عقد القتال والحروب الاهلية بحد حسامك وتسد النهر الكبير فتمنع مجراه وتاخذ عنان النصر بيدك فلا تترك منه شيئاً لسواك وتكسر كل باب يقفل في وجهك وتفوق كل ذي شهرة ومجد من قبلك وتجعل من مهماز نعلك نجماً تهتدي به ابصار جنودك وقوادك فان الله قد اعطاك المدى تمرح فيه كما تشاء وحفظ في يده الحد الذي يريد ان تقف عنده فلا تتعداه وانك تقدر ان تاخذ الارض باقطارها وتجمع على راسك العالي كل تيجانها وتلعب بالممالك لعب الاكر من اطرافها الى اطرافها ولكنك لا تقدر ان تأخذ الغد من يد الله

ان في تصاريف الايام لعبرة وان في تقلب الاقدار لذكرى . لقد ولد ذلك الطفل الصغير فكان اول تيجانه وهو في المهد تاج رومه واول القابه ملك الرومانيين ولقد اظهروه وهو طفل رضيع فعجب الناس كيف يكون الانسان ملكاً عظيما ويكون طفلاً صغيرا . ولقد جمع له ابوه آثار المفاخر ومجد المعارك والغزوات وشق في سبيل مستقبله صفوف جنود ابطال كانت في نظام قتالها كانها البنيان المرصوص واقام حول سريره المهتز اسواراً متينة من صدور العساكر والقواد وصنع له وجه الدنيا على ما يريد كما يصنع الصانع الماهر قوام التمثال واعد له من صنوف المجد والفخر ما لم يطمع به فاتح ولم يدر في خلد انسان ووضع امامه فرنسا كلها كاساً ملؤها الرجاء والامال ولكنه قبل ان يمس تلك الكاس او يذوق من شرابها قطرة ماء اقبل فارس الدهر بجواده فخطف ذلك الصبي من مهد جلاله واردفه

في موءخر سرجه وسار به من بين تلك العظائم والامال كما تقتطف الزهرة من وسط بستانها وكما تسقط الثمرة الغضة اذا طرحتها عواصف الريح قبل اوانها

اجل فلقد كان نابوليون الكبير نسرًا يحلق في العلاء ويرمي بابصاره الدنيا ويحوم بجناحيه على العالم باسره واذا بزوبعة شديدة عصفت به فكسرت جناحيه فسقط من اعلى سمائه كانه شهاب ثاقب وقد ترك وراءه من المجد الباهر اثرًا مستطيلاً فتهافتت طيور الممالك عليه من كل مكان فاخذت انكلترا النسر واخذت اوستريا فرخه الصغير

ولقد اقام ذلك الفاتح الكبير اسيرًا ذليلاً في جزيرة مهجورة قاصية ست سنين كاملة ذاق فيها مرارة الوحدة والاسر كأنه الاسد الهائج في قفص من حديد. وان الاسود وان كانت شرسة قاسية فان في صدورها قلوب اباء وهذا الاسد الشديد كان في صدره قلب والد وكان هذا الوالد يحب وحيده بل ان هذا الرجل الذي ملك الدنيا لم يبقَ لديه في محبسه الاخير سوى امرين يلهو بهما عن مصائبه واحزانه اولهما صورة ابنه وهي كل فؤاده والثاني رسم اوربا وهو كل عمله ونتيجة اجتهاده فكان يجلس كل مساء على شاطيء البحر في منفاه ويرمي بابصاره آفاق السماء ويغرق في بحر عميق من الهموم والافكار كأنه ينظر في الماضي ويكر الطرف على ما تقدم له من الصروف والاحوال . الا انه مع كل ذلك الجمود الطويل واغراق الفكر لم يكن يتذكر آثار سيفه ولا سوابق نصراته ولا دوي المدافع التي كانت تصب البلاء بامره وتهتز منها الارض تحت

اقدام رجاله وتميل منها الرايات تباعاً كانها ساريات السفائن تكسرها عواصف البحر في هياجه وشدة انوائه بل كان كل ما يتذكره و يشغل افكاره خيال ذلك الطفل الصغير يتراءى له على بعد المدى وشاسع الاميال فيحني رأسه على يده وتجري دموعه على خديه و يصبح من كان لا يشتري الدنيا بدمعة من دموعه وهو يذرفها هدراً ضياعاً على تذكار طفل صغير كان يعد له مستقبل العالم فوجد ان المستقبل لله

انتحار كليوباترة

هي الملكة المصرية التي اشتهرت بجمالها اكثر مما اشتهرت باعمالها ونقل الينا التاريخ من حوادث غرامها فوق ما نقله عن احوال احكامها ولا بدع فهي الغادة التي ملكت برقة محاسنها قلوب الابطال · والسلطانة التي سادت بسطوة ملكها وسلطانها على اعناق الرجال · حتى نزل الجميع على حكم غرامها واحكامها فكان لها التصرف في كل حال · ولكن ابت الايام ان تسعدها على كمال هذا السعد · وحال الدهر في ميدان حياتها فسقطت في ابان الصبا ونهاية المجد · وكسرت صوارم الفاتح الروماني سيوف تلك اللحاظ الكواسر · وابطلت عصا فتوحه سحر هاتيك الجفون السواحر · فراحت شهيدة في معترك خضع فيه سلطان الجمال لسلطان النصر · وتولت فتنة تضحك لفقدها صوارم الرومان وتبكي لماتها غادات مصر · وماتت مسمومة من كفها ولسان حالها يقول بيدي ولا بيد عمرو

ولقد اختلف المؤرخون في حقيقة وفاتها وانتحارها وكان اشهر الاقوال فيها انها لما قطعت آمالها من فتوح قلب الفاتح الروماني ورأت ان لواحظها لا تصادف منه الا درعاً من الصبر والجلد ترد حد نبالها وتتكسر دونها عوامل الحاظها وجمالها عزمت على الموت من يدها فتزينت بابهى حللها وحلاها ووضعت تاجها على راسها كما كانت في عزة ملكها وسؤددها وجلست على خوان فاخر اعدّ لها ثم دخل عليها فلاح يحمل سفطاً قد غطاه باوراق التين فمدت اليه يدها تنثر عنه تلك الاوراق وهي ترجو ان يلدغها الثعبان الذي فيه على غرة منها ولكنها وجدته نائماً في اسفل السفط لا يتحرك فانتزعت دبوساً من الذهب كان في شعرها واخذت تشكه به حتى افاق وتهيج فلدغها في يدها فماتت للحال وكانت وفاتها في الخامس عشر من شهر آب (اغسطس) للعام الثلاثين قبل المسيح

ولقد عثرنا من مدة على خطبة لاحد العلماء الافاضل من الفرنسيس القاها في المجمع العلمي وتكلم فيها عن هذا الشان كلاماً طويلاً بحث فيه عن وفاة هذه الملكة وانتحارها من حيث النظر الطبي وكان في جملة ما قاله ان هذه الحكاية عن موتها قلما تحتمل التصديق ويستند العقل منها الى جانب يصح الاعتماد عليه اذ لم يكن من يرويها عنها غير فتاتين من وصائفها كانتا معها ساعة موتها ثم توفيتا على اثرهـا في الحال بالسم الذي ماتت به ولم يبقَ راوٍ لتلك الحادثة غير الاقاصيص والاخبار المنقولة عن الظنون والاوهام ولا يزال امرها الى اليوم في خفاء وغموض عن نظر التاريخ الصحيح

ولكن الذي ظهر من اقوال الباحثين وكلام بعض المؤرخين وبالتالي من مقتضيات الحقيقة ومواقع الامكان ان مسألة السفط والحية لا صحة لها ولا هي من الواقع في شيء وليس ذلك من قبيل الصعوبة وتعذر الدخول به على الملكة وهي محاطة بحراس وحفاظ ثقات بل من قبيل ان الافاعي السامة التي تقتل في الحال نادرة في مثل الاسكندريه ولا يسهل وجودها والتقاطها في مثل ذلك الوقت القصير والطلب العاجل واذا فرضنا ان قد امكن تحصيل المطلوب في اوانه والدخول به عليها كما تريد فانه لا يمكن في اعتقاد العقل والطبع انها تسلط ذلك الثعبان على جسمها وتعرض نفسها منه لموت قد لا تكون واثقة من سرعته او تحقيق حصوله وهي الرغبة في ان تموت اسهل ميتة واسرعها كما نقله التاريخ الا ان بعض المؤرخين في ذلك العهد قد اضافوا الى هذا القول ان الملكة اخذت تنخز الثعبان بدبوس كان معها لتهيجه الى اللدغ ونفث السم كما تقدم. يريدون بذلك نفي الظنة عن هذه الرواية وتقريبها من التصديق باعتقاد كليوباتره ان فيما فعلت الموت العاجل والقتل السريع. اما بلوتارك وديون وغيرهما فذهبوا الى ان الدبوس نفسه كان آلة الموت بسم كانت تضعه فيه الى حين الحاجة اليه كما هو شان الملوك في تلك العصور وانها لما احبت الانتحار طعنت به معصمها الايسر وكان في بعض ثناياه شيءٌ من سم ذلك الثعبان اعدته لمثل تلك الحال كما مر بعد اذ عرفت بالاختبار انه اشد السموم فعلاً واسرعها قتلاً واقلها الماً وان الموت به حلو هادي اشبه بتهويم النعاس فماتت بما كانت تجعله زينة في شعرها ولم يفطن الى قصدها منه احد

وعندنا ان هذه الحكاية من وخز الدبوس اقرب الجميع الى التصديق واسهلها حدوثاً في الوقوع والعادة لتعذر الحصول على ثعبان في ذلك الحين ولامكان ان لا يفي بالمقصود من سرعة الموت وقلة آلامه ولان خزن السم في الدبوس او نحوه ادنى الى العادة واخف قبولاً على العقل من غيره من سائر الاقاصيص والروايات . واما ما اعتمد عليه البعض من ان الفاتح الروماني قد اقام لهذه الملكة في رومه تمثالاً جعل على زندها فيه رسم ثعبان محيط به وان في ذلك اشارة الى انتحارها بلدغه فمذهب لا يعول عليه عند التحقيق لان من عادة التمثيل في الشرق ان تكون على زنود النساء في تماثيلها حيات ملتفة حولها يقصد منها شكل السوار على الاكثر كما يدل على ذلك كثير من تماثيل الملكات ودمى الحسان الباقية لنا عنهم الى هذا المهد فضلاً عما اوردناه من الادلة المعينة على نفيه والبراهين المشيرة الى بعده عن الحقيقة ومنافاته للصواب والله اعلم

زواج عذري

معربة عن الكاتب الفرنسوي الشهير

جول ليمتر بيعض تصرف

كان جاك دي تيفر رجلاً غنياً شريفاً يبلغ الاربعين من عمره وكان قد صرف اكثر ايامه في الصبابة والغزل ولكن على سبيل التجربه

والامتحان ليجد المرأة الفاضلة التي يطلبها والتي يعتقد ان في قرانها سعادة الراحة ونعيم الحياة فكان يخوض بحر الغرام على امل ان يجد فيه درّة الفضيلة التي يلتمسها و يسري في ظلمات الهوى رجاء ان يطلع عليه بدر المحاسن الحقيقيه الذي يطلبه ويقاسي اشواك الصبابة والحب على نية ان يجد بينها الوردة الزاهية بالادب ومكارم الاخلاق التي ينشدها وكثيرًا ما كان يخرج من تلك التجارب وقد ترك فيها آثار شقاء لمن يعاشرها واصابته آثار جراح من تلك الاشواك التي يمر بينها حتى سئم من امره وعزم ان يقضي شهرين في بعض القرى يستريح فيهما من متاعب الدنيا ويعتزل ما يضايقه من تجارب الحب وضلال الغرام . فكان يقضي اكثر ساعاته في مكان معشب نضير على شاطىء البحر وفي يده كتاب يخوض به ساعة في بحار المعاني والافكار ثم يحول انظاره الى البحر فيخوض في اتساعه وتناهي مداه وكانت تمرّ به كل يوم امرأة كبيرة تصحبها فتاة حسناء على وجهها آثار السقم والذبول وفي هيئتها ما يدل على قرب وفاتها وان داء الصدر قد تحكم فيها فلم يعد يهل مصباح حياتها الا قليلاً فاخذته الشفقه عليها ورثى لبلواها وسأل الناس عن امرها فاخبروه انها ابنة تلك المرأة وان اباها واخاها قد توفيا من امد قريب بذلك الداء القتال وان امها في حالة متوسطة من مراتب الدنيا وهي قادمة بها للاستشفاء او لوداع الحياة في ذلك المكان وكانت امها صفراء الوجه عليها علائم الحزن والهم الشديد من آثار ما ترك الموت في قلبها من وفاة زوجها وولدها وما يطبعه الخوف في فؤادها من وفاة تلك الفتاة الوحيدة الباقية لها فلم تكن تبسم لشيء الا لابنتها ولكن

تبسمة التكلف التي كانت تبدو على محياها الاصفر كما تبدو تبسمة العاشق عند دنو الفراق . فجعل جالك يتقرب من المرأتين ويحييهما في كل مكان يصادفهما فيه حتى تدرج الامر بينهما الى الكلام والمحادثة فكان يجلس بجانبهما تجاه البحر ويتفرس في تلك الصبية الذابلة فيجدها قد القت الكتاب من يدها وجمدت في مكانها تتأمل وتفكر فيقول في نفسه بماذا عساها تفتكر وما عسى ان يجري في خاطرها غير خوف الموت ورهبة لقائه . حتى اذا كان يوماً وجدها تشتغل في قطعة من النسيج فسألها عنها فقالت انها لصديقة لي تزوجت وسيولد لها طفل وانا اصنع هذه القطعة هدية لها ثم تنهدت وقالت كانها تناجي نفسها « هنيئاً لها » ثم رآها يوماً آخر تقرأ في كتاب وقد وقفت ابصارها على سطر منه وعلم من حركة اجفانها انها تنظر من صفحة الكتاب الى مكان واحد فوقف بخفة ودار من ورائها ونظر الى الصفحة التي امامها فوجد فيها بيتاً من الشعر لهيكو معناه « انني اريد ان اموت ولكنني لا اريد ذلك قبل ان احب »

وكانت الفتاة تنظر الى ذلك البيت وهي تقول في نفسها انني لا اعيش طويلاً وان كتموا ذلك عني فانا اعرف الامر من نفسي واشعر انني مريضة بالداء الذي مات به ابي واخي من قبلي ولكنني لا اريد ان اموت قبل ان اذوق من لذة الحب ما تذوقه الفتيات امثالي فان اكثر صواحبي قد تزوجن والباقيات على اهبة الزواج ولكل منهن فتى يحبها ويصبو اليها اما انا فلا اجد من حولي احداً ولا اصادف في طريق حياتي من ينظر اليّ نظرة حب وانعطاف سوى ما اراه في عيون الجميع من نظرات الشفقة والاسف مع انني

جميلة استحق النظرة الحلوة التي يستحقها الجمال وتطالب بها كل عين ولكنني مريضة لا يكاد احد ينظر الى جمالي الا اعترضه قرب مصيري ودنو اجلي فيصرف انظاره عني ويقول فتاة على شفا الموت لا تستحق التعب والعناء

وكان جاك جالساً الى جانبها يفكر ايضاً في امرها وهو يقول في نفسه انها لفتاة جميلة وان السقام ليزيدها حسناً ورقة وان يكن من ورائه الموت السريع ولا شك انها تفكر في سوء حالتها وتتمنى لنفسها ما تجده في امثالها الفتيات من لذة الصبابة وسعادة الحب والقران فماذا يضرني لو تكرمت عليها بهذه السعادة القصيرة وسررتها بزهو الحب قبل ان تموت فتقضي مسرورة مطمئنة بانها عرفت اسرار الدنيا وذاقت لذة المحبة والوجد. انها تكون رواية مسلية وان كان ختامها محزناً فاجعاً ولكن يجب قبل ذلك ان اتاكدً قرب وفاتها لكي لا اعرض نفسي بزواجها الى عيشة طويلة كلها اسقام وامراض

ثم انطلق في اليوم التالي فلقي طبيب الفتاة وسأله عن حالها فاجابه ان لم يعد في حياتها امل ولا يمكن ان تعيش بعد اكثر من ثلاثة اشهر . فعاد الرجل الى والدتها وخطب اليها الفتاة فظنته احمق في بادىء الامر ولكنه اقنعها بانه يهوى ابنتها وانه غني لا يريد منها صداقاً يطمع فيه وانما يفعل ذلك لانه يحبها ولو كان في حبه ذا حماقة وجنون فانه يؤمل شفاها باعجوبة من الله ولله خرق العادات وانه اذا لم تصدق آماله بشفائها كان عوناً لامها على تمريضها ومؤاساتها الى ان يقضي الله بما يريد. ثم قابلها ففاتحها

في ما عزم عليه فاجفلت الفتاة وقد برقت في عينيها بارقة سرور ورجاء وقالت اذن لا يزال في حياتي امل يا سيدي قال نعم وبرهان ذلك انني اطلبك امرأة لي ولو كنت على ثقة من خطر حياتك ما عرضت نفسي معك لمثل هذا المصاب الشديد فثقي بانك لا تموتين وان حبي يحييك .
ثم اخذ يتردد عليها من ذلك الحين فيهديها كل يوم طاقة من الزهر ويجلس اليها يحادثها حديث الصبابة والغزل الى ان حان يوم الزفاف فاعد لها حجرة بديعة الرياش والاثاث وزينها بكل ما يبهج النظر من الهدايا والتحف وعزم ان لا يدع تلك الفتاة تموت الا وقد قضت لذة الصبابة والحب ولو من طريق الوهم والخيال . ثم اقبل بها بعد الزفاف الى تلك الحجرة وهي اشد بياضاً من ثوب عرسها الزاهي واشد انحلالاً وذبولاً مما كانت عليه لشدة وقع الحزن والسرور عليها فاجلسها على ركبتيه واخذ ينزع عنها ثياب العرس بلطف وخفة وهي تنظر اليه نظرة المغرم الولهان وقد وضعت ذراعيها على كتفيه ونسيت الدنيا باسرها امامه وكان يشعر بخفة جسمها عليه وهزال اعضائها بين يديه ويرى ان ذلك الجسم لم يعد يقدر ان يحمل تلك النفس وان هذا الغصن لا يلبث ان ينكسر تحت طير الحياة فيطير عنه مرتفعاً الى السماء فيزيده ذلك حزناً واسفاً عليها حتى تصور اخيراً انها اخته او ابنته على ركبتيه فاصبح يجلها عن ان يقبلها او يجل الموت عن ان يقبلها في ذلك الجسم الضعيف حتى اذا البسها قميص النوم حملها الى سريرها وجلس على كرسي الى جانبها واقام يحادثها الى الصباح

واستمر على تلك الحال اسبوعاً بتمامه حتى حانت ساعة وفاتها فجذبته

اليها وقد احست بدنو الاجل وقالت له في اذنه ارى انني ذاهبة قريباً الى دار الآخرة ولكني لا اراني اموت شقية كما كنت اظن ان اموت وذلك لاني على ثقة من انك ستذكرني ابداً فيكون تذكاري حياة ثانية لي بعد موتي فانا اشكرك ايها الحبيب اذ عرفتني ما هي لذة الزفاف ومسراته وكم هو حلو على قلب المرأة ان يكون لها رجل وان نقول له يا زوجي. ولا تحسب انني آسفة على الدنيا فقد كفتني سعادة الوهم وها انا ارتحل الى الله عذراء طاهرة كما يراني واقدر ان افتخر قبل موتي انني تزوجت كسائر النساء ولو انه زواج عذري

الفتى والبغي

يخرج الفتى عندنا من صفوف مدرسته ومقاعد اترابه فيحسب انه بلغ قمة الكمال وادرك غاية المسعى وانه اصبح رجلاً مستقلاً تجري سفائن رغائبه على بحر الحياة مرخاة الحبال مطلقة الشرائع فتنفتح عينه لنور الاستقلال ويتسع صدره لنسيم الحرية والمراح ثم يلتفت حوله فيرى تيار الشبيبة مندفعاً الى نوادي القمار او حانات الاقمار ويرى الفتيان من جانبيه تتهافت افواجاً الى مغازلة الحسان ومعاقرة بنت الحان فيجري مع ذلك التيار مندفعاً بشدة تلك الامواج من جانب وبما ركب فيه من طبع اللهو وخفة الشباب من جانب حتى يتوسط ذلك البحر الواسع الذي هو بحر الملاهي والغواية فلا يجد منه ساحلاً يأوي اليه ويغيب عنه شاطئ الطهارة الذي ابتعد منه

فلا يعود يقدر ان يرجع اليه فيصبح رجلاً ولكنه يستخدم الرجولية فيما يعود عليه بالخسران والوبال ومستقلاً ولكن استقلال السفينة التائهة بين عواصف الانواء في موج كالجبال

ولقد يعذر الفتى يتعاطى الشراب ويعاقر كؤوس الراح انه يجد فيها نشوة السكر ولذة الشباب وزهو الحياة واحتقار الدنيا وهو يحبها واستصغار العالم وهو يجل ملذاته وملاهيه وانكشاف اسرار الطبيعة له من وراء زجاج الكاس وظهور خفايا النفس ماثلة امام الشراب وانه يشتري بماله لذة وينفق ساعة شربه على ساعات لهو وسكر ويخرج من الحانة يجر الذيل تيهاً ويصعر خده عجباً وهو يعتقد انه ابتاع الكثير من السرور بالقليل من المال في هذه الحياة الدنيا التي لا يشترى فيها الدرهم من المسرات الا بالقناطير من الاموال

ولقد يعذر الشاب يجالس حسان الحانات وبنات الشراب مجالسة ضحك ومزاح في حديث لهو وفكاهة انه بذلك يظهر جوهر عقله ويجلو صفيحة فكره ويطلق عقلة لسانه ويطرب من حديث جليسه كما يطرب جليسه من حديثه اذ ليس افتق للسان وابرز لمكنونات الصدر واجلى لعواطف الوجدان وابين لمحاسن الكلام ونوادر البداهة والفكر من حديث النساء ومسامرة الفتيات في مجالس صبابة وطرب ونوادي فكاهة وحرية مجال فهنالك تخرج الكلمة بنت ساعتها وتلقى العبارة والنكتة على بداهة قائلها ثم ينصرف اصحابها وقد تركوا وراءهم كل ما كان وخلص كل منهم الى منزله ولم يعلق بفؤاده شيء مما كان يلقى حوله من حبائل الشيطان

ولقد يعذر الفتى على الانفاق والتبذير انها لذة لا تعرفها الا نفوس الكرام ولا تشعر بنعومتها الا انامل السخاء . ولقد يعذر ايضاً على بعض العاب المقامرة انها سلوة النفس في اوقات فراغها وصورة الدنيا في اختلاف سعودها ونحوسها وملعب القلب يشهد عليه الرواية الغريبة في تغيير مناظرها وانقلاب شؤونها بين الانقباض والانبساط والحزن والسرور

لقد يعذر الفتى في كل ذلك انه يسعى اليه ومعه عقله وينال المسرة فيه وهو يعلم من اي باب ينالها ويضحك على الخمر في شربها وهو يعلم انها ستضحك عليه عند سكره ويغازل فتاة الحانة مازحاً وهو يعرف انها تمزح معه في مغازلته ويخسر في المقامرة او يكسب وهو يعلم من اين يأتيه الربح او الخسران ولكن ما عذر الشاب الاديب وقد ملأ رأسه علماً وحشا صدره حكمة وافعم فؤاده ادباً ودرساً ووقف على امور الدنيا بين دفتي كتابه ورسم حقائق العلم والعرفان على صفحات قرطاسه ثم يجلس الى المرأة المومس والفتاة البغي مجلساً تشترك فيه بنت البغاء الجاهلة مع علمه الواسع في السخرية منه والضحك عليه ويقف فيه بين يديها موقفاً مضحكاً لا يعذره عليه العقل ولا يعينه فيه الادب والعلم ونحن نصوره هنا على قدر ما يسمح به المقام تبصرة لفتياننا الادباء وفكاهة للقراء الكرام

ذلك ان يتصور القارىء حانة منفردة او نادياً عاماً جلست في احدى جوانبه امرأة من نساء التهتك والبغاء وجعلت تدير عينيها فيمن حولها من الفتيان كما يدور الجزار بين كباشه ويستسمن ما حوله من نعاجه حتى يقع نظرها على احد اولئك الاغرار فما هو الا ان يراها تديم النظر اليه

وترى ان حبائل لحظها قد علقت في فؤاده حتى ينهض اليها مباهياً بنفسه مفتخراً باختياره دون غيره وهو لا تكاد تسعه الدنيا سروراً بانتقائه وعزة بانتخابه وان جماله قد راق في عينيها دون سائر رفقائه. ثم يجلس امامها جلسة المتأدب الخاشع فتقابله بنظرات المتملق الخادع ثم تدور بينهما رسل العيون وتختلف لحظات الابصار وقد اسكره الغرور فصار ينظر اليها من عين قلبه واسكرتها خمرة الفوز عليه فصارت تنظر اليه من طرف عينها ثم يبدأ هناك التمثيل المحزن ويتخذ ذلك المسكين في تلك الرواية الدور المضحك فيذيب فواده غراماً ويستنزف قريحته منادمة واسترضاه ويفيض نفسه على قدميها حباً صحيحاً وودا خالصاً ويلقي جوهر قلبه بين يديها كلاماً صادقاً وغزلاً حقيقياً ويستفرغ خزائن صدره لديهـــا عبارات رقيقة وادباً رائعاً ويتفنن في ارضائها ومغازلتها تفنناً يخرج من صميم فؤاده ويستقطر ماء ذهنه وهو يحسب انه قد ملك السعادة بقربها ودانت له الجنة بدونها وتجلت له زخارف الحياة في محياها فيزداد لديها تهطراً ويذوب بين يديها صبابة وغراماً يخرج من قلب طاهر وفكر سليم فيرن منها في اذن فاسدة ثم لا يتعداها الى ذلك القلب الاثيم وهو يحسب انه يهز فؤاداً حساساً وانه يغازل نفساً طيبة وان كل ما يخرج من قلبه يقع في قلب نظيره صبابة وهياماً وفاته ان الجالسة امامه تمثل الخداع والغش عليه وانها لا يكلمه الا لسانها ولا تنظر اليه سوى عينيها ولا يبلغ كلامه الى ابعد من اذنيها وانها تموت عليه ضحكاً وهو يموت عليها غراماً وتعكس معاني اقواله صدى مقلداً بعد ان تصلها صوتاً حياً يخرج من اعماق القلب وتنطق به شفاه الضمير وانها

آلة مرنة تلتوي تحت غمز انامله فيحسبها قد اطمأنت على الشكل الذي يريد ثم لا يلبث ان يتركها حتى تعود الى مثل ما كانت عليه فيناجيه لسانهـا بالحب وقلبها لا يدري شيئاً مما تقول وتلقي عليه مقلتاها نظرات الهوى ونفسها بعيدة عن تلك النظرات وتذوب اقوالها لديه رقة وصبابة وفؤادها من وراء ذلك اقسى من الجلمود وتعده مواعيد الامانة والوفاء وفكرها مشغول كيف تسلبه وباية طريقة تخاص منه حتى يقوم من امامها وهي تضحك عليه ضحك عرقوب و ينصرف مسروراً بانخداعه وغروره كأن لم تبقَ حاجة في نفس يعقوب

ولقد كان في امكان ذلك الفتى ان يتقرب من تلك البغي وينال من مودتها ما يريد باقل من المال الذي يبذله على تلك الصورة وبدون ذلك الغرام الذي يبذل عليه ثمرات الفؤاد ولكن الانسان خلق للحب وخلق القلب للصبابة والهوى كما خلقت العين للنور وكما خلق الصدر لاستنشاق النسيم فهو لا يلذ له قرب الغواني ولا يروقه دنو الحسان الا اذا كان الحب مقدمة القرب وكانت الصبابة رائد ذلك الدنو والائتلاف وما اطيب بذل المال ينفق في كل سبيل الا في هذا السبيل وما اغلى قلب المرأة يؤخذ مجاناً وما ارخصه اذا اخذ بالمال الجزيل

فاذا كان ذلك خلق القلب وعلى هذا فطر الانسان فما بال الفتى يوقف نفسه في هذا الموقف الدنيء تحت طائلة الخداع وذلة السخرية والهوان مضافاً اليهما عار الجهالة ونقص الادراك ويترك عشرة فتاة اديبة ذات خدر اذا نطق فؤاده لديها بحرف اجابه فؤادها بحروف واذا شعر من لحظها

بسيف شعرت من الحاظة بسيوف واذا كان لغيرها من قبلها كانت له وحده دون سواه واذا بسط لديها قلبه وهواه بسطت لديه اصفى من قلبه وهواه اليس ذلك خيراً من امرأة يحبها فتحب سواه او لا تحب احداً واذا ناداها لم تجب نداه الا خداعاً ولا يجيبه من فؤادها غير الصدى وهل تستوي الظلمات والنور ام هل تستوى الضلالة والهدى

فتيان اليوم

ليست المرأة لدى مرآتها ولا الطفلة مع لعبتها ولا الفقير في ثوبه الجديد ولا الدنيء في نعمته الحديثة ولا الخليل في تقطيعه ابيات العروض ولا ارخميدس عند اكتشافه الثقل النوعي ولا الحريري عند نظم مقاماته باغرب هيئة واضحك حركات من شبان هذه الايام لدى امراة يقابلونها في الطريق او يجلسون ازاءها في نادٍ عام او تجمعهم لديها مركبة كهربائية او سكة حديد . ومن شاء ان يضحك على خفة الشبان ويعرف مقادير العقول ويزن اثقال الافهام ويعرف حقائق النفوس الصغيرة اذا داخلها التمدن الجديد دفعة واحدة فاذهلها واعماها عن واجبات الرجولية وحقوق الشبيبة والفتاء فليتامل في فتيان عصرنا قليلاً ويتبع حركاتهم يومياً ويتنبه الى مجالسهم واحاديثهم في محفل جامع او مركبة عمومية فهناك يرى من غرائب الحركات ما يبعث الضحك والاسف ويظهر له من خفة العقول في الفتيان ما يشتهي لاجله الشيب والخرف

ذلك ان الفتى من فتيان عصرنا ينهض من فراشه ولا نهضة الحسناء من خدرها ويقف لدى مرآته ولا وقفة بنت الهوى امام عاشقها فلا يزال ينظم في ثيابه ويسوي من مفارق شعره وغرة جبينه وربطة قميصه وتدهين ملابسه وتفتيل شاربيه ما لو صرف بعضه على الصلاة لدخل الجنة بثيابه او انفق شيئاً منه على العلم لبهر الدنيا بمعارفه وآدابه حتى اذا تجلت له محاسن وجهه وقنع من صدق مرآته بتمام بهائه وجماله وزينت له عيناه انه لم يخلق الله مثله بين اترابه خرج يتخطر في الشوارع وهو يرنو الى النساء فيحسب انه يوسف الصديق يقطعن عليه الايدي والاكباد وهو لو نظر الى نفسه وقابله نظرة العقل لاطرق بنفسه خجلاً ولشتم نفسه او كاد. فاذا مرت به مركبة كهربائية قد حفلت بركابها وقف ينظر الى من فيها من الناس ويستعرض من على مقاعدها من الحسان حتى اذا راقت احداهنّ في عينيه — وما اسرع ما يروق الحسن في تلك الاعين — وثب الى المركبة مسرعاً واتخذ الى جانبها مكاناً فجعل يخالسها اللحظ استراقاً واستلاباً او جلس بازائها تماماً واخذ يحدق بها تحديق من يريد ان ينتهب الحسن انتهاباً. وكانه يستلفت انظارها الى باهي جماله ويظهر لها من نظرات عينيه ما خفي عنها من هيبته وجلاله. وهو لو فطن لعلم انه يدلها على خفة شبابه وانه يبدي لها من خفايا نفسه ما كانت تجهله من محاسن آدابه. وانه اذا سترت حاله زخرفة الثياب فان عقله لا يختفي تحت ثيابه

روى لنا بعض الادباء قال ركبت الكهربائية مرة وكان المقعد الذي انا عليه والذي امامي خاليين من الناس وامامنا الدرجة الاولى وفيها جماعة

من شبان هذا العصر يلتفتون الى المركبة وراءهم حيناً بعد حين كما يتعاهد الصياد شبكته لياخذ ما فيها قبل انفلاته . واذا بفتاة اقبلت ركضاً تستوقف السائق وهي كالحمامة الهائمة لا تدري على اي غصن تقع فجاء وقوفها لدى ذلك المقعد فصعدت وجلست الى جانبي . وما ادري كانني اغتنيت بعد فقر او ارتفعت بعد ضعة او ورثت اباً غنياً او صرت وزيراً بعد عزل فلم اشعر الا وقد نهض احد اولئك الشبان واسرع مقبلاً فجلس الى جانبي ثم تبعه الاخر على عجل فقعد الى جانبه وقال الا يحق لي ان اقعد معك ثم تلاهما الثالث فقال وانا اليس لي نصيب معكم ثم انهال على اثره الباقون يتخطون المقاعد ويدورون حول الاعمدة والحواجز وكل منهم ياخذ الى جانبنا مكاناً حتى ضاقت المجالس بنا وكادت تلك الفتاة تذوب حياءً من وقع تلك النظرات عليها . ولم يكد يستقر بهم المقام حتى اخذوا يتحدثون بتلك اللغة الفرنساوية الفصحى التي شاعت بين ابناء مدارسنا اليوم فتخرج من افواههم اللطيفة وهي يلعن بعضها بعضاً ثم التفت كل منهم الى نفسه فجعل الواحد يسوي ربطة عنقه والآخر يضم ازرار ثوبه والثالث ينظر الى لطافة امساك العصا بين انامله والرابع يدير خاتمه في خنصره ليظهر منه بريق حجره والخامس يعدل نظاراته بين عينيه وقد قرصت على انفه حتى برز الجلد من بينها ثم عادوا ينظرون الى الفتاة تلك النظرات الوقحة الفاسدة حتى خلت ان المسكينة فريسة سقطت بين ذئاب كاسرة لا فتاة جلست في مركبة جامعة بين فتيان ادباء من ابناء هذا العصر المدني الجديد

ولم يكد يمتد بنا الطريق حتى التفتت اليَّ وقد رأتني الغريب

الوحيد بينهم وشعرت اني لا التفت اليها مثل التفاتهم وقالت لي ارجو منك ان تأمر السائق بالوقوف ولم تصدق ان وقفت لها المركبة حتى خرجت من بينهم هاربة كمن يهرب من خيال مخيف واخذت تسرع في الطريق وحدها ماشية على قدميها وقد فضلت المسير على تلك الصحبة الادبية الشائقة فعلمت ان الفتاة لم تصل بعد الى منزلها وان رقة اولئك الشبان قد جعلتها تفضل ثقل المشي على تلك اللطافة والآداب · فقلت من لي بمصور ماهر ينقش تلك الصور الجميلة بحركاتها وهيئاتها المضحكة لهواً وعبرة للناظرين · بل من لي بموليير الروائي المضحك ينظم فيهم رواية من رواياته الهزلية البديعة فيضحك منها خادمه الذي لم يكن يضحك الا نادراً وكان يجرب رواياته المضحكة فيه بتلاوتها قبل تمثيلها عليه · بل من لي بصاحب قرد يوقف قرده امام تلك الهيئات ساعة لتتقن تقليدها ثم يأخذه فيضحك به الناس

مهلاً فتياننا الادباء النافخين روائح وعطوراً · المقلدين النساء زينة وزخرفة وزهوراً · والخاطرين نقطاً سوداء في سماء المدنية وهم يحسبون انفسهم بدوراً · والمتقربين الى الغادات بمثل هذه السفاسف الدنيا فما يزددنَ الا نفوراً · ما هكذا تستمال الغادة الحسناء · ولا من هذا السبيل يتوصل الفتى الى افئدة النساء · ان الفتى خلق ليزينه الادب · لا ليزينه الذهب · ووجد ليحليه الكمال · لا ليحليه الدلال · وابدعه الله ليكون رجلاً بين النساء لا امرأة بين الرجال · ان المرأة لا تحب من الرجل جماله اذا كان ناقص العقل · ولا تنفر من نقص محاسنه اذا كان كامل الفضل ·

وان جمال العقل هو الجمال الاعلى وجميع محاسن الوجه دونه · وسبحان من جعل الجسم تمثالاً عاطلاً وجعل العقل له زينة ·

سكر الحيوان

وضع احد الاطباء مقالة طويلة بحث فيها عن سكر الحيوان فاثبت ان هذا الداء الانساني قد انتشر بين الحيوانات في اكثر اوربا واميركا حتى صار يخشى من عواقبه عليها وان تكون نتيجته فيها كما هي في الانسان وقد اثبت بالتقرير والامتحان ان اكثر الفيلة في معرض اميركا الحيواني تسكر وتطرب وانها قد اعتادت الشراب مما يسقيها الخدم حتى صار بعضها يحتال ويتظاهر بالمرض ليؤمر له بقليل من المسكرات وحكي عن خيول المركبات التي تنقل الجعه وزجاجات المسكر انها اعتادت السكر مما تشرب من فضلات البراميل حتى صار بعضها اذا مرَّ بحانة في الطريق وقف وتنشق من روائحها بالرغم من زجر السائق وضربه وهو أمر لم يصل اليه السكير من الناس بعد

واكثر ما يكون الشراب شيوعاً بين القردة لما اعتادته من ادمانه عند امساكها وذلك ان للبرابرة في افريقيا طريقة غريبة في اخذ القردة من غاباتها وهي انهم يأتون لها ببراميل من الجعة ويضعونها مفتوحة امامها ويأتي احدهم فيشرب منها قليلاً لتقتدي به ولما كان القرد مفطوراً على التقليد تنزل القردة عن اشجارها وتأخذ في الشرب على مثل ما رأت حتى

يلعب بها السكر وتنطرح على الارض فيأتي احد اولئك البرابرة وياخذ بيد احدها ويقوده فتنهض القردة كلها ويأخذ بعضها بايدي بعض على سبيل التقليد فيجرها كلها الى منزله وهناك تحبس في اقفاص وترسل للبيع فتاتي وفيها عادة الشرب والميل الشديد الى السكر

وقد اتصل هذا الامر الى الببغاء ايضاً مما يسقيه الخدم في المطابخ من فضلات الكؤوس واغرب ما يحكى عن احدها انه سكر مرة مما سقاه الخدم وجيء بقفصه الى الدار فجعل يصخب ويعربد كالسكارى ورأت صاحبة المنزل انه سكران فقالت له انت سكران الليلة فالاولى ان تذهب فتنام ثم امرت به فاخذوه الى القاعة الكبرى واقفلوا عليه الباب ودخلت السيدة الى مخدعها . وبعد قليل جاءهم زائر ففتح له الخادم باب القاعة فدخل وشعر به الببغاء وكان قد تعلم كلام صاحبته فقال له انت سكران الليلة فالاولى ان تذهب وتنام . وكان تقليد الببغاء في غاية الاتقان فلم يشك الزائر لظلام الغرفة في ان صاحبة المنزل تكلمه فلبس قبعته وتأبط عصاه واعتذر وخرج . ولما كان اليوم الثاني ارسل رقعة يعتذر فيها عن قدومه اليهم في ذلك المساء وانه شرب كاساً واحدة من الجعة قبل مجيئه للسهر عندهم ولم يكن يعلم انهم يلحظون عليه الشرب فاستغرب اهل البيت ذلك ولكنهم لم يلبثوا ان عرفوا السر فاستدعوه واعتذروا اليه واخبروه ان الذي طرده كان الببغاء وهو في حالة السكر

وقد روى لنا حضرة الشيخ سلامه حجازي ايام كان يذهب للانشاد في الشام انه كان مرة يغني مع جماعة من اصحابه في بستان انيق فلحظ

الجماعة بلبلاً ياتي فيقف على الشجرة فوق رأس الشيخ وينتظره حتى يفرغ من الصوت فيأخذ هو في التغريد الشجي مدة ثم يطير فيغيب قليلاً ثم يعود فيغرد كما كان ولما طال امره وفطن له الجميع احب احدهم ان يعرف الى اين يذهب ذلك البلبل ثم يعود فراقبه وهو طائر حتى راه وقع على شجرة رمان بالقرب منهم ودنا من رمانة وجعل يمد منقاره اليها ثم يرفعه فصعد الرجل الى الرمانة فوجد الطير قد نقرها حتى افرغها وجاء بحبات من العنب فوضعها فيها حتى تخمرت وجعل يشرب منها ويسكر كما رأوه. وهو نهاية العجب في سكر الحيوان واختراعه للمسكرات. ولعل السبب في ذلك ان البلبل كان ياكل من العنب فيشعر بنشوة وطرب فهلم على التمادي ان ما يصيبه من تلك النشوة انما هو من عصارة العنب فسعى الى ان يستخلصها وحدها من القشر فلم يجد لديه سوى هذه الطريقة من تجويف الرمانة يخزن العنب فيها ثم يشرب عصارته فقط تقريباً على نفسه من مسافة السكر وسبحان الخلاق العظيم

ولقد ختم ذلك الطبيب بحثه عن سكر الحيوان بحكاية غريبة في بابها رواها عن سمكة سكرت فقال ان بعضهم كان عنده سمكة في بركة فجعل يشرب مع اصحابه ويلقي فضلات الكؤوس في تلك البركة والسمكة تشرب منها حتى سكرت ثم زاد بها السكر حتى اصابها مثل الجنون فدارت في الماء مدة ثم اقبلت وصدمت راسها بشدة في جدار البركة فماتت شهيدة الخمر وذلك من غرائب المسكرات

المومسات

المرأة البغيّ خليقة ساقطة دفعتها يد الفقر · ونفس كانت نقية طاهرة فزاياها العفاف والطهر · وثمرة كان يرجى منها الصلاح والخير فافسدتها حوادث الدهر · بل هي ريشة حمامة بيضاء نثرتها عاصفة الايام · وشعرة سوداء كانت تزين هام صاحبها قبل ان سقطت عن الهام · فاصبحت شيئاً قذراً تعافها يد المتناول وتدوسها الاخفاف والاقدام · فهي كائنة حية ولكن كأنها ليست من الاكوان · وانسانة كاملة الخلق تسير في طريق الانسان فيزدريها كأنها لم تكن من الانسان · بل هي نفس فسدت فعافتها صالحات النفوس وخمر صيرها الدهر خلاً فلم يعد لها نصيب من الكؤوس · وصورة خلقت لتزين صدور المجالس فاصبحت لا تستحق مقام الاعتاب · وزهرة ناضرة رمتها الايام عن غصن الانسانية فاضحت ملقاة على التراب · وسجية انشئت للحياة والادب فتبرأ منها الحياء وانكرتها الاداب · ووجه براه الله ثم ستره بنقاب الوقار · ومقلة كانت تغضي حياء وعفة قد زانها الاطراق والانكسار · وجبين كان يؤثر فيه النسيم رقة ولطافة وتكاد تجرحه الانظار · فنضى ذلك الوجه ما كان عليه من برقع الحياء وارتفعت تلك المقلة من اطراقها وانكسارها فلم يعد فيها خجل ولا استحياء وصلب ذلك الجبين على الابصار فما يلين لناظر ولا يندى بماء ·

تلك هي البغي تتناول حاجاتها من غير يد الشرف وتسير في مجاهل حياتها على غير طريق الانسانية وتجني ثمار وجودها من غير اغصان الحلال وتزين رأسها من جواهر البغاء بما كان دمعاً على حالها في جفن الاداب والعفاف وتبرز للناس من حليها وحللها بما يظهر فساد النفس ويكشف عوار الاخلاق وتبدي للعيون من زخرف جمالها ما تنكره النفس والقلب وتتقرب الى كل انسان بما يزيدها بعداً عن منزلة الحرمة والاجلال فهي تريد ان تعلو بظاهر الزخارف والزينة فلا يفيدها ذلك سوى ان تسفل في حقيقة الحال وتحاول ان تكتسب بجمالها عزة الحسان فلا تلقى سوى المهانة والاذلال وقد عرفت ان الرجل يخدعها بما يبديه لها من تقربه واقباله فجعلت تخدعه مثل ذلك بما تظهر له من زيف ودادها وما تاخذه من عيون امواله وقد ساوته بالوصمة والعار بما اشتراه من وصالها وما باعته من وصاله صفقة خاسرة على المتعاقدين جميعاً فما ربحت من ابتذالها ولا ربح من ابتذاله ٠

ونحن لا نلوم المرأة الساقطة في هذه الوهدة السافلة لاننا لا ندري تحت اي ثقل سقطت ولا اية يد من ايدي الاضطرار والحاجة دفعتها الى هذه المهواة البعيدة والحالة الدنيئة فهوت مرغمة مضطرة تحت عوامل الفقر او تحت حوادث الايام وكوارث الدهر فانما هي نقطة ندى صافية علقتها يد الصباح على غصن زهر يانع فما زالت يد الحوادث تهز ذلك الغصن وريح المصائب والفقر تعبث بتلك النقطة النقية الصافية وهي تتمسك بالغصن حتى غلبتها جاذبية الاضطرار وفصلتها عوامل الاقدار فسقطت على التراب مهانة صاغرة بدلاً من ان يرشفها فم الفجر بشفاه

الشمس والنسيم · واصبحت وهي طينة سوداء وحمأ مسنوناً بعد ان
كانت من بهاء النور في مثل تألق الحجر الكريم · وانما اللوم كل
اللوم على البعض من شباننا الادباء الذين اقبلوا على هذه المفاسد المضرة
والدنايا الشائنه لا يخشون منها عاقبة ولا يحرصون في جنبها على شرف
ولا يأنفون معها من معرة ولا دناءة نفس · وعهدنا ان الفتى منا
ليأنف ان يشم الزهرة من الورد يرى صديقه قد شمها قبله وان
يشرب الماء من الكوب يكون غيره قد شرب منه امامه مع انها مسألة
لا يدخل فيها غير حاسة الشم او الذوق فكيف يحتمل الشاب
المترف الاديب ان يقبل على امرأة من هذا القبيل يشترك فيها كل
حواس نفسه وجسده وهو يعلم انها لعبة كل فتى ومورد كل طالب وعلالة
كل سفيه وانها لم تصل اليه الا بعد ان تجاوزت الناس قبله ولعبت
بها ايدي الوف من الرجال دونه وانه بعد ذلك لا يرد منها على ادب
ولا يأنس منها الى لطف ولا يشعر في جنبها بشيء من مودات النساء
ولطف الغزل وانها امامه آلة صماء لا تقع نفسه منها على عاطفة وداد
ولا تقع عينها منه الا على موضع الدرهم والدينار وبئست تلك صحبة ينفر
منها طيب الوجدان وساعة لا يبقى منها من الانسان سوى الحيوان ·
ذلك فضلاً عما يكون في تلك المرأة من الامراض المعدية والادواء
الخبيثة القتالة التي يلهو بها الفتى ساعة في سكرة طيشه وصباه ثم تعقبه
ندامة الابد وبلوى العمر وضياع الصحة وفساد النسل وسوء الاحدوثة
والذكر وخطر الموت العاجل والانحطاط السريع وما تبع ذلك من

بلايا المرض وعوادي الاعتلال والسقم ولا سيما في هذه الامراض النسائية التي لا يخجل المرء من بيان مرضه الا بها ولا يستر اعتلال صحته عن الناس الا فيها وكل مريض يشفق عليه اخوانه ويرثي له صحبه والسامعون به الا مريضها فانه لا يجد الا عبارات الطعن بدل الرحمة ولا يقال عنه سوى المذمة والقدح بدل الرثاء والشفقة ولا يكون عرفان دائه الا سبباً للملامة والتعنيف عوض التأسف والتعزية . ثم اذا ارتكب جريمة الزواج بعد ذلك جاء اولاده سقماء الابدان ضعاف البنية مهازيل الجسوم لا يشعرون بحلاوة العيش الا وهي مقرونة بمرارة الاسقام والاوجاع والحمية والمداراة وقد جنى عليهم ابوهم وما جنوا على احد ولحقت امراضهم وعدوى ابيهم الى امهم البريئة المظلومة التي ذاقت عواقب زوجها وشاركته في بلاياه وعلله فيما لم تشاركه به من سابق لهوه وسروره وهي ولا شك جريمة كبرى ليست جريمة القتل باعظم منها لان جاني القتل يجني على واحد ثم يلاقي عقابه وجاني هذه الجريمة يجني على نسل باسره ولا عقاب له ولا جناح عليه سوى ما تعاقبه عليه الطبيعة في نفسه وابنائه فيجني على نفسه وعلى سواه

ولقد يقول البعض ان هؤلاء المومسات سياج الحرائر بمعنى انهن يصرفن الشبان عن العبث بالمصونات الى العبث بهن فتصان بذلك الانفس والاعراض ولكن فاتهم ان اولئك البغايا اذا كن سياجاً يمنع الشر عن ربات الجمال فهن سياج ايضاً يمنع الخير عن الفتيات والعازبات اللواتي قضى عليهن الدهر بالقعود في منازلهن لينال غيرهن من النساء

من هو نصيبهن من الرجال وما هو مكتوب لهن من عيشة العفاف وراحة الزوجية ولذة الاقتران والائتلاف · فيا حبذا لو تأمل شباننا في عواقب ما يقدمون عليه من هذه الشؤون الفاسدة واخذتهم في هؤلاء المومسات عزة وانفة الشباب ان لم يأخذهم غير ذلك من خوف العقبى وسوء المصير فرفعوا همهم الى فتاة طاهرة النفس نقية القلب وافرة الادب طيبة الاخلاق فقضوا في صحبتها هذه الحياة تشاطرهم اكدارها وتزيدهم من محاسنها وتعقب لهم ما به قرة العين من الحياة الدنيا في مال او بنين ولو لم يكن للفتى من هذه القرينة الا صيانة النفس ووقاية الجسم ومراعاة الادب وتوفير المال لكفاه العقبى الصالحة والعيشة الوافية والسلام ·

الوطنية

هي الوطنية حتى تتحد القلوب قلباً واحداً فلا تفصل بينها الاهواء وحتى تجتمع الايدي على رفعة الوطن وعلائه كما تجتمع احجار البناء · وحتى لا يجري في الدماء حب سواها ولو جرت في سبيلها تلك الدماء · بل هي الوطنية حتى لا يكون للمرء حقيقة غيرها ويكون كل ما عداها غروراً · وهي الوطنية تقدح في القلوب ناراً ويكون للعينين نوراً بل هي حب الوطن حتى يحبه المرء اكثر من اولاده · لانه يقدر ان يحب مع اولاده سواهم ولا يقدر اذا كان صادق الوطنية ان يحب غير بلاده · ولقد خلق الله للانسان مكاناً

في الارض قبل ان سوّاه انسانا ثم جعل فيه حب ذلك المكان طبعاً غريزياً بل جعل له ذلك الحب ايمانا ولا بدع فانما هو الحب الصحيح لاول هواء تنشق منه نسيم الحياة والميل الغريزي لاول ارض وقعت عليها ابصاره واول ملعب مرحت فيه جياد صباه بل هو الانس باول منظر من مناظر الدنيا تجلى لابصاره والتمتع باول زهرة من زهرات عمره تفتحت بين رياضه وازهاره واول حلاوات الصداقة والالفة التي ينفتح لها جناح القلب كما تنفتح الوردة لندى السماء واول لذاذات الصبابة والوجد تلقيها مقلة الحسناء شقاء فلا يرى بها القلب الا تباشير الهناء . فيحب ذلك الوطن كله لان تلك الحسناء مقيمة تحت سمائه . ويجد هواءه مقدساً عزيزاً لانها تتنشق معه نسيم هوائه . ويستعذب ماءه ونضرة ازهاره لانها تجني زهره وتشرب من مائه . بل يحسب ان الوطن هو الدنيا لانه جمع اماله واماني قلبه . ويراه جنة النعيم القصيا لانه انبت له اول زهرة من زهرات حبه . فهناك اول ما عرف بهجة الحياة والوجدان . واول ما ذاق لذة الالفة وصحبة الاخوان واول ما طمحت ابصار اماله الى ادراك اسرار الاكوان . بل هناك اول ما تنبهت ابصاره الى ما يبرق حولها من ثغور الحسان . وهناك اول ما تحرك قلبه تحت عوامل الصبابة والحب واول ما رمت فواده عينان . فانثنى وهو يقول ليس الانسان الاّ بالاوطان . وليس الوطن الاّ المحبة والاخلاص وحب الوطن من الايمان

والوطنية في عرف العقل قسمان قسم يقوم بسفك الدماء وبذل الاموال في صيانة الوطن من العدو وانقاذه من ايدي الطامعين وبيع

الارواح جزافاً في سبيل حفظه واستقلاله وهو لذي به تثور الحروب اصد الغارات عنه وتسفك الدماء لمنع الفاتحين عن دخوله واحتلاله ثم تبذل الاموال الطائلة و يباع كل مرتخص وغل لاخراجهم منه وجلائهم عنه اذا دخلوه عنوة واحتلوه اغتصاباً كما فعلت فرنسا في كلا الامرين بعد محاربتها للالمان وانتصارهم عليها بدخول باريز واحتلال البلاد ·
وقسم يقتصر على بذل الاموال وصرف العناية والجهد وتأليف القلوب وعقد الايدي على اصلاح الوطن ورفاهة شانه وتقدم ابنائه الى سائر ما يتبع ذلك من موجبات تمدنه وعمرانه كما هو المأثور عن شعوب المغرب في خدمتهم لبلادهم واجتهادهم في تعزيز اوطانهم ونشر المعارف والصنائع بين ابنائهم وافرادهم مما كان ينبغي لنا ان نقتدي بهم فيه ونجعلهم مثالاً لنا عليه

ولقد اصبحت مصر في عهدها الحاضر بين هذين القسمين من الوطنية يتنازعانها من كل جانب اولهما ما يلزمها من جلاء الاحتلال عن بلادها مما لا تزال تشكو منه وثانياً ما لا يزال ينقصها من لوازم التقدم والارتقاء وهو ما لا يزال يشكى من تهاملها فيه وابطائها عنه · اما الوطنية الاولى وهي جلاء الاجنبي عن البلاد وما قدمناه له من وجوب سفك الدماء والمخاطرة بالارواح فامر نرى مصر معذورة فيه لانها لا تقدر عليه وليس في وسع رجالها ان يقوموا به بل قد يكون الاقدام عليه من باب التغرير بالنفس والخرق في الرأي بما قد يجر ذلك من الفشل على القائمين به وما قد يتبعه من البلايا الجديدة التي يستفحل بها الخطب على البلاد وتزيد في طين مصائبها بلة وفي طنبور شكواها نغمة وهو ما لا نظنه يخطر للعقلاء ويرضى به اولو الالباب

بقي الوطنية الثانية وهي ترقية الوطن ورفعة شأنه وتمهيد السبل والاسباب لكماله وعمرانه وهذا الذي يمكن الكلام فيه ويمكن الاقدام عليه والاخذ باطرافه بل هذا الذي لا يبعد اذا سعينا فيه واكثرناه ان يكون مقدمة لقسم الوطنية الثاني الذي نراه الان عزيز المنال وقد يصبح غداً مع عمران البلاد وتمدنها وتعلم اهلها من اقرب الاماني والامال بل قد ننساله عفواً مجاناً من يد العلم والمدنية دون ان نحتاج فيه الى منازلة او قتال. لان العلم وجهل الاستبداد لا يجتمعان والمدنية ووحشية الاستعباد لا يأتلفان وهل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور

فعلى ابناء الوطن ان عزهم الشطر الاول من الوطنية ان يأخذوا في اسباب الشطر الثاني و يعلقوا امالهم عليه ويقفوا مساعيهم له فيتحدوا يداً واحدة على خدمة البلاد وقلباً واحداً على رفع شان الامة واعلاء منار المعارف والاداب وبث فرائد الصنائع والمعامل ومنافع الاختراعات والمشارع وكل ذلك سهل هين اذا اتحدت القلوب والاميال واعتصمت النفوس بثبات العزائم ونهضات الاعمال ويد الله مع المجتمعين وهو ولي الاماني ومحقق الامال

سارقة الرغيف

نظر الكاتب الفرنساوي الشهير فيكتور هيكو الى القانون العام نظرة الرحمة والشفقة والى احكام القضاة التقليدية نظرة الاحسان

والانسانية وراى انه لا يكفي القانون ان يكون عادلا فقط بل ان يكون راحماً ايضاً ولا يكفي القاضي ان يتبع القانون وحده بل ان يتبع معه الشفقة والحنان فوضع كتابه المشهور بعنوان « الاشقياء » في ستة مجلدات كبيرة بناها على حكاية رجل حسن الاخلاق طيب القلب لم يخلق للشر والعدوان قضت عليه الضرورة القصوى وهي ضرورة الجوع او ضرورة البقاء التي فطر عليها الانسان ان يسرق رغيفاً من الخبز لاهل منزله وفيهم صغار اطفال يتضوّرون من الجوع فقبضت عليه الحكومة بهذا الذنب الكبير وحكم عليه القضاة بموجب قانونهم بالاشغال الشاقة الى امد بعيد . وقد افرغ هيكو في هذا الكتاب كل ما حواه عقله الكبير من فلسفة الشقاء وكل ما شعر به فؤاده الكريم من واجب الرحمة والحنان وكل ما سمح به برهانه القاطع وحجته الدامغة من الطعن على القضاء في مثل هذا الظلم الشديد على فقير بائس يسرق رغيفاً لسد الرمق وقوام الحياة دفعته اليه ضرورة العيش وحب البقاء فقدم عليه مضطراً غير باغٍ ولا عاد ولا من طبعه السرقة وحب الاذى فحكم عليه القانون القاسي بمثل ما يحكم به على سارق الكثير تدفعه اليه يد الطمع وفساد الطبع وحب الاذى والميل الى السرقة والاختلاس وان هناك جرائم كثيرة يأتيها فاعلها رغبة واختياراً لا تدعوه اليها ضرورة ماسة ولا تدفعه نحوها حاجة شديدة وقد اغفلها القانون اذى للناس ومفسدة للاخلاق وهو لو انصف لعاقب عليها اشد العقاب ونذكر منها الزنا والفحشاء وهي جريمة خارجة عن اداب الانسانية خارقة لحرمة

الدين والشرف مشوهة لوجه الهيئة الاجتماعية يرتكبها صاحبها مختاراً راضياً غير مضطر ولا مكره وهو قادر ان يصبر عنها او ان ياتيها من الطريق الذي وضع لها في عرف المدنية والنظام ثم يبيحها له القانون اباحة مطلقة ولا يتعرض لاصحابها بشيء من المؤاخذة والعقاب وينتظر الفقير البائس يؤذيه الجوع وتؤلمه الفاقة وشدة الاعواز فيقدم هائباً وجلاً على سرقة رغيف من الخبز تكون فيه حياته التي هي اعز عليه من حياة جميع الناس فيحكم عليه بالاشغال الشاقة والسجن الطويل لانه انقذ نفساً من الموت وقد دفعته الى انقاذها يد الضرورة والاحتياج وترك الزاني يسرق اعراض النساء ويمرح في ميادين الخلاعة واللهو كما شاء مع انه ارتكب جريمة الفساد واسقط معه نفس فتاة طاهرة الى وهدة الدنيئة والعار وهو لم تدفعه الى ذلك ضرورة ماسة ولا حكمت عليه شدة قاضية ولا فعل ذلك الفعل لينقذ نفساً تكاد تهوى من جوعها في مهواة الآلام والموت

ولقد حدث في باريس في الاسبوع الغابر ان امرأة قضت عليها ضرورة الجوع القصوى ان تسرق رغيفاً من حانوت فران تسد به رمقها فالقي القبض عليها وسيقت الى القضاء وهي تنتظر ان يصيبها من عقاب القانون ما اصاب ذلك الرجل الذى روى هيكو حكايته في كتابه . الا ان القضاة رثوا لحالها ورقت قلوبهم لفقرها واحتياجها فعادوا الى رأي هيكو في وجوب العفو عنها وحكموا ببراءة ساحتها من ذلك الذنب الذي كان يعده قانونهم جريمة كبرى لا تقبل الغفران وقد نال

الكاتب الشهير بعد وفاته ما كان يصبو اليه في حياته من رحمة المسكين والشفقة على الفقير وخرجت تلك المرأة البريئة وهي تدعو له دعاء لو بلغ اليه لتحركت عظامه في قبره · ولسر ذلك الفؤاد الكبير البالي باجابة ما طلبه في اواسط عصره فلم ينله الا في اواسط عصره · ولا بدع فان انشاء الكاتب روح تحيى بعد موته وعمر يبقى بعد عمره · فنم ايها الرجل العظيم في قبرك مكفناً بجلال مجدك ونور عقلك وذكائك فان مصباح العدالة لا يزال ينير من اعماق لحدك كما ينير من صميم فؤادك وان السهم الذي اصبت به كبد القانون في كتابك قد نفذ اليوم الى قلوب قضاته فحكموا ببراءة من كنت انت الآمر ببرائته من قبل · واذا فاتك سرور الحياة من اجابة سؤلك في تخفيف هذا الشقاء فلن يفوتك سرور الاخرة بما يتصاعد اليك من دعاء البائسين والاشقياء ·

الارض والكائنات

ينظر المرء الى السماء نهاراً فيحسبها من فوقه قبةً زرقاء · ويدير ابصاره في انحائها فيخال نجومها مصابيح لامعة في ذلك الفضاء · ويرى الشمس يحسبها قرصاً منيراً على قدر ما ترتسم فيه الابصار · ويجيل نظره في صفحة البدر فيخالها دارة صغيرة في حجم ما تراه الانظار · وينظر في نجوم الثريا فتبدو له قرطاً وهاجاً من الحجر الكريم · ثم ينقل بصره فيما حوله من الكواكب فتظهر له جواهر لامعة قد نثرتها يد الخالق على ذلك الاديم

فيحسب ان دائرة الافلاك ما احاطت به ابصار المقلتين . وان كل عوالم الدنيا محصورة عنده في ما ارتسم على حدقة العين . وهو لو تاملها بعين العلم لبدت له اوسع من ذلك النطاق . ولو فحصها بما اخترعه من آلات البصر لفاتت به فوق ما يتوهمه من السبع الطباق . ووجد ان تلك العوالم فوق قدرة ادراكه وانها دليل على قدرة الخلاّق . وان الشمس وان كانت اكبر ما يراه فقد يكون اصغر ما يبدو له من الكواكب اكبر منها حجماً في شاسع الفضاء . وان القمر وان كان مصباح ظلامه فان الارض اعظم منه جرماً وان اخفى ما حولها من النجوم ابهر منه في الاشراق والضياء . وسبحان من خلق فسوى فجلت دقائق ابداعه عن الافهام والعيون . وتبارك من ابدع تلك العوالم في افلاكها فكل في فلك يسبحون

ولا يخفى ان المقرر في افهام العامة في هذه الايام ان الشمس اكبر ما يبدو لنا من نيرات الافلاك واعظمها جرماً ونوراً ولكن لو تأمل المرء بعين الحقيقة ونظر نظرة الباحث في تلك الملايين من الانجم الصغيرة المنبثة في اقطار الفلك لوجد ان اصغرها في انظارنا قد تكون في الواقع شموساً كبيرة وان شمسنا العظيمة التي هي حياة ارضنا والتي تبعد عنا ٣٧ مليون غلوه ليست في جانب تلك الشموس المنيرة الا نقطة صغيرة في بحر الفضاء . بل لوجد الشعرى اليمانية التي هي اقرب الشموس الينا انما تبعد عن ارضنا ملايين من المراحل حتى ان نورها لا يصل الى ابصارنا الا بعد الفي سنة من انبعاثه مع ان نور الشمس يصل الينا في اقل من ثماني دقائق وانها اكبر من حجم شمسنا الهائل الف مرة مع ان شمسنا اكبر من الارض بمليون وثلثماية

الف مرة

ومتى وقف الانسان ينظر في ما حوله من صفحه الفلك الواسع . وما حواه ذلك الجو الفسيح من تلك النجوم السواطع لا يلبث ان تدخله الدهشة والاستغراب . ويتولاه العجب والذهول مما خفي عنه من الاسباب ويقول ما عسى ان يكون وراء تلك الانجم التي نراها . ثم ما عسى ان يكون ايضاً وراء النجوم التي يفوت ابصارنا مداها . ثم ما يكون بعد ذلك مما نتصوره تصوراً ولا تبلغ مرامي نظرنا اليه . ومن يكشف لنا عن اسرار هذه الكائنات وما صارت اليه وما كانت عليه . فيجيبه صدى عجزه وقصوره ان وراء ذلك ما يسمونه اللانهاية مما لا تصل العقول الى مداه . وان وراء ذلك كله ما ينتهي اليه مدى البصائر والافكار من الاعتقاد بالخلود والايمان بوجود الله

ولقد مضى على الانسان حين من الدهر كان يحسب فيه ان ارضه مركز العوالم والاكوان . وان هذه النجوم الزاهرة من فوقه مصابيح انوار معلقة في العنان . وفاته ان هذه الارض التي يقطنها ليست الا حبة غبار في عالم الافلاك العلوية . وانها اصغر من قطرة ماء في بحر تلك الكائنات الجوية . وان حولها من الوف الشموس ما لو قيست اليه لكانت ذرة هباء . وان حول تلك الشموس من سيارات الانجم اضعف ما يبدو لنا على صفحة هذا الفضاء . اما الان فقد علم المرء ما هو مقدار ارضه في جنب تلك الكائنات . وعرف ما هي قيمة الدنيا امام تلك المشاهد الباهرة من عوالم المخلوقات . وانه ذرة غبار تسري على كتلة ارض هي مثله ذرة

غبار. وانه احقر من ان يشمخ بانفه كبرًا وتيهًا لدى ذلك الملك الواسع والملك لله الواحد القهار

ولقد كان الناس يزعمون ان العالم هو ما تألف من شمسنا وما يدور حولها من الارض وكواكبها السيارة وان ما بقي من النجوم ليست الا كواكب صغيرة لانارة هذه الارض. اما الان فقد تحقق لدى العلم ان فلكنا الشمسي ليس الا فلكاً صغيرًا من افلاك كثيرة واسعة ذات شموس عظيمة لا تقاس شمسنا اليها بشيء وان العالم العلوي اعظم من ان يحيط به وصف او يدركه عقل انسان مهما اخترع له من آلات البصر ومقربات الابعاد وجل ما توصل العقل الى اكتشافه من اسرار هذا الكون ان له ناموساً خاصاً به يجري على مقتضاه وهو ناموس الجاذبية الذي اهتدى اليه العلامة الانكليزي نيوتن وبه ترتبط الاكوان بعضها ببعض في هذا الفضاء الواسع الذي لا نهاية له وهو الرابط الوحيد بين شمسنا وما حولها من الكواكب والسيارات

ومن اقوال العلماء في بداية الارض وتكوينها انها كتلة نارية انفصلت عن الشمس في ما غبر من القرون بقدرة الخالق جل جلاله ثم اخذت قشرتها تبرد على التوالي حتى اصبحت صالحة لظهور الحياة فوجد عليها الانسان والحيوان والنبات وان الشمس التي نراها دائرة حولنا من الشرق الى الغرب انما هي ثابتة في مركزها وان الارض هي التي تدور على نفسها من المشرق الى المغرب مرة في كل ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤ ثوانٍ ثم هي تدور حول الشمس مرة في كل عام اي في مدة ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و١١ ثانية على سرعة معدلها ٢٩ كيلومترًا في الثانية او ٦٤٣٠٠٠ مرحلة وهي تدنو

من الشمس في الشتاء ٦ ملايين كيلومتر وذلك في اول يناير فيكون بينها وبين الشمس عندئذ اكثر من ١٤٥ مليوناً من الكيلومترات · اما في شهر يوليو فيكون البعد بينها وبين الشمس ١٥١ مليون كيلومتر ومعدل بعدها عن الشمس بين الصيف والشتاء ١٤٨ مليوناً من الكيلومترات · اما محيط قطرها فيبلغ ١٢٧٣١ كيلومتراً ويقتضي لها لكي تصل الى الشمس ان ينضاف اليها ١١٦٥٥ ارضاً مثلها ولكن اذا اريد وصولها الى القمر فلا ايبغي لها اكثر من ٣٠ ارضاً مثلها فقط اذ ليس بينها وبين القمر من البعد اكثر من ٩٦ الف مرحلة · وقد حسب بعضهم حجمها فكان نحو الف مليار من الكيلومترات المكعبه وتوسع غيرهم في حسابها فكانت تزيد عن حجم القمر ٧٨ مرة وعن فرنسا ٩٦٦ مرة وعن اوروبا ٥٢٥ مرة وعن اسيا ١١٥ وعن اميركا ١٣٧ وعن افريقيا ١٧٥ مرة

وقدّر بعض العلماء ان سكان الارض وعددهم مليار و٥٠٠ مليون نفس لو بدأُوا يعد كل منهم الف طن في الدقيقة من وزن الارض وكانت بداية عملهم هذا من عهد الخليقة اي من ٤٠٠٤ سنوات قبل المسيح لاقتضى لهم مثل زمن الارض من بدء عهدها الى اليوم ١٣ مرة على الاقل لكي يتموا تعداد وزنها طناً .

وقال بعضهم ان الانسان لو اراد نقل الارض الى الشمس لاقتضي له مليون قطار حديدي على مليون خط ويكون كل قطار مؤلفاً من عشرة الاف مركبة وان يرسل هذا المليون من القطارات في كل ساعة وان يكون قد بدأَ بهذا النقل من سنة ٢٧١٨ قبل المسيح ليتسنى له ان يفرغ منه في

سنة ١٨٩٧ . اما سقوط الارض على الشمس لو سقطت فلا يكون تأثيره اكثر من سقوط نقطة من المطر على قارة اوروبا كلها . فتأمل

المرأة والعلم

الالف اذا لم يشاكل الفه في العادات ولم يقارنه في الاخلاق والاداب فما اقل لبث الالفة بينهما مهما اشتدت اواخي الاخاء من غير تلك الوجوه . والقرين اذا لم يشابه قرينه في فهمه وامياله فلا اقتران بينهما ولا وصلة يدوم عليها الوداد ويمتد بها حبل الاتصال . والمرأة اذا لم تكن مثل رجلها في اخلاقها ومداركها فما اسرع ذهاب التواصل بينهما وما اقرب انبتات عرى الالفة والحب من قلبيهما . ولا يغرن المرأة باهر جمالها ولين قوامها وعذب كلامها وحلاوة ابتسامها وان لها عينين سلطهما باري سهامهما على المهج . وسوق دلال تنفق في سبيلها ارواح العشاق ولا حرج . ولا يخدعنها ان للجمال دولة . وان لمراض الجفون على صحاح القلوب صولة . فان دولة الجمال لا بد ان تدول . وصولة الحسان ياتيها زمان لا تجول فيه ولا تصول . واذا لم يكن بين المرأة وزوجها وصلة هي وصلة الادب . ونسب هو نسب التفاهم وسبب العلم فلن ينفعها بعدها وصلة ولا سبب . ذلك لان للخود في ميدان الصبابة اياماً تمد . واوقاتاً تجد . ثم يعود الطبع الى مجراه ويثوب العقل الى مثابه

ويعود العاشق رجلا والولهان قرينا والخطيب بعلاً حكيما فاذا لم يجد من امراته مثل ما في نفسه من مزايا العلم واخلاق الاداب والفهم ولم تكن بينهما تلك النسبة التامة من هذا القبيل الادبي فما اضعف النسب وما اوهى قيود الصبابة والجمال

ولا يخفى اننا قد صرنا الى عصر عمت فيه المعارف اكثر شبانه وسادت فيه راية المدنية والعلم على السواد الاعظم من فتيانه وسار من اجل اماني الفتى ان يصادف من يرى انعكاس اخلاقه في مرآة اخلاقها وصفاتها · ويسمع صدى عقله ورنين مداركه من منبر مداركها ومرجع حاساتها · وانه اذا اقترن بفتاة كان بذلك اقتران الروحين واقتراب العقلين وامتزاج النفسين حتى اذا سئم من مجال الصبابة فؤاده · وكل في حلبة الغرام والوجد جواده وراى ان ذلك الجمر قد خبا ولم يبق الا رماده · عاد من قرينته الى مثل ائتلاف الصديقين وعشرة الاخوين ولذة المتفاهمين · اذ ليس الذ للعاقل من معنى يجده فيشارك به سواه ولذة علم يصادفها فيقاسمها صديقه كما يحكى عن رجل من العرب سمع بيتاً من الشعر اخر الليل وكان وحده فانطلق يعدو الى صديق له فقرع عليه الباب حتى ايقظه ثم انشده البيت وقال ما اتيتك الا لذلك لانني وجدت نقصاً في نفسي ان اسمع شيئاً لا يشاركني فيه من يفهمه مثلي وقد بلغت الان من لذة الفهم ما اريد · ثم تركه وانصرف

واذ قد تبين ذلك ووجد كل امرئ من نفسه حاجة المشاركة

لصديقه في فهمه ووجداناته فقد تبين ما لتعليم المرأة من الوجوب في هذا العصر . الذي اتسعت مدارك اهله وانتشرت المعارف والعلوم فيه حتى قل ان يخلو من بعضها صدر او ان لا يكون لها في كتاب كل فؤاد صفحة او سطر ولست اقصد بذلك ان تتعلم المرأة حتى تكون عالمة بل ان تعرف قدر العالم فان في معرفة قدر العلماء ومنزلة عقولهم لذة هي جانب من لذة العلم ونصيب من حلاوة الادراك والفهم ولا ان تزاول الكتابة والانشاء حتى تكون كاتبة بل ان تفهم معاني الكتابة والانشاء ويكون لها في مخيلتها تأثير تشارك فيه سواها من العارفين ولا ان تكون مجيدة في كل فن تصرف فيه ايامها وتقف على تحصيله جدها واجتهادها بل ان تكون من كل فن على طرف وخبرة حتى اذا عرض لها حديث منه عرفت ما تقول عنه او ما يقال لديها فيه لا تزلفاً لعشرة الناس وترشحاً لصدور المجالس بل ارضاء لزوجها ومسرة لنفسها ومشاركة لشريكها في حياتها واستدامة للصداقة والود في نفسين جمع بينهما الوداد والغرام . ثم ايدت صلاتهما القرائح والافهام . وما ابدع الغادة يزينها العلم والكمال . كما يزين قوامها الاعتدال والجمال . وان تكون فصيحة النطق بالفاظها . كما هي فصيحة السكوت بالحاظها . حتى تكون هي الحسناء من جميع جهاتها . ويكون الرجل قرين محاسنها كما هو قرين صفاتها

الغيرة

مما يحكى في خرافات القدماء ان الله تعالى لما خلق الحب بهيئة ولد صغير على عاتقه كنانة فيها سهام الغرام واراد ان يرسله لتعذيب الناس وشقائهم قال له سبحانك اترسلني كذا طفلاً ليس معي من يحميني ولا يدافع عني في هذا المعترك الشديد الذي سأثيره بين القلوب والاحداق فقال له الخالق ها انا مرسل معك هذه المرأة الحمقاء تضرب حولك بغير عقل وترمي بسهامها على جانبيك كل من يؤذيك ومن لا يؤذيك قال سبحانك وكيف تدعى هذه الرفيقة القاسية قال تدعى الغيرة

تلك هي الغيرة في عرف القدماء وامثالهم وهي في الحقيقة كما مثلوها امرأة حمقاء تحوم حول الحب لتدافع عنه وتحميه ولكنها قد تؤذيه احياناً كما تؤذي اصحابه من غير ان تدري او تشعر انها تسيء بل هي تحسب انها تحسن عملا او انها تصون الحب الذي خلقت لصيانته واجلاله · والغيرة غيرتان غيرة في قلوب الرجال وهي الانفة والاستكبار وحب الاثرة والاختصاص · وغيرة في قلوب النساء وهي الخوف والجزع على من تحب حرصاً على ان ياخذه منها سواها · لكنها كيف كان نوعها فهي دليل الضعف وعدم الثقة والامانة وهي بالرجال اقبح منها بالنساء لان الرجل خلق للقوة والاستقلال والبعد عن مواطن الضعف والوهن بعكس المرأة التي خلقت لكل ذلك بل كل ذلك من لوازم حسنها وحاجات

جمالها ولطف تكوينها ٠ ولكنها بالنساء اشد اتعاباً واطول تكديراً واكثر اقلاقاً للعيشة واذهاباً للراحة المنزلية لان المرأة متطرفة في كل شيء بما جبلت عليه من رقة العواطف والاحساس فهي ترخي لغيرتها العنان حتى تصير ضرباً من الحماقة والجنون وتصبح من قبيل كثرة الحب التي تفسد بالجهل ثم تزعم انها بذلك تحب قرينها وان غيرتها عليه اعظم دلائل ميلها وغرامها وفاتها انها بذلك تؤذيه احياناً كثيرة وتنكد عيشه بدوام شبهاتها ووفرة ظنونها وهواجسها فاذا تأخر عن ميعاد قدومه اتهمته بحب سواها واقامت عليه قيامة الغضب والجدال واذا نظر الى امرأة في طريق قالت له انت عاشق لها وبينك وبينها معرفة وعهود واذا زارتهم امرأة وجلس يحادثها اخذت تنظر اليه شزراً وتدمدم عليه سراً الى ان تنصرف الزائرة فيكون بينهما من احتدام الخصام ما يكون ٠ واذا جاء الى منزله وعليه ارج رائحة طيبة اتهمته بكل تهمة وقالت له من اين جاءك هذا الطيب حتى لقد يبلغ الامر بالبعض من النساء الى انها اذا زارتها صديقة من صواحبها وكان زوجها في غرفته اقفلت عليه باب الغرفة من الخارج ولم تدعه يخرج منها حتى تنصرف تلك الزائرة ٠ بل لقد يبلغ الحال بالبعض منهنَّ الى ان تغار على زوجها من اخته اذا تعانقا بعد القدوم من سفر وهو من اشد مواقف الغيرة واغرب فنونها وانواعها واغرب منه غيرة الزوج من مثل ذلك وهو الى الجنون اقرب لانه يخرج عن حد الغيرة المألوف

فاذا قضت بعض هفوات العقل على الرجل ان يكون غيوراً فلتكن

غيرته بحكمة ومداراة وليفحص عن اسبابها بتامل وسكون فاذا وجدها حقيقية سعى في منعها واستئصالها والا عاد الى هداه واطمأنت هواجس نفسه وعاش عيشة هادئة لا يكدرها ظن ولا هم · ذلك خير مما يفعله البعض من ضرب نسائهم لاقل لائحة وحبسهن في المنازل والتضييق عليهن في المقاصير والحجرات والاساءة اليهن اساءة شديدة من غير ذنب ولا جرم سوى ما صوره الوهم لذلك الزوج الضعيف

اما المرأة فان قضى عليها الطبع باشد احوال الغيرة فان العقل يقضي عليها باشد حالات التسامح والاغضاء لان زوجها ليس في يدها ولا تقدر ان تقيده كما يقيدها ولا في طاقتها ان تمنعه الخروج كل يوم كما يمنعها وليس عندها علم الغيب لتعلم هل حفظ عهودها ام اضاعها ولذلك كان التسليم والسكون اولى بها واقرب الى راحة حياتها وحياة من معها واحفظ لزوجها من النظر الى غيرها اذ هي ربما دفعته بشدة غيرتها وعنادها الى ما تمنعه عنه من الميل الى سواها واحب شيء الى الانسان ما منع · فلتقنع بما يبدو لها من ظواهر زوجها ووداده وقد عزّ من قنع



لصوص الافكار

روى لنا بعض الادباء مقاله لاحد مشاهير الكتاب وصف بها لصوص الافكار الذين يسرقون اقوال سواهم و ينتحلونها لانفسهم وطلب الينا ان ناخصها فكاهة وفائدة قال الكاتب

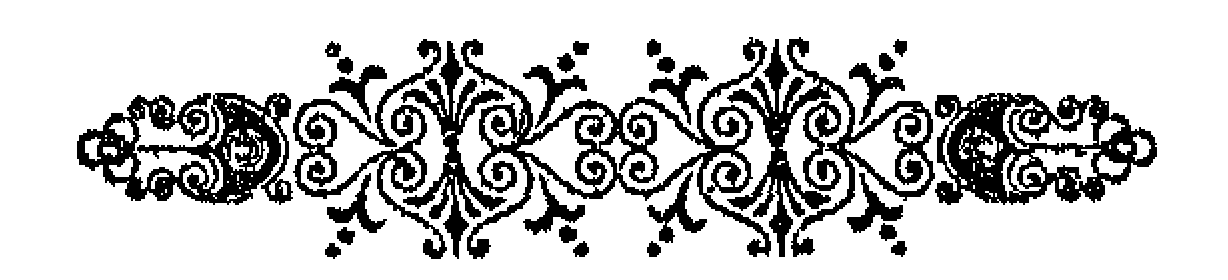
كنت اتردد على بعض الاندية لقطع اوقات الفراغ فكنت اجد في صدر ذلك النادي باباً عليه ستار يدخل منه بعض الحضور ثم يقفلونه وراءهم فاحببت ان اعرف ما في داخله يوماً ففتحته فوجدت قاعة واسعة تحيطها خزائن الكتب في جميع جدرانها وقد جمعت في كل خزانة مولفات كل كاتب وشاعر من مشاهير اوربا ووضعت فوقها صورته مثل فولتير وروسو وشكسبير وهوكو و كورنيل وراسين و يوحنا فم الذهب وسواهم من عظماء المصنفين ثم رأيت في وسط تلك القاعة منضدة طويلة عليها اقلام واوراق والناس جلوس حولها وامام كل واحد منهم كتاب يقرأ فيه قليلا ثم يكتب على ورقة بين يديه واذا اشكل عليه امر نهض الى الخزانة التي يريدها فاخرج منها الكتاب الذي يحتاجه واخذ منه ما اشكل عليه . فعلمت من منظرهم والكتب التي بين ايديهم انهم الجماعة الذين يريدون ان يقيموا لانفسهم شهرة في الكتابة والانشاء من مبتكرات سواهم ومعاني من تقدمهم من المنشئين والشعراء وان ينشئوا لاقلامهم سمعة كاذبة يسرقونها من غيرهم ويموهون بها على عقول العامة والبسطاء . اذ وجدت الكاتب الضعيف منهم

يريد ان يكتب في موضوع فلا يجد من سجيته وقلة علمه ما يساعده عليه فيقبل على تلك الخزائن يقلب كتبها وصفحاتها ويرى ما كتبه كل عالم من اولئك العلماء في المعنى الذي يريده لرسالته ثم ياخذ من اقوالهم جميعاً ما يؤلف منه رسالة او فصلاً ويذيله بتوقيعه الشريف ويرسله وهماً وتمويهاً على اعين الناس فيقال عنه فلان كاتب مجيد وما هو في الحقيقة الا سارق محتال

وبينما انا اتأمل في امرهم واستنكر اعمالهم في انتهاب تلك الامانات العلمية وخداع القراء بها في انتحالها لانفسهم اخذتني اغفاءة النعاس بغتة فرأيت في نومي كأن تلك الصور الموضوعة فوق المكاتب قد تحركت وخرج اصحابها منها ونظرت فولتير قد تجسم وخرج من اطار صورته وتبعه روسو وشكسبير وهيكو وغيرهم وتناول كل واحد منهم عصاً او كتاباً مما وجده بين يديه واخذوا يريغون على اولئك الناسخين اللصوص ضرباً دراكاً وينزعون مؤلفاتهم من ايديهم كرهاً واغتصاباً وعلت الضوضاء فيما بينهم واشتد اللجاج فافقت من اغفاءتي مذعوراً وصحت بالمتخاصمين لارد بعضهم عن بعض واذا بي اجد نفسي في وسط القاعة وهي ساكنة هادئة والقوم ينظرون اليَّ مندهشين من امري فاعتذرت لهم بانني حلمت حلماً هائلاً ارعبني وكنت اود ان يكون صحيحاً وخرجت وانا اقول اذا لم يكن لتلك الصور ان تخرج من اوراقها وتعاقب اولئك السارقين فان اقلام خلفائها من الكتاب تخرج عنها وتنتصر لها وتنبه انظار الناس الى ما يعرض عليهم من مسروقاتها ومنهوبات معانيها ثم

كتبت هذه المقالة انتقاماً لاولئك الكتاب المشاهير وحضاً لارباب اليراع على الانتصار لهم وكف ايدي السارقين عن مؤلفاتهم وبياناً لسرقاتهم التي يحسبون بها انهم يغشون المطالعين وهم لا يخدعون الا انفسهم وما يشعرون

انتهت قصة الكاتب ملخصة وقد نقلناها تنبيهاً وذكرى لمن عندنا من هذا القبيل من الكتاب الذين ينتحلون الشهرة انتحالاً ويأخذون معاني مقالاتهم وكتاباتهم خدعة واستراقاً ثم ياليتهم يؤدونها كاملة كما اخذوها بل هي لا تخرج من تحت اقلامهم الا وقد اعتورها التحريف وشوّه محاسنها سوء التعبير والفهم ولكننا على كل حال لا نلوم اولئك الكتبة السارقين على ما يأخذونه من اقوال السلف مثلما نلوم الحكومة في تغاضيها عن حق هو اعظم من هذا الحق وايسر تحصيلاً وصيانة وهو حق الطبع للمؤلف ووضع قانون تصان به المطبوعات ان يسطو عليها سوى اصحابها ثم لا يجدون من جانب الحكومة عقاباً ولا وازعاً



بيان الخفايا

توهم قوم فيما نكتبه عن بعض الوطنيين من قوارص العتب واللوم انما نقصد به جميع وطنيي البلاد ولم يفرقوا في كلامنا بين التخصيص والتعميم على حين كنا نشير الى تلك اشارات لا تقبل التاويل اما كلامنا العام في الوطنيين فلم نكن نذكره الا حين ذكرنا استقلال البلاد ومنزلة السكان بالنسبة اليه وكان مشفوعاً بالبرهان موءيداً بالشواهد والامثال ولم نتعرض فيه بالتخطئة والرد الا للذين يدعون الزعامة للوطن ويتوهمون ان ما يقولونه هو رأي الجميع وقول الكل والحمد لله ان اقوالنا قد حازت رضى الجمهور وصدقها جميع العقلاء من وطنيين وسواهم لانهم وجدوا فيها اخلاص النية وقصد النصح والارشاد وكان البعض ممن لا يطيب لهم غير قولهم واعتقادهم قد وجدوها على خلاف ذلك

اما التخصيص الذي اشرنا اليه في ذم بعض رجال الوطن ووصف عيوبهم ومساعيهم الباطلة فغير مقصور الا على بلدتنا الاسكندرية هذه بحمد الله وهي على كونها مخصوصة دون سائر القطر بذلك فهم مخصوصون فيها ايضاً ومعلومون حتى لا يتجاوزون عدد الاصابع كما اشرنا الى ذلك من قبل

ولقد بلغ من قلة عقل هوءلاء الاكابر الاصاغر ان الواحد منهم لما رأى نفسه قد اعيته الحيلة في التماس النباهة وهو خامل وعزّ عليه بلوغ

العلى وهو جاهل وعلم جميعهم ان البطالة من الشيطان وان الكسل مجلبة النسيان اخذوا يتمرنون على الاساءة حتي لا ينسوها ويجددون نبالهم ليرموها وما علموا ان كنائنهم التي ملأوها من قبل قد طاش منها كل اهزع وان ساعد من يرمي منهم عن القوس خروع وجعلوا يعقدون المجالس السياسية السرية وهم لا يدرون من السياسة سرًّا ولا يملكون من الدنيا نفعًا ولا ضرًا ثم متى انصرف الواحد منهم من مجلسه انطلق يختال في بردتيه يحسب الناس صفرًا ويحسب الارض شبرًا وهو لو انصفته الاقدار لالقت اليه الزحل والرسن ولو حكمت فيه الحقيقة لوجدته احق بضرب الهام من وثن

اما تلك المجالس او الجمعيات ولا نعلم اذا كانت رسمية او غير رسمية كما لا نعلم ماذا نسميها اجمعيات وطنية ام جمعيات جرائد ام مجالس صبيان فكل غايتها الاذية والضرر ورمي الشقاق بين الاجناس والاديان ولا اثر فيها للوطنية او ما ينفع الوطن بالاطلاق وقد جعلت اكثر همها الجنسيات والجرائد لان الوطنية بزعم رجالها لا تتم الا بمعاكسة كل من كان غير مصري فهم يدأبون ليلهم ونهارهم في الوشاية والاغتياب والاغراء بالضرر والتحريض على الاذى بما يدل على دناءة في النفس وصغر في الهمة لا يجديان الا حطة الوطن وتحقير كلمة الوطنية التي اصبح الناس يهزأون بها في هذه البلدة فقط لكثرة ما ابتذلوها بدناءتهم واذلوها بساقط اقوالهم ومساعيهم وكرروها بالفاظ لا معنى لها سوى ما يبعد عن الوطنية ويدعو الى الشقاق والتنافر حتى لقد بلغ من صغر عقولهم انهم صاروا يطوفون

على الابرياء الذين لم يكونوا يعرفون الا حقيقة الوطنية وجعلوا يستحلفونهم بالطلاق للجري على مذهبهم والسير تحت لوائهم وزادوا في ذلك حتي بلغوا امر الجرائد فجعلوا يستحلفون الناس بالطلاق للاشتراك ببعضها والامتناع عن بعضها وجدير بمن يبلغ بهم العقل الى هذا الحد من الجهل ويتصل بهم التعصب الديني او الجنسي الى هذا القدر ان يتمادى بهم الجهل والغرور الى ما فوق هذه الامور الجزئية التي لا تؤثر الا في عقولهم فيصلوا الى ما نخشى حقيقة وتخشاه الحكومة دائماً فان الجهل سريع النمو سريع الانتشار ولا سيما اذا صادف قوماً يطيب فيهم نماؤه . ويكثر بينهم زكاوه

ونحن الان لا نتعرض لهولاء المغرورين القلائل فنحذرهم او ننذرهم وانما نحن نوجه انظار رجال الحكم والتدبير اليهم ونحذرهم منهم ونخبر الحكومة ان الاسكندرية كانت منشأ كل شر على القطر وانها لا تزال اشد بلاد القطر تعصباً ضد النازلين فيها فان مذبحة القطر المشهورة لم تحدث الا بها وكان سائر القطر من اكبر مدينة الى اصغر قرية سليما من وضر هذا العيب وكل مبادي النفور وعصيان الحكومة لم تتعلم الا منها وهذه الحكمة المخصوصة التي قامت لها البلاد وقعدت لم تنشأ الا بسبب عدوان بعض اهلها ومعاكسة رجال الصحة وضرب رجالها لم تبدأ به بلدة قبل الاسكندرية وهي امور لم تكن تعرفها العامة ولا تخطر على بالها وانما نبههم اليها رجال هذه العصبة القليلة ومن يتبعهم من الحواشي والاذيال الذين لو طاوعتهم الظروف لكانت البلدة منهم كل يوم في ثورة وكل حين في معاكسة للحكومة والسكان واذا كانت الحكومة لا تصدق ذلك فلتنظر الى

ادنى قرية جاهلة في بلادها هل تجد انه حصل فيها ما حصل بالاسكندرية المتمدنة العاقلة بل هل وجدت احداً جسر ان يخطب على غير ملاعب الاسكندرية يحرض الناس على كره بعضهم بعضاً ويطلب منهم التعاون على الوطنية في قالب العصيان والنفور بل هل وجدت لهذا الخطيب كفيلاً يكفل له بطيب المثوى ويحرضه على الزيادة مما يقول سوى هذه العصبة التي نشير اليها فاذا كانت الحكومة تجهل ذلك فها نحن قد دللناها عليه واذا كانت تشعر ان في القطر خللاً من هذا القبيل يجب تلافيه فلتبدأ بالاسكندرية وتصلحها فمتى صلحت فقد رأت كل شيء صالحاً ولتعلم ان التهاون في هذا الامر مجلبة للزيادة فيه فان للقطر اذا تدارك على الاناء امتلأ وفاض والمث اذا ترك فرخ وباض

انتقاء العروس

ان الغاية من انتقاء العروس انما هو نعيم الزواج وان عماد الزواج وملاك امره انما هو الحب المتبادل بين القلبين وهذا الحب لا بد منه لانه هو العروة الوثقى التي تجعل الجسدين واحداً على هيئة من الاتحاد الطبيعي يتواصل بها الانسان وتصان بها الانفس والاعراض من اخطار الفساد والابتذال ومرتبة هذا الحب ليس فوقها مرتبة لان غايته بذل الذات لا بحكم القهر والاعتساف بل بحكم التفاوض والاسترسال لان يكون كل من العروسين مستعداً ان يبذل نفسه حباً بقرينه وصوناً

لحب غرست اصوله في الفطرة نفسها · غير ان الحب لا ترسخ قدمه ولا يكون متمكناً مصوناً من عوارض الانحلال والفساد الا اذا كان ثابتاً مستمراً يجمع بين الزوجين بجامعة حب وارتباط لا تحل يداها غير يد الموت · فاذا لم يتوفر هذا الشرط فقد يحصل النسل ويكثر التوالد ولكن القلب لا يستوفي حقه من لواعج الحب المتبادل الذي تسوقه اليه الفطرة نفسها بل لا يزال مضطرباً قلقاً يتطلع الى حالة يستقر عليها غير الحالة التي هو فيها · نعم ان فعل الزواج مشترك بين الانسان والبهيمة غير ان الانسان لا يكتفي به ولا يزال دائم الحنين والوجد الى ان يركن قلبه الى قلب مثله ويعتقد ان حبيبه لا يحب سواه فان خامره ادنى ريب من هذا القبيل انقلب نعيمه شقاء وتبدل هناء عيشه كدراً · وما ننكر ان انتقاء الزوج يتعلق بكل واحد من الزوجين على السواء حتى تتم شروطه المتعادلة ولكننا نقصر بحثنا الان على انتقاء الزوج لقرينته لانه اقدر منها على الاختيار واوسع باعاً في حرية الانتخاب

متى بلغ الفتى اشده ثارت فيه عاطفة الحب ثوراناً قد يسوقه الى التدله والهيام اذا لم يستدرك امره بما يستوقفه على التخوم التي يرسمها له العقل لا الوجدان والاميال فيطلب قرينة تشاطره الانصبة من حياته وتقاسمه نعم هذه الدنيا واكدارها ولكنه لا يدري بادىء بدء كيف يميل اذ تتمثل له كل فتاة على هيئة من الصلاح تحمله ان يميل اليها ميلا تنشطه عوامل الحس دون عوامل العقل فيقف حائراً مندهشاً لا يعلم كيف يسير · ولكن لما كانت هذه العوامل متغيرة تصدر عن محسنات

ليس لها قرار بما قد يعتورها من الصفات والاشكال كان لا يلبث ان ينبذها ظهرياً ويطلب موضوع حبه من وجهه الخليق به فتعترض له جواذب تتنازعه من كل مكان الى ان يبت امره اما طبقاً لمراده او طوعاً لارشاد سواه على حسب ما يتغلب فيه هدى العقل او ميل الفؤاد

وهذه الجواذب محورها الفتاة وهي اما انها تكسبها مما حولها او تكون صادرة من الفتاة نفسها فاما الذي يكون مما حولها فهو الجاه والمال واما ما يكون منها نفسها فهو الجمال والصحة والاداب فاذا اجتمعت هذه الجواذب كلها في فتاة قلنا مع الشاعر . ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا ولكن قل ان تجتمع في فتاة واحدة فان لم تجتمع فايهما افضل وهنا محل الانتقاء

يرغب البعض في الجاه وهم القليلون ولا يعبأ بهم ولا يقاس عليهم واخرون في المال وهم الكثيرون وحججهم كثيرة ولكنها لا تفي الحب المتبادل حقه وهو ملاك الزواج وقوامه كما قدمنا فضلاً عما يجر مال الفتاة من المثالب والتعيير اذ هو لا يولد الحب الخالص وان لبث ثابتاً وازداد نماءً وتوفيراً ولا يزيد المرء في عين امرأته قدراً بل قد يجلب اليه المذلة لانها تزدهي عليه بانها علة اعتباره وغناه فاذا اهمل او قصر في التزلف ثارت في رأسها عوامل الغطرسة وهي ميالة اليها بالطبع واصبح زوجها لديها ذليلاً مهاناً والمذلة عار ولا ترضى به الا الانفس الخاملة . وقد تكون المرأة حسنة الاخلاق طيبة القلب فتنقاد لزوجها ولا تسخطه وان كانت

هي علة غناه وجاهه ولكن المال المكتسب على هذا الوجه لا يزيده شرفاً ولا شاناً لانه لم يحصله بكده واجتهاده ولا ينفي عنــه عاراً تهمس به الافواه وتتناقله الالسن بانه لولا امرأته لما كان غنياً ولا ذا جاه ومروءة فان لبث الفتى مصراً على الغنى وكان لا ينظر الا الى المال كان لا يطلب قرينة يعيش معها هنيئاً بل سيدة تكون هي الآمرة الناهية ولكن اذا توازنت الاموال بينهما او تساوى جاهه ومركزه بمالها وحصلت المساواة وهي اليق شيء لوقوع المراضاة تسهلت الامور واتاها الصفاء عفواً

اما الجمال فمن اكبر المحرضات على القران ولكنه لا يستوقف نظر العاقل لان الجمال يزول وشيكاً فان زال الحب مع زواله كان ذلك من شأن الشهوات البهيمية التي يعلو عنها القلب الانساني علواً كبيراً واذا استبدل به عاشقه جمالاً سواه فليس التبدل من شيم القلوب الكريمة

واما العافية فواجبة ضرورية في الزواج فان لم تتمتع بها الفتاة كان الاولى بها ان تلازم بيتها او تتخذ البتولية عمادها وكان الله خيراً وابقى

واما الاداب فليس من شان الفتاة ان تكون واقفة على فروع العلوم واصولها وانما يكفيها منها ما هو لازم لتدبير المنزل ليس غير وهذا مركز المرأة في سلم الكائنات فقد خصها الله لا بتصريف الامور السياسية والتدابير الحربية والدعاوى القضائية والاحوال التجارية فتركب البحار وتجوس القفار بل خصها بادارة بيتها ومعاونة زوجها في السراء والضراء

وتربية اولادها بما يقتضيه حالها ولذلك لم يكن بد من ان تكون الفتاة دمثة الاخلاق لينة الجانب عفيفة مهذبة في باطن امرها وظاهره اذا خرجت من بيتها لا تشاطر الفتى مسارح لحاته وسوانح روحاته وغدواته بل تلبث في بيتها تحت عين امها او في المدرسة تحت عين المعلمة ولا ترى في الشوارع الا منكسة العين لباسها الحياء والعفاف والصلاح والادب فهذا بعض ما ينبغي ان تزدان به من الصفات وهي قد تكون فيها فطرية فتفسدها المعاشرة الرديئة وقد لا تكون فيها فتكسبها من حسن التربية والمعاشرة لا كثرة المال ودواعي الجمال والدلال وفي مثل هذه الفتاة فليرغب الراغبون وفي مثل ذلك الادب فليتنافس المتنافسون

تربية البنات

الفتاة في منزل ابيها كالغصن الرطب تميها كما تشاء ونفسها كطين الخاتم اللين تطبعه كما تريد فكل ما تغرسه فيها فتاة تريك اياه امرأة وكل ما تؤدبها به عذراء يظهر لك منها متزوجة

فهي شيطان اذا افسدتها وإذا اصلحتها فهي ملك

ولقد انقسم الناس في تربية البنات ولا سيما السوريون منهم الى ثلاثة اقسام قسم يرى ان تكون تربية الفتاة في الضغط الشديد والادب الزائد والاحتجاب عن الناس وعدم الحضور في مجالس الزيارة والاصحاب

وعدم الذهاب الى الملاهي وحضور الروايات والامتناع عن قراءة القصص
والكتب الفكاهية التي توضع لبيان النقائص وتهذيب الاخلاق وان
تكون ظل والدتها وسميرة غرفتها ورفيقة كتابها في الدين او في قواعد
اللسان لا غير ذلك من كتب الفكاهة واللهو وهو يقيد عقل الفتاة تقييداً
شديداً ويضغط على نفسها ضغطاً زائداً فتخرج جاهلة امور الدنيا واداب
المجالس والحديث مغترة بما تعلمته من قواعد اللغات الاجنبية والفاظها
كانها قد استكملت هنالك ادب الدنيا والدين حتى اذا قسم لها الدهر
حظاً من الزواج واوت الى بعل اديب من فتيان هذا العصر كثير الاخوان
والاصحاب محب للعشرة واحاديث الاجتماع خرجت امرأته الى مجلس
زائريه بحكم العادة والاصطلاح فربما اكبر بعضهم جمالها واستحسن قوامها
وجلال هيئتها ولكنها لا تلبس ان تجلس بين زائريها حتى ينكشف سر
ذلك الجمال ويسقط حجاب تلك الهيئة والجلال فيظهر من تحته الضعف
والعي وعدم الخبرة بالحديث وحصر اللسان عن تادية واجب الضيف
وحق الترحيب والاكرام ويقول كل ضعيف في سرّه ما كان اجمل هذا
القوام الفتان لو زينه كمال العقل وجمال اللسان

ولقد فات الذين يربون الفتاة هذه التربية وهم يزعمون ان الجهالة
خير لها من العلم والوحدة خير من ادب المعاشرة وعلم الحديث ان الادب
في الفتاة هو غير الجهل بامور الدنيا لانها قد تجهل الخير والاحسان ايضاً
مع جهلها الشر والفساد وان المعاشرة الادبية هي غير السفاه وقلة الحياء
وانه ليس من المحتم على كل فتاة تعاشر من يزور منزل اهلها من الناس

ان تكون قليلة الادب متمادية في العشرة الى حد الوقاحة وقلة الحياء

وقسم يتمادى في التغاضي عن التربية والتسامح للفتاة في كل ما تاتيه الى الحد الذي يعاكس فيه القسم الاول تماماً ويصبح واياه على طرفي نقيض فيطلق للفتاة عنان هواها فتحضر المراقص وتقرأ جميع الكتب والقصص لا تمييز بينها وتعاشر اصناف الناس وافواج الشبان بلا مراقبة ولا حرج عليها وتحضر الملاهي الافرنجية وروايتها واكثرها قد اصبح خارجاً عن حدود الادب واللياقة في هذه الايام كما يشهد به الافرنج انفسهم فتخرج الفتاة متلاعبة خداعة ذات جسارة ووقاحة تنتقل بها من حد الادب في الجواب الى حد القحة والاقدام ومن واجب الحديث الادبي الى طور الحديث المحظور في مجالس السيدات الى غير ذلك مما لا نطيل في استيفائه اذ ان اربابه قليلون بيننا بحمد الله ولكن يخشى ان يسري التمدن منهم الى غيرهم فيزداد عددهم بما يفسد الاخلاق ويشين الاداب ولكننا نرجو ان تحول الانفس الابية والشيم الشرقية العربية دون هذا التمادي المضر فتسلم من عواقبه المضرّة الفاسدة

وقسم معتدل يسري بين الفريقين ويجري في قصد السبيلين فلا يتطرف في تقييد الفتاة وحبسها والضغط على افكارها ولا يتمادى في الاغضاء عنها والتسامح لها بما يفسد اخلاقها ويضر بادابها بل قصداً بين الطريقين وسيراً في وسط الفريقين فلا يمنع عنها الملاعب الادبية وحضور الروايات التهذيبية المفيدة ولا قراءة الكتب النافعة والقصص الفكاهية الاصلاحية ولا حضور مجالس الناس واستماع احاديث المحدثين في العلم والسياسة

والادب فتخرج الفتاة معلمة ولكن غير قليلة الحياء ومتخرجة على الحديث بين الناس ولكن على غير سفاهة وبذاء وجاهلة ولكن طرق الشر والمنكرات وعالمة ولكن واجبات البنات والزوجات · ولا يتوهمن احد ان العلم يفسد الاخلاق فان الجهل افسد لها واضر واذا نتج عن العلم مضرة لبعض الفتيات احيانًا فانما يكون ذلك من سوء خلق الفتاة وفساد جبلتها واعوجاج طباعها وتكوينها ولا ذنب للعلم فيه على الاطلاق بل انما يكون العلم هناك بمثابة السلاح الذي يستعين به المرء على دفع عدوه عنه فاذا اساء استعماله وقتل نفسه به فليس الذنب للسلاح

وهذا القسم الاخير المتوسط هو الذي يفضل قسميه في الغاية ويسبقهما في حسن النتيجة اذ يجمع بين محاسن الافرنج في حريتهم وحسن مجالسهم وبين محاسن العرب في ادابهم وصيانة السنتهم وفعالهم واذا كان الجمال الممتزج من دم الافرنج والعرب في ارقى درجات الجمال · فلا شك ان الكمال المكتسب من محاسن الفريقين يعد في اعلى طبقات الكمال

العلم والجرائم

كان يظن ان تعميم العلوم في الدنيا ونشر الآداب بين شعوبها مما يعين جدًا على انقاص عدد الجرائم وتقليل اسباب العدوان فتبين من اكثر التقاويم ان ذلك ليس بصحيح على العموم فان الجرائم قد قلت جدًا في السلب والعدوان كالقتل وغيره وكان لنشر التهذيب والادب تأثيرمهم

في ذلك ولكن الجرائم والجنايات الادبية قد زادت كثيراً بحيث كان الجهل اكبر حائل بين الانسان وبينها فاصبح العلم الموصل الوحيد بها اذ انها دخلت في حدوده لان الرجل المهذب تلوح لعينه وجوه الدنيا كلها فما كان منه ضرر حقيقي لغيره نفاه عنه العلم واقصاه وما كان ادبياً محضاً وليس فيه ضرر الا بالسماع والتقاليد فقط هان عليه ارتكابه واباحه له العلم وانظر الان تجد الرجل المهذب يغوي الفتاة ويغريها بالسوء ولا يعتد ذلك ضرراً له ولا لها لان دائرة عقله قد اتسعت وصار يصح معه البرهان ولذلك فهو صار يسقط في هذه الورطات ولكن القانون لا ينجيه منها فتعد في جملة الجرائم وامثال هذه الهنات الادبية كثيرة لا تحصى واكثر ما تكون مع عامة الناس الذين لا يعينهم اصلهم على تمام التثقيف فيكون في علمهم بعض الضرر. وكأن الدنيا ابت الا التوازن فهي لا تنفعك بشيء حتى تصيبك منه بضرر فان كثرة المدنية وشيوعها قد منعت كل جائع ان يسرق ولكنها لم تمنعه ان ينتحر فكانت نتيجة الضرر حاصلة في كل حال

اما الذين ذكروا مضار العلم وشيوعه وتأثيره من حيث الجنايات الادبية فقد ذكروه عن الرجال فقط ولم يذكروا المرأة التي هي شطار الرجل والتي هي اولى بالذكر لتوقع الجنايات الادبية منها سواء فيما يجب له العقاب او سوء الذكر فقد قالوا ان العلم واجب للمرأة لتحسن بها الدنيا ولكنهم اطلقوها للعلم بدون قيد وحسبوها بمنزلة الرجل تماماً وهو الرأي الذي سيفضي الى اتمام الضرر لان العلم يقتضي التوسع في كل شيء ولا يقف عند حد ومن اجل ذلك كثرت جرائم النساء في اوربا وقل ان تسمع بجريمة

نسائية عندنا حيث الجهل فاش بين النساء

ولقد يقال ان العلم هو المدنية وهي لا بد منها كيف كانت اضرارها ولكن رجال المدنية لو تنبهوا لوضعوا المرأة في منزلة محدودة من العلم لاننا وجدنا النساء الان في اوربا قد ساقهن العلم الى ابعد من اقتدارهن فطمحت نفوسهن الى القضاء فصرن محاميات وملن الى الطب فصرن طبيبات واصبح منهن ربانات للسفن وقد يصبحن رحالات وجنوداً في المستقبل ويصرن على هذا القياس في حد الرجولية فتكثر جرائمهن الادبية لانهن لا يقدرن على الجرائم البدنية المادية اما هذه الجرائم الادبية فاخصها استقلال المرأة بالفكر وهو ما يفضي كثيراً الى الطلاق او قلة الزواج . فقد قرأنا في تقاويم الطلاق في اوربا فوجد ان المانيا وهي اكثر اوربا رغبة في العلم اكثرها طلاقاً ولا سيما في برلين حيث طلق فيها ٣٢ متزوجاً من كل الف في مدة عشر سنوات وهو تقويم قل ان يكون عند اكثر المسلمين طلاقاً ثم يتبع المانيا فرنسا والولايات المتحدة وما شاكلها من ممالك العلم المشترك بين الرجال والنساء بالسواء وهي حالة ستفضي بلا شك الى رجوع اوربا الى حيث كانت لان رجال هذه القارة قد استغانوا بالمرأة حتى وصلت بلادهم الى هذا الحد فقامت المرأة الان تستعين بهم لارجاعهم الى حيث كانوا وقد تنبه بعض رجال اوربا لذلك فاخذوا يقاومون استقلال المرأة ومزاحمتها للرجل ولكن ابى رجال الحقوق وارباب النظر القريب الا ان يدعوها تجري على آمالها وحقوقها

اما نحن رجال الشرق الذين اخذنا نقتدي باوربا في اكثر الاشياء

فلا يجمل بنا ان تكون المرأة في حد البهيم لا تدري من الدنيا شيئاً ولا نطلق لها عنان العقل فتطمح الى ما ليس من شأنها بل يجب ان نعلمها ما يقيها ونقي به اولادها الضرر ثم نقول كما قال بسمارك انني احب المرأة في المطبخ

تتويج القيصر

تعين الاحتفال بتتويج القيصر نقولا الثاني في ١٢ مايو (أيار) القادم (١٨٩٦) في مدينة موسكو عاصمة الدولة الروسية الاولى وقد عثرنا في احدى الجرائد الاوربية نقلاً عن بعض الكتبة الروسيين على كلام عن وصف هذا الاحتفال وما يجري فيه من الابهة وقديم العوائد فاحببنا ايراده فكاهة للقراء

وصف الكاتب في اول رسالته مدينة موسكو فقال انها قلب الروسية وهيكل الايمان الارثوذكسي ومجتمع الاخوة السلافيين من اقطار الدنيا وان بطرسبرج في اعتقاد الروسيين ليست الا عاصمة دخيلة غذتها وربتها ام اجنبية هي التمدن الالماني · ولكن اذا كانت موسكو قلب الروسية فان قصر الكرملين قلب موسكو وهو القصر الشهير بكثرة وقائعه واستفاضة الاخبار عنه ومنعته الحربية العظيمة اذ هو ليس قلعة وهيكلاً وقصراً بل هو مدينة عظيمة في قلب تلك المدينة وان وراء تلك

الجدران العالية المشبكة بالقلاع والحصون على دوائرها ثلاث كنائس كبيرة وسبعا صغيرة وديرا للرجال ومثله للنساء وثلاثة قصور للملوك وفي جملة تلك الكنائس بيعة الصعود وفيها يجري الاحتفال بالتتويج وهي كنيسة قديمة بناها صناع ايطاليون في القرن الخامس عشر وكلها مزينة بالصور القسطنطينية القديمة تمثل عظماء القديسين في ابهى ملابسهم الشرقية وجدرانها آية الغرائب في دقة ما عليها من الحفر وكثرة الذهب واللوءلوء والماس والصور الكبيرة العالية تمثل هيئة العذراء وكلها من التصوير القديم المصنوع في القسطنطينية ايام عهدها المسيحي وعليها كثير من الجواهر الكريمة مكان العقود والاساور والزركشة على الثياب من الماس والياقوت والزمرد وغيرها وبينها صورة للعذراء يزعمون انها من صنع القديس لوقا في عنقها عقد من الماس يقدرون ثمنه بمبلغ مايتي الف ريال وفي تاجها احجار من الزمرد كل واحد منها في حجم الجوزة والى جانب هذه الصورة كرسي البطريرك وتجاهها مظلة من المخمل يجلس تحتها الامبراطور .

وفي هذه الكنيسة يقام الاحتفال بالتتويج على ابهى حفلاته العظيمة الشرقية وقد وصفه احد رجال الروسيين الخبيرين بتفاصيله فقال

قبل ان ياتي القيصر الى الكنيسة يتقدم اسقف وكاهنان فيرشون طريقه بالماء المبارك ثم يقبل الامراء والاميرات وابناء الاسرة المالكة ورجال السياسة وكبار الحكام وشيوخ الدولة بملابسهم الحمراء والوزراء

بوساماتهم واوشحتهم والقواد بثيابهم المزركشة اللامعة ونساء الاشراف ونواب التجار واكثرهم بالقفاطين لزرقاء او السوداء موشاة بالذهب ثم وفود الشعوب الذين تحت حكم الروسيـة من الصين والمغول والتتر والشركس والاسكيمو والفرس والتركمان وغيرهم من الشعوب البربرية المتوحشة باجسامهم العارية الى انصافها واسلحتهم القديمة الغريبـة من القوس والرمح واشبـاههما ويقف كل هذا الجمع حوالي العرش الامبراطوري المحلى بالذهب والاحجار الكريمة وتتقدمه فرقة من الفرسان المدرعين ويقف امام الكنيسة رجال البيعة بملابسهم الكهنوتية المزخرفة وفي مقدمتهم كبار الاساقفة يحملون المباخر في انتظار القيصر حتى يأتي فينزل من السلم الحمراء وهي مفروشة بالبسط العجمية والورد وفوق رأسه مظلة عالية عليها النسر الامبراطوري باسطاً جناحيه فيتقدم اليه اسقف موسكو الاكبر ويعطيه الصليب فيقبله ويرش عليه اسقف اخر ما يحمله من الماء المبارك ثم يسير الكهنة حواليه الى ان يصعد العرش فيدنو اسقف موسكو ويعطيه قانون الايمان الارثوذكسي فيتلوه واقفاً على عرشه ويده على قبضة سيفه وعندما يفرغ من هذه التلاوة يصعد اليه الاسقفان بلوازم التتويج فيأخذ الرداء الامبراطوري ويلقيه على كتفيه ثم يتناول التاج المرصع بالالماس ويضعه على رأسه وعند ذلك تأتي الامبراطورة فتركع امام قرينها فيأخذ تاجه عن رأسه ويمسكه فوق راسها قليلاً دلالة على تتويجها به والمدافع في اثناء ذلك تدوي بطلقاتها والكنائس الثلثمائة التي في موسكو تقرع باجراسها والكنيسة العظيمة ترن

جوانبها باصوات الهتاف والترتيل

ثم يبدأن بعد ذلك بحفلة الصلاة فتفتح ابواب الهياكل الفضية ويأتي الاسقفان الكبيران الى القيصر فيخبرانه بابتداء الحفلة فينزل عن عرشه وترافقه الامبراطورة الى باب الهيكل فقط حيث لا يجوز لامرأة ان تدخل على الاطلاق ويأتي الاسقف الاكبر فيأخذ غصنا من الذهب ويغمسه في الماء المقدس ويمسح به صدغي الامبراطور واهدابه ومنخريه وشفتيه وصدره ويديه وهو يقول له في اثناء ذلك هذا هو ختم الروح القدس ويمسح كل اثر للماء بعد ذلك ثم يأخذ الامبراطور الى الهيكل فيتناول السر المقدس بيده ويذهب اسقف اخر فيناول الامبراطورة وهي راكعة عند باب الهيكل ثم يخرج القيصر بعد ذلك بين الهتاف والدعاء فيقبل الصور المقدسة ويخرج بين صفوف العساكر والناس الى قصره الاحمر حيث تقام مائدة حافلة يأكل فيها الامبراطور وقرينتـــه وحدهما ويخدمهما عليها قواد العساكر بين الضباط وصفوف المغنين الذين ينشدون اطرب الالحان في اثناء الطعام

اما كنوز هذا القصر وتحفه فمما يفوق الوصف ويعجز عنه تصور الشاعر وقد ذكر بعضها احد الروسيين فقال ان عرش الامبراطور الكسيس وحده فيه ٨٧٦ ماسة و١٢٢٢٣ ياقوتة والعرش الذهبي الذي ارسله شاه العجم الى الامبراطور ايوان الرابع فيه ما لا يقل عن الفي حجر كريم والتاج الذي كانت تضعه الامبراطورة حنه مؤلف على هيئة نجوم فيها ٢٥٠٠ حجر من الماس وكثير من احجار اليـاقوت اكبرها

حجر على صليب التاج تقدر قيمته بمبلغ ستين الف ريال والصولجان الذي كان يحمله القيصر ولديير فيه ٦٨ حجرًا من الماس و٣٠٠ ياقوتة و١٥ زمردة وغير ذلك من التحف التي تبهر الابصار وتكل من دونها السن الواصفين

فلاسفة اليونان ومذاهبهم

اعظم من اشتهر من فلاسفة اليونان القدماء سبعة منهم طاليس ولد في القرن السادس قبل المسيح وهو اول من عرف تاثير الكهربائية بالفرك ولكنه لم يدرك حقيقة قوتها ولم تزل مستورة حتى كشفها القرن التاسع عشر اي بعد اكتشافها بخمسة وعشرين قرنًا · ومنهم فيطاخوس ومن خصائص فلسفته انه كان يكره المسكرات كرهًا شديدًا ويحرض على تركها مع ان اجود انواعها كانت في بلاده · ومنهم بياس ولم يكن يهتم بشيء من متاع الدنيا واعراضها حتى انه لما هرب اهل مدينته من العدو مرة حمل كل منهم اثمن ما عنده وخرج بياس وحده من غير ان يحمل شيئًا وقال انه ما دام يحمل راسه فهو قد حمل كل شيء · وافينيدس وكان من اغرب الفلاسفة في عصره زعم انه نام في مغارة ٥٧ سنة ثم عاد الى قومه فوجد كل شيء عندهم قد تغير ولعل ذلك يقرب من حكاية اهل الكهف ولا يبعد ان يكون هذا الفيلسوف منهم وفيثاغوروس وكان يعتقد بتناسخ الارواح

وانتقالها من جسم الانسان الى الحيوان بعد وفاته وبالعكس وكان يزعم ان روحه كانت في جسم طاووس قبل ان انتقلت اليه · ومنهم هيروكليتوس وكان فيلسوفاً كبيرا الا ان كل اقواله كانت كالالغاز والتورية لا يفهمها الا كبار العلماء وكان يعتقد ان الدنيا منزل الشقاء فلم يكن يرى احداً الا بكى عليه حزناً حتى لقبوه الفيلسوف الباكي · ومنهم ديموقراط وكان يعارضه في هذه الفلسفة كثيراً فلا يزال بشوشاً ضاحكاً حتى سموه الفيلسوف الضحاك وكان اهل وطنه يحسبونه مجنوناً لكثرة ضحكه ولعلهم كانو يحسبون الباكي كذلك لكثرة بكائه لان الافراط في كل شيء وان كان فلسفة عند البعض فانه في الحقيقة جنون

ومنهم انكسفوروس وكان يعتقد ان الفلك من حجارة وان الشمس كتلة عظيمة من الحديد الملتهب · ثم امفيدكليس وكان شجاعاً عظيماً يلبس على رأسه اكليلاً من الغار لكي يمتاز عن سواه وقد بلغ به الطمع ان يجعل الناس يعتقدون فيه الالوهية فاعد لهم وليمة في سفح جبل اتنا وهو البركان المشهور ثم توارى عنهم في الجبل فظنوه انه عرج الى السماء ولكن بعد ايام قذف البركان ناره ورماده فسقط معها حذاء الفيلسوف فعرفوا انه القى نفسه في فوهته ومات في سبيل هذا الطمع الالهي

ومنهم سقراط وهو احكم اهل زمانه واليه يرجع الفضل في تفنيد الاضاليل والخرافات القديمة حتى ابغضه اهل اثينا واتهموه بالزندقة والزموه ان يشرب السم فتجرعه بنفسه مطمئناً ومات شهيد الحقيقة والحكمة بين تلامذته واصحابه

ومنهم ديوجنس وكانوا يلقبونه بالكلب لدناءة عيشته بما يشبه عيشة الكلاب ولكثرة خصامه وجداله الذي كان يشبهونه بالنباح وكان يسير في الازقة حافياً بثياب في غاية الوساخة والرثاثة ثم ينام في برميل كان يحمله على ظهره في النهار وكان يكره ارسطو مؤدب الاسكندر لعظمته وغناه وينتقده كثيراً في ذلك حتى دخل عليه مرة في قصره وهو في جمهور من العلماء وجعل يدوس البسط الثمينة الفاخرة بقدميه القذرتين الحافيتين ثم رفع رأسه وقال لقد دست كبرياء ارسطو فاجابه ارسطو نعم ولكنك دستها بكبرياء اعظم منها فخجل ديوجنس وخرج

ومنهم افلاطون وهو تلميذ سقراط واستاذ ارسطو مؤدب الاسكندر كان يعلم تلاميذه وهو ماش فلقبوا مدرسته مدرسة الفلاسفة المشاةوهو اول من وضع الاكاديميه وهي غابة بقرب اثينا كان يخطب فيها فنسبت اليها جمعية العلماء ومنها اخذ الافرنج اسم الاكاديميه لجمعيتهم العلمية وكانت خطبة بديعة مدهشة سامية المعاني والالفاظ حتى لقبوه افلاطون الالهي

حقيقة الهمجية

انت ايتها الهمجية كيف سمحت لرفيقتك المدنية ان تنفصل عنك وتشتق منك فتكوني عاراً لها تود زوالك وانت الام وتتبرأ منك وانت الاصل بل ليت شعري من سماكما بهذين الاسمين همجية ومدنية وانتما رضيعا لبان وتوأمان ملتزمان بل انتما كلتاكما همجية محضة وبداوة خالصة

لا فرق بينكما الا المقر والاقليم ولا فاصل لكما الا الشمال والجنوب

لماذا نصف العبد الاسود بالهمجي الأنه يسطو على اخيه احياناً فيقتله ام لماذا ندعوه بالشرس القاسي الانه يشوي جسد قتيله ويأكله · انه يقتل ليلتقم لا لينتقم وقد وضعته الدنيا في اخشن مواضعها فطاوع خشونتها وامرته الطبيعة بالقتل فابى امرها وقد سخرته الحياة ان يسير في سبيل الموت فمات في سبيل الحياة فهو قد ابتلته ارضه معتراً فتصرف في معيشته مضطراً تلك هي الهمجية السوداء ومهما يكن فيها من ذنوب القدر والطبيعة وكيف كانت عيوبها فانها عيوب الاقاليم والدرجة

ولكن تعال انظر الى الهمجية البيضاء تجد موطنها اوروبا ذات الارض الخضراء والمياه الزرقاء والاقاليم الزاهر والمكان الناضر حيث تدعو الطبيعة الارض ان تنبت الحياة والرخاء ويامر المكان نزيله ان يعيش بهناء هنالك تجد المرء يسطو على اخيه ولا علة لذلك ولا سبب ويقتل المرء جاره ولكن تاكله دونه التراب فاي الفريقين قد اطاع للطبيعة واجب الامر واي الهمجيتين اقرب للوم وادنى للعذر تلك التي قتلت لتحيى من القتل بالاكل ام تلك التي لم تقتل الا لمجرد القتل

ان القبيلة الافريقية اذا لم تسط على قبيلة اكثر منها طعاماً واخصب مكاناً فقد لا تعيش · فهي تضر لتنتفع وتميت لتحيى · ولكن هذه اسبانيـا امُّ الهمجية البيضاء وبنت الارض الخضراء كانت تقدر ان تعيش بلا كوبا وقد عاشت بدونها احقاباً طوالاً فابت عليها الهمجية الحقيقية الا ان تقتل اهلها لمجرد القتل فاحرقت مزارعهم وهدمت منازلهم وعطلت متاجرهم

ثم لم ينلها من ذاك الدمار بنيان ولا اصابها من ذلك الخراب عمران بل كانت همجية ثائرة لغير غاية ووحشية سائرة بلا هداية وكان العبد الافريقي اوفر منها عقلاً واشرف في الحقيقة فعلاً لانه اذا جاع غيره فقد شبع وحين يضر جاره ينتفع

وهذه امركا التي تدعي الرحمة والحنان وتزعم انها ولية الله على الانسان قد راعها ما يجري في كوبا من شدة المظالم وهالها فرط ما هناك من الجرائم فقامت تجلب الرحمة الى المظلومين ولكن عن طريق السيوف وترد الحياة اليهم مستعارة من الحتوف واخذت تقتل بنيها وبني امها الاسبان باجل ما استنبطه العقل . وارادت ان تنفي بعض القتل فنفته بكل القتل فنحن بينا كنا ننتظر خلاص اهل كوبا من الاسبان اصبحنا نطلب نجاة سكان فيليبين من الامركان فانهم كانوا ابرياء فاعداهم السقيم بلا علة وكانوا بهدا‌ء عن كوبا بعد الشرق من الغرب فجاءتهم هذه الحرب وصلة فاصبحوا يطلبون امركا اخرى ترد عنهم سيوف الامركان ويلتمسون عاطفة غير الرحمة لانهم وجدوا معنى الرحمة الهوان ويفتشون على همة غير النجدة لانهم وجدوا اسم النجدة الخذلان هذا وعين الرحمة الحقيقية تتطلع لاولئك الراحمين وهي تتحسر لاسمها كيف يقال ولا يفعل . والهمجية السوداء تنظر اليهم من بعيد وهي تعجب لتلك الاجسام كيف قتلت ولم تؤكل

القلب الكسير

من اشد الجرائم التي يرتكبها المرء ولا يعاقب عليها ولا شريعة تقضي للمظلوم فيها جريمة من يغري فتاة من بنات المنازل او فتيات الهوى حتى اذا تملكها حبه وعلقت عليه آمال صبوتها وغرامها ووجدت فيه راحة النفس الحبية التي فطرت المرأة عليها وخلقت لها هجرها من غير ذنب وفارقها فراق الغاضب الكاره الذي لا يعود اليها وتركها من بعده في غصص امر من غصص الموت لانها غصة الحياة ومرارة العيش التي لا تنقضي الا بانقضاء تلك الحياة

نذكر من ذلك ما رواه لنا بعض الادباء في الاسكندرية قال بينما انا في اعظم شوارع البلدة واكثرها ازدحاماً بالناس رأيت امرأة مقبلة من بعد وفي يديها منديل تستر به وجهها حيناً ريثما تمسح دموعها ثم ترفع رأسها لترى الطريق الذي تسير فيه بين جماهير الناس المزدحمة كأنها لا تبالي بكل من حواليها من افواج المارة ولا بما يلقى عليها من نظرات الاستنكار والاستغراب . قال المخبر فعجبت من حال تلك المرأة وشدة بكائها في قارعة طريق كبيرة كأنها في منزلها غير مبالية بمن حولها من الناس وقلت لعلها ثاكلة ولدها او فاقدة بعلها او اخاها حتى اذا دنت مني تبينتها فاذا هي احدى بنات الحانات من الافرنج وكنت اعرفها لعلاقة كانت بينها وبين احد اصدقائي ثم تركها من زمن غير

بعيد . فلما رأتني اقبلت اليَّ ناءحة نادبة تريد ان تخفف مصابها بمحادثتي وشكوى همومها اليَّ فسألتها عن امرها ومن اي شيء تبكي وعلى اي عزيز تنوح فقالت انما ابكي على فؤادي الذي فقد مني فتعال معي الى ناحية لابثك دخيلة امري فقد ضاق صدري لكثرة ما فيه من الهموم والاشجان واشعر ان قلبي قد انكسر فلم يعد له جابر سوى الموت فسرت معها الى قهوة جانب البحر حتى اذا خلونا في احدى نواحيها اخذت في البكاء الشديد كانها اغتنمت خلو المكان فارخت لنفسها عنان الحزن والنوح فتركتها ريثما اطفأ دمعها بعض ما في قلبها من حرارة الوجد ثم سألتها عن امرها فقالت قد هجرني فجأة اول امس من غير ان ادري لهجرانه سبباً ثم علمت اليوم انه تزوج الليلة البارحة فشعرت ان وتر الحياة قد انقطع من فؤادي وان ما بقي لي من ماء الحياء قد نضب من جبيني فخرجت من المنزل هائمة ابكي وانتحب كما رايتني ولعلي كنت اذهب فالقي نفسي في البحر لو لم يقدر لي ان اراك وابثك شيئاً يسيراً من داخائل صدري

فعجبت من امر تلك الفتاة جداً وكنت اعهد ان صديقي اذا فارقها فانها لا تحزن لفراقه كل هذا الحزن وكان في اعتقادي ان مثل هؤلاء الفتيات لا يحببن الا نادراً ولا يكون حبهنَّ في الغالب الا فكاهةً ولهواً او باباً لابتزاز اموال الاغرار من الفتيان وانه اذا دخل قلوبهنَّ فانما يدخلها من باب الزحام الذي لا يدوم فيه لكثرة ما يمر على فؤاد صاحبته من خيالات الصور وما يطرق اذنيها من انواع الاحاديث واختلاف

العبارات فقلت لها انني اعجب منك كيف تحزنين هذا الحزن على فتى خدعك وتركك وانت قد نصبت نفسك لهذه المهنة ووطنت فؤادك على مثل هذا الخدع والصدمات باتخاذ هذه الحرفة التي تمارسينها بل قد كان ينبغي لك ان لا تنتظري الا مثل ذلك منه لانك قد اسات الى كثيرين غيره مثل ما اساء اليك الان وخدعت شباناً عديدين قبله كما خدعك هو اليوم فلا تجزعي من سنة انت سننتها لنفسك وكنت البادئة فيها قبل سواك واصبري على بلواك منه كما صبر سواك على بلواه منك

قالت ان ما تقوله حقيقة لا ريب فيها وانا اشعر ان الله قد عاقبني بعدل واستحقاق ولكن اذا كان هذا العقاب عادلاً فهل ينبغي ان لا اشعر به ولا اتألم له بمقدار وقعه عليّ وهل تحسب ان المجرم الذي يقتلونه عن عدل لا يتالم عن مقتله كما يتالم البريء تماماً ام هل تظن ان وهم العدل الذي يقتلونه به يخفف من موته اقل عذاب بل الا تعلم ان فتاة الخدر التي يخونها خطيبها وينصرف عنها الى سواها اقل عذاباً والماً منا نحن بنات الهوى وفتيات الحانات . قلت قد يمكن ذلك ولكنني لم اعرف السبب فيه . قالت ان السبب الذي من اجله يكون مصاب البغي اشد جداً من مصاب المخطوبة . ان الخطيبة فتاة مصونة في منزلها تصون فؤادها كثيراً وتحبس اميال نفسها عن الاندفاع في مجرى الغرام الى اخر حدوده ولا تعطي لخطيبها الا ما تسمح لها به آداب العشرة وعفة المجالسة وصيانة الحديث وبذلك تكون قد ابقت لنفسها قطعة كبيرة

من فؤادها ولم تعط خطيبها في عشرتها الا الشيء القليل الذي يكون في الغالب قشرة ذلك الفؤاد لا صميمه ولبابه . اما الفتاة منا فانها اذا عشقت فتى اعطته كل شيء من فؤادها وجسمها ومالها واوقاتها وساعات فراغها واشتغالها ووقفت عليه حياتها وعقدت به عرى سعادتها وارتياحها وراته الذخر الوحيد الذي قدرت ان تحصل عليه من كل من يزور حانتها من الفتيان والرجل الفرد الذي قدرت ان تحبه وان يتملك غرامها بين هاتيك الجموع والافواج بل هو لم يصل الى فؤادها الا بعد جهاد عظيم ونزاع شديد بينه وبين ما يحدق به من ذلك الزحام فاذا تركها فجأة بلا سبب ولا خصام شعرت ان ذلك المكان المملوء من قلبها قد فرغ دفعة واحدة فدخله الشقاء والياس دفعة واحدة كذلك كما يعود الهواء الى محل فراغه . وان تلك السعادة التي كانت تعزيتها الوحيدة في مصاب حياتها الساقطة قد زايلتها في طرفة عين بلا مقدمة لها ولا تمهيد وان يد الهجر قد ضربت فؤادها ضربة شديدة على غرة منه فانكسر تحت تلك الضربة القتالة كما تكسر الزجاجة فلا يكون لها انجبار ولا يرجى لها التحام فاصبحت كالحمامة الطائرة يصيبها سهم الصائد تحت جناحها فتتحامل بنفسها الى عشها فتجثم فيه مجروحة متألمة وهي ترى السهم في جنبها ولا تقدر على انتزاعه حتى تموت منه ولا يرثي لمصابها احد . وانت تعلم ان صناعتنا صعبة شاقة لا يقدر عليها الا القلب الصبور والصدر الواسع اذ هي صناعة التمليق والمداهنة والخداع واظهار الحب الذي لا نشعر منه بذرة بل قد نشعر بعكسه نحو الذي نبديه اليه

فضلاً عن تكلف الضحك والابتسام احياناً وقد نكون في اشد حالات الحزن والشقاء. والصبر على ما نسمعه من فظاظة الفتيان وما نقاسيه اجسامنا الرطبة من العاب ايديهن القاسية في بعض حالات السكر والعربدة والجلوس ساعات الى من لا نحبه واضطرارنا الى خدمته وسماع حديثه ومجاوبته على شكوى غرامه واحتمال ما يفرط من لسانه من عبارات الاحتقار واقوال الشتيمة والبذاء ولا سيما لدى فتيان هذه الايام الذين يحسبون المرأة قد خلقت لهم لا لنفسها وانهم يقدرون ان يشتروا قلبها وخالص غرامها بالرغم عنها وانها آلة خلقها الله لعبة لهم يديرونها كيف يشاؤون ولا ينبغي ان يكون لها نفس تديرها احياناً كما تريد. فتصور حالة فتاة مثلي تضطر ان تسمع كل هذه الاقوال وتحتمل جميع هذه الحالات وتتكلف كل هذا التصنع والتحبب لمن لا تحبهم بل قد لا تحب ان تنظر اليهم لو كان امرها في يدها او كانت مخيرة في الذي تريد. ثم يأتيها فتى يوافق ذوقها ويدخل ابواب فؤادها وتحله في المحل الاول من شعائر نفسها ووجداناتها وتجعله التعزية الكبرى على كل ما تلاقيه من مرارة ذلك التكلف والشقاء حتى اذا علقت به آمال حياتها ووقفت عليه سعادة وجودها واقامته النبراس الوحيد في ظلمات سقطتها واذلالها نفر عنها بلا ذنب ولا موجب وهجرها دفعة واحدة فاطفأ نور عزائها كما ينطفئ النور بهبة واحدة من نسمات الرياح وتركها في ظلمة من الحزن واليأس يزيدها ما تشعر به حولها من تلك الخيالات والصور التي لا تهواها وقد قضي عليها سوء البخت ونكد الطالع ان تصانعهم وتتحبب اليهم

لكي لا تموت جوعاً وهي تكاد تموت غماً وكمداً وان تبدي لهم عبارات التودد والغرام وهي في اشد الحاجة الى من يبدي لها اقوال التعزية والسلوان · وان تشرب وتضحك وهي انما تشرب كؤوس الهم مترعة في كاس المدام وانما تضحك عن فؤاد دامٍ بما جرحت فيه سهام الغرام

ثم خنقتها العبرة فبكت بكاءً طويلاً حتى اذا هدأت نفسها عادت فقالت لقد تزوج الخائن وتركني وحيدة مهجورة وهو يعلم ان لا تعزية لي سواه · فاذا كان يريد ان يتزوج فلماذا لم يقترن قبل ان يعرفني ولماذا صرف عين الحب نحوي اولاً حتى اذا عشقته ووقفت له حياتي عاد فصرف ذلك الحب الى سواي وتركني معذبة شقية لتسعد به غيري · بل لماذا لم يصرف غرامه نحوها من بادىء الامر فكان يسعدها بزفافه من غير ان يشقي امرأة مثلي بذلك السعد · ام قست قلوب الفتيان الى ان لا تكرم الهة جمال من ربات المنازل المصونات حتى تضحى في سبيلها راحة فتاة ساقطة من بنات الهوى والحانات · ام هم يحسبون ان فتاة البغاء اذا سقط جسمها فقد سقطت نفسها ايضاً في مهاوي الدناءة والفحشاء · كلا فان اجسام النساء قد تسقط حتى لا تعود اجسام نساء ولكنها لا تزال فيها نفوس نساء · وان الجسم من الارض اذا سقط فانما يعود اليها واما النفس فمن السماء

قال المخبر ثم انصرفت تلك الفتاة وقد خفف عنها من ذلك الحديث بعض ما في قلبها من لواعج الحزن والشقاء وتركت لي من كلامها عبرة مؤثرة انقلها تبصرة وذكرى الى فتياننا الادباء

الزواج بالحذاء

قد رأينا ان ننقل للقراء قصة عثرنا عليها في احدى الجرائد الفرنساوية كان الحذاء فيها سبباً للزواج ونحن نعربها عن لسان كاتبها فكاهة لهم قال

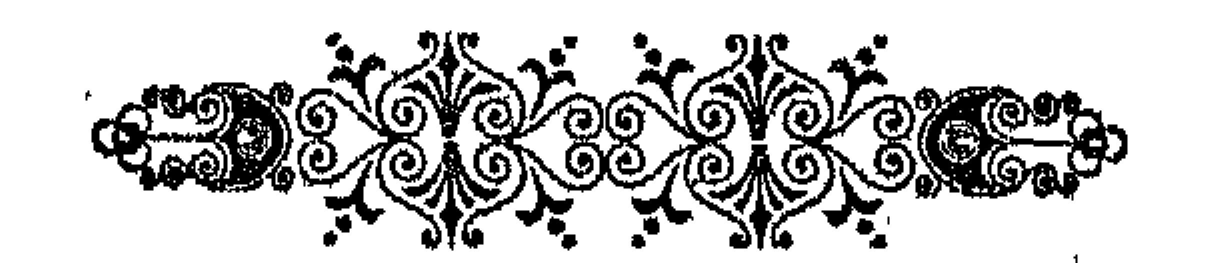
كنت ليلة في ملعب الاوبيره على احد مقاعدها المتقدمة والى جانبي فتاة وامها فلما انتهى الفصل الثاني وقد ضاق صدري من تاثير الرواية وازدحام الناس نهضت لاخرج الى ردهة الملعب للتدخين واستنشاق الهواء النقي فدست على قدم تلك الفتــاة وانا خارج بالرغم عني فصاحت من الالم صيحة خفيفة رنت في فؤادي فاعتذرت لها اعتذاراً زائداً وذهبت وانا مشتغل الفكر بجمالها وبما احدثته لها من الالم ولم البث ان رجعت لارى ماذا تم لها بعد تلك الوطأة الشديدة ونظرت لها نظرة المتأمل فوجدت جمالاً يبهر النظر ورايتها حائرة مهمومة تنظر حولها كمن يفتش على شيء ضاع منه فتقدمت اليها وقد علمت من نداء امها انها تدعى جوزفين وقلت لها بلطف هل اضعت شيئاً يا سيدتي فاحمر وجهها احمراراً شديداً حتى كادت تختنق من الخجل وقالت بصوت متقطع نعم اضعت شيئاً ولكن ذلك لا يهم فلا باس ثم عادت الى التفتيش وقد صار الخجل على جبينها عرقاً متصبباً كاللؤلؤ المتبدد فالتفت الى امها وقلت لها الا تقدرين ان تخبريني يا سيدتي اي شيء اضاعته ابنتك فدنت اليّ وقالت انك لما دست على قدم ابنتي آلمتها الماً شديداً حتى نفضت رجلها من شدة الالم واتفق ان

حذاءها واسع فافلت من قدمها وهي تنفضها وتدحرج تحت مقاعد الناس ولا ادري كيف نقدر ان نجده ولا كيف تقدر ابنتي ان تخرج بحذاء واحد فنهضت من مكاني وتقدمت بين المقاعد وجعلت ابحث تحت ارجل الناس حتى عثرت بذلك الحذاء الصغير اللطيف وقلت في سري ان كان هذا واسعاً على قدم تلك الحسناء فكم تكون تلك القدم صغيرة · ولكن لا يظن القارىء اني ارجعت الحذاء اليها فانا اعقل واحيل من ذلك ولكنني وضعته في جيبي لخاطر خطر لي وعدت الى الفتاة وقلت لها لقد بحثت كثيراً يا سيدتي فلم اجده ولا شك انه ضاع بين ارجل الناس · فصبرت المسكينة مكرهة حتى انتهى التمثيل واخذ الحضور يخرجون افواجاً حتى فرغت قاعة الملعب ولم يبقَ فيه سوانا فعدنا الى البحث عن ذلك الضائع ودعونا خادمة المكان ووعدناها بقطعة من النقود اذا وجدته ولكننا لم نجد شيئاً بالطبع لان الحذاء معي

ولما قطعت الفتاة الامل من وجدانه وكان الوقت قد انقضى وكادوا يطفئون الانوار امرت الخادمة ان تحضر لنا مركبة الى باب الملعب واخذت يد الفتاة تحت يدي لاسندها في مشيتها العرجاء وهي بحذاء واحد فسارت الى جانبي ضاحكة من حالتها ثم نظرت اليّ نظرة خفق لها فوادي وقالت الا ترى انني مضحكة على هذه الحال فسكت ولم اجبها خوفاً من انفضاح اسرار قلبي في ذلك الجواب واوصلتها مع امها الى المركبة واصغيت لما قالته للسائق من اسم شارعها وعدد منزلها فعلمت انها تسكن في شارع سكريب عدد ٣٧٧ فحفظت ذلك الاسم جيداً ووجهت كل ذاكرتي

اليه كما يوجه التائه انظاره الى المنار الذي يهتدي به في ظلمة الليل حتى اذا كان اليوم الثاني زرتها في منزلها فقابلتني مع امها فسلمت عليها سلام معرفة ومودة ثم اخرجت الحذاء من جيبي وقدمته اليها وكان بودي ان اقول لها عند ذلك لقد وضعت فؤادي الهائم في هذا الحذاء ياسيدتي فهل تريدين ان تقبليه معه ولكن غلبني الحياء فتكلمت في موضوع اخر وقلت لها ان خادمة المرسح قد وجدت الحذاء في تلك الليلة اتفاقاً واحضرته الي ثم امتد بيننا الحديث وتعارفنا بالاسماء ثم زرتهم بعد ذلك مراراً ثم دعوني للطعام مرة ثم عقدنا الخطبة على الاثر ثم تزوجتها بعد شهر ولي الان منها ولد له سنتان فقط وقد اعطيناه ذلك الحذاء ليلعب به فهو يقرضه دائماً بسنيه الصغيرتين ولا ادري لماذا يحب الاحذية بهذا المقدار ولا من اين جاءه هذا الارث ...

اما الان فانا هنيء بزفافي كل الهناء . جالس بجذاء امرأتي المحبوبة من فضل ذلك الحذاء



خطرات افكار

من جار على صباه جارت عليه شيخوخته

مما اجتهدت المرأة ان تقلد الرجل فجل ما تصل اليه انها لا تصير رجلاً ولا تعود امرأة

السبب في ان النساء اعف من الرجال ان المرأة ترى الخيانة انكساراً والرجل يراها فخراً

ليس اوفى ذمةً من دنيء الاصل لانه يؤدي امانة ابيه بتمامها

ليس في الدنيا اكثر من الكثير الا رجال الشهرة الكاذبة ولا اقل ولا اقل من القليل الا رجال التحقيق

من وصف البخيل بالجهل ظلمه لان البخيل يخاف والحزم في الخوف

ليس اغلى من محبة المرأة عند الشراء ولا ارخص منها عند البيع

المال كله من الرجل ولكن كله للمرأة

الخوف من مصيبة مستقبلة مصيبة حاضرة فلا تتكل على المستقبل ولا تخف منه

هفوة العالم كالحرب يقع فيها من هو بريء منها

اصنع الجميل الى الناس ان لم يكن على امل ان يكافئوك فلكي تكون ذا حق في ان تطالبهم به

ليس اخف من الفقر اذا دخل عليه الحب ولا اشد من الحب اذا دخل عليه الفقر

اذا كنت مضحكاً للمرأة احبت مجالسك ولم تحبك

ابن الغني كالزهرة في الارض الجيدة يصير رجلا قبل اوانه

الحب في قلب المرأة العاقلة كاللوءلوءة في اللج العميق لا ينالها الا الغواص الماهر

الدينار نظارة مكبرة تكبر الذي يحملها

لا يزال المرء في مدرسة دهره تلميذاً ولو شاب

اللئيم لا يقارن اللئيم ولا الكريم كالعوج اذا قرنته بعود اعوج لم يستو معه او بعود مستقيم لم ينطبق عليه

من غريب طبائع الانسان انه يحب العدالة مظلوماً ويكرهها ظالماً ويطلب الحرية مرءوساً وينكرها رئيساً

ليس اقبح من الرجل الذي يقدم على حد السيف ويحجم عن بذل الدرهم

لا ادل على النعمة عند صاحبها من حسد الحاسد لها

حسب الكريم ذنباً ان يعتذر

الحسود كريم جاهل يهب المجد لغيره ولا يدري

اشد عقاب للخامل ان ينتسب امامه الشريف

لا ينجيك من الشر اعظم من ان تهابه

متى استوت اقدار قوم في المال تباينت اقدارهم في المجد

لا تتناس صديقك لئلا تنساه حقيقة

لا تعين للكريم شيئاً تلتمسه منه فقد يريد لك اكثر مما تريده منه

اذا اصابت الانسان مكاره الدنيا فذلك لانه يجهل منافعها

خير ما تختاره رضى الصديق الذي يسوءك غضبه

العدو تعرفه يقيناً واما الصديق فلا تعرفه الا ظناً

ليس ادل على الهمة من الطمع ولا على الكسل من القناعة

الاحسان امانة عند المحسن اليه فانتبه اين تضع امانتك

اذا لمت امرءًا لانه افتقر بسبب كرمه فقد لمته لانه احسن ظنه بالله

ليس استر لعيوب الدنيا من السكر

اثنان احذرهما ابداً الوغد حين يقتدر والحر حين يضام

اذا لم تحتمل الرزيئة في فقيدك كانت الرزيئة فيك

توقع المصيبة شر منها وانقضاوءها يكون حين وقوعها

ليس اقبح من وجه البخيل الا قفا المحروم

طرق المال كثيرة وذنب الفقير انه لا يعرفها

الغضب سبب المن فلا تغضب المنعم عليك

الاشتراك في كل شيء ينقصه الا في السرور فانه يزيده

مصائب الانسان كتاب يزداد اليه كل يوم صفحة ثم يتجلد بالموت

لا يبلغ الشعر في اعلى فصاحته ما تبلغه النظرة او التبسمة في سكوتهما

قلما تبسم الشفاه ولا يبكي من ورائها القلب

قلب المرأة كالعنبر لا يظهر طيبه الا باحتراقه

الغرور بذرة فاسدة يزرعها العلم فينبتها الجهل

الصدق حسن في كل شيء الا في مدح الانسان نفسه

اذا شئت تعرف طباع السفيه فجادله مجادلة ادبية

من اضرار الغرور انه يخفي عن الانسان قيمة نفسه ويظهرها للناس ·

اذا دخل الغرور الرأس من جانب خرج الادب من جانب

اذا استعنت بالعلم على المقصر استعان عليك بالمماحكة والسفاه فلا تدنس سلاح العلم بسلاح الجهل

لا تتطاول على من هو فوقك فيستخف بك من هو دونك

اعجب ما في المغرور انه يرى العلم ممكناً في نفسه ومستحيلا على غيره

اذا شئت ان تصادق الكريم وتعادي اللئيم فاظهر لكل منهما اغلاطه

يغضب المغتر من اظهار اغلاطه لانه لا يقدر ان يظهر اغلاط غيره

اهون عليك ان تقول للمرأة انت قبيحة من ان تقول للمغرور انت غلطان

اذا ابطأ دخول الحب الى القلب ابطأ خروجه منه ولا يعكس الحب كالنور كلما زدته ضياء زادك احراقاً

الرقيب للحب كالريح للسحاب يطرده حيناً ويجلبه احياناً

اذا كان بعض المتكلمين ثقيلاً فبعض الصامتين اثقل

الفقر باب منخفض كلما كان داخله عالياً اضطر الى الانحناء

من بعض افات العلم انه يسوء صاحبه بما يكشف له من هفوات سواه

ادق الاشياء اذا لعبت به قد يمكن ان لا ينكسر ولكنك اذا لعبت بقلب المرأة فانه ينكسر لا محالة

لا يعرف مقدار نفسه مثل البخيل فهو ينفق عليها بمقدارها

ملحة حكمية

زعموا ان الماء والنار والصيت الحسن اصطحبوا مرة ثم ارادوا الافتراق فقالوا ليجعل كل منا لنفسه علامة نعرفه بها اذا طلبناه فقال الماء انا اكون حيث تكون الخضرة . وقالت النار وانا اكون حيث يكون الدخان . قال الصيت الحسن اما انا فان من يفقدني لا يجدني ابداً

من ثمارهم تعرفونهم

يحكى ان احد الفلاحين جاء بخمس خوخات من الثمر الغريب عن قريته ووزعها على اولاده الاربعة وامرأته ثم انطلق الى عمله فلما عاد في المساء جمع اولاده وسأل كل واحد منهم عما فعل بخوخته فقال الاول اني اكلتها واخذت بزرتها فزرعتها في الحديقة ليكون لنا ثمر مثلها فقال له ابوه انك ستكون زارعًا عظيماً . ثم سأل الثاني فقال اني اكلت خوختي وتسلطت على امي فاكلت نصف ثمرتها فقال له والده انك ستكون من ذوي الشراهة والطمع . ثم سأل الثالث فقال انني تناولت البزرة التي رماها اخي الثاني فاكلتها وبعت خوختي بدرهم واشتريت به عدة تفاحات من تفاح قريتنا فقال له ابوه انك فعلت فعل التجار لا فعل اولاد وانا اخشى ان تصاب بداء البخل متى كبرت . ثم سال الرابع فقال انني رايت ابن جيراننا مريضاً فذهبت اليه وعرضت عليه الخوخة ان يأكلها فابى فتركتها على سريره واتيت لياكلها في غيابي فقال له ابوه انت احسن الجميع لانك فعلت فعل احسان ورحمة .وقد صدق من قال من ثمارهم تعرفونهم فلقد عرفت اولادي من هذه الثمار

قيل كان لاحد التجار ولد نجيب فلما بلغ اشده اعد له احمالا من البضائع النفيسة وارسله يتاجر بها فبينما هو سائر باحماله وقد توسط البرية رأى ثعلباً قد شاخ وكبر حتى عجز عن المشي ولم يعد يستطيع ان يخرج من وجاره الا زحفاً فقال في نفسه ما يصنع هذا الثعلب بحياته وكيف يقدر ان يعيش في هذه الصحراء المقفرة وهو لا يقدر ان يصيد

وفيما هو كذلك اذا باسد قد اقبل وفي فمه كبش حتى وضعه على مقربة من الثعلب فاكل حاجته ثم تركه وانصرف فاقبل الثعلب يجر نفسه الى ان اكل ما بقي من فضلة الاسد . وكان ابن التاجر ينظر اليهما فقال سبحان الله يرسل للثعلب رزقه وهو في مكانه لا يستطيع المشي وانا اتعب واسافر واتحمل تعب السير لارتزق وازيد ثروة ابي مع ان رزقي سوف ياتيني كما اتى هذا الثعلب رزقه ثم امر غلمانه فردوا الجمال وعاد الى ابيه ببضائعه واخبره بما راى من امر الاسد والثعلب وان الله يرزق عباده فلا حاجة للسفر والمشقات . فقال له ابوه ان الامر لكما ذكرت وان الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكني ارسلتك تتجر وتتعب لكي تكون اسداً تطعم الناس لا ان تكون ثعلباً تنتظر ان يطعمك سواك

حق ضائع

يعجب الواقف على هذه المقالة من عنوانها و يقول ماذا اراد الكاتب بهذا العنوان واي حق رآه ضائعاً لدينا وقد احصت حكومتنا ومحاكمنا كل حق وشملت بقانونها كل شاردة من مطالب رعاياها وحقوقهم حتى لم تدع صغيرة ولا كبيرة الا احصتها ثم هي مع ذلك لا تزال عاملة على الاصلاح جاهدة في الاتمام والتحسين على قدر ما تبلغه الهمة وتدعو اليه حاجات الشعب والقضاء٠ اما هذا الحق الذي الفيناه ضائعاً عندنا فمن اعظم الحقوق في بابه واغربها في ضياعه والاغضاء عنه الا وهو حق التأليف والطبع وان شئت فقل حق الادب والعلم ووجه الغرابة في تركه واهماله ان السكوت عنه ناشيء من رجال الحكم وارباب القضاء الذين هم ولا مشاحة ارباب العلم وانصار الادب واصحاب المعارف والاقلام فما ندري كيف اغفلوا هذا الحق وهو من حقوقهم قبل سواهم ونظروا الى غيره من الامور التي كثيراً ما تكون دونه في مقام الاعتبار وميزان القضاء

ولعل البعض ينكرون علينا هذا الحق في التأليف ويقولون انه منفعة عامة يجب ان يتناولها الجميع ويغتفل خسران صاحبها في جنب فائدة الجمهور كما اجيب بعضهم حين طالب بحق رواية من رواياته٠ فنقول اذ كان ذلك فقد صار الذي يجمع المال ويحوي العقار ويحصل الدرهم بالكد وعرق الجبين جائزاً اهتضام املاكه ومغتفراً اخذ ماله

بشرط ان تاخذه الجماعة وينتفع به الجمهور كما ينتفعون من طبع الكتاب وجاز للحكومة اذا ارادت ان تمد مشروعاً وتوسع طريقاً ان تهدم ما يعرض في سبيلها من منازل الاغنياء بلا حساب ولا عوض ونقول ذلك في سبيل منفعة العامة وفائدة الناس . والا فنحن لا نعتبر تعب الذي يجمع المال باكثر من الذي يجمع الكتاب ويقضي الليالي والايام في تاليفه . ومن ثم لا ندري كيف تباح حقوق هذا ويصبح كتابه نهباً للمطابع ورواياته غنماً للملاعب لا يدافع عنها قانون ولا تطالب بها حكومة ولاقضاء وتكون حقوق ذلك محترمة مصونة في كل بارة من باراته وقيد باع من ارضه مع ان كل ماله كان موجوداً من قبله وسيأخذه الناس من بعده كما اخذه الناس وصاحب الكتاب قد اوجد من العدم شيئاً واخترع من الغيب كتاباً يفيد به الامة ويحيي به فخر البلاد ولا يختص بنفعته دون سواه كما يختص الغني باموله . الا نرى الى بلاد الغرب التي نقتدي بها في احكامنا ونظامنا ومعايشنا وآدابنا واخلاقنا وملابسنا حتى في كلامنا وسلامنا كيف تجل حق المؤلف وتراعي رواية الكاتب واغنية المغني وتعقد بذلك العهدات وتتصل بين اطراف الممالك على هذا الاتفاق . فما بالنا لا نقتدي بها في هذا الامر كما اقتدينا بها في سواه مما هو اقل منه فائدة واصغر نفعاً ولماذا يموت الادب بين ايدينا موته الادبي على اثر موته المادي وهل لا يكفي المؤلف انه لا يقبل على كتابه احد حتى يضاف الى ذلك انه لا يكون في مأمن على حقوق يراعه وتاليفه

ولا ندري لماذا لا يكون لهذا الفن قانون ولا وازع في بلادنا بل لماذا كان من قبل ثم الغي وابطل وقد انفردت به المحاكم المختلطة عنا واصبح الاوربي اميناً على حقوقه الادبية في بلادنا اكثر منا واضحى الاديب عندنا الذي لا حق له الا هذا الحق ولادعوى لدى المحاكم الا هذه الدعوى وهو ضائع حقه وساقطة دعواه في حين هو يطالب بتعب واضح وليالٍ ساهرة وعرق ينقط من الجبين سطوراً قدر ما ينقط اليراع من حبره حروفاً . ذلك ما نستلفت اليه انظار الحكومة كما استلفتها كثيرون من قبلنا ونرجو من عدالة وزرائها وقضاتها الذين هم اهل العلم وارباب الادب ان ينظروا الى سن قانون في هذا الشان ترجع اليه رجال الاقلام والتآليف حرصاً على العلم الذي انتشرت فوائده في هذا العصر وغيرة على الادب ان تضيع حقوقه في ام الآداب مصر وغير بعيد على سمو اميرنا العباس الذي شاد للعلم في عصره اعلى المنازل واجرى للاقلام من فيض عوارفه اهنا المناهل ان يأمر بوضع هذا القانون الذي نلتمسه او باجراء القانون المختلط في محاكمنا كما هو جارٍ على اربابه فان الادب واحد في كل مكان وصناعة التآليف واحدة لا ينبغي ان ينفرد بحقها الاجنبي عن الوطني من السكان وانما الحق قسطاس الجميع ولن تجد عنه بدلاً ورحم الله عبداً علم فعمل والله لا يضيع اجر من احسن عملاً

كيف يكون الاستقلال

لا يكون استقلال البلاد بان يحكمها ابناؤها ولا بان يخرج المحتلون منها ولا بان يتنعم اهلها بالتمدن الحاضر ولا ن يلبسوا الزي الحديث ولا ان يتناولوا اطراف اللغات الاوربية في اثناء الحديث فان ذلك هو التقيد بعينه والاستعباد بحرفه والخضوع الادبي الذي هو حقيقة الخضوع ومقدمة لسائر انواع الرق والاستعباد وانما الاستقلال الحقيقي الذي تطمع فيه كل امة شرقية وينبغي ان تقتدي فيه بكل امة غربية هو ان تستغني ببلادها عن بلاد سواها وبمصنوعات سكانها عن مصنوعات الاجانب عنها وبضروريات معاشها على الاقل عن جلب هذه الضروريات من غيرها حتى لا يكون الرجل منا اجنبي الظاهر في جميع حالاته بين ثيابه واثاثه وادواته . ولا يظن القوم ان احتلال بعض العساكر للبلاد وتولي بعض الموظفين الاجانب لمناصب الوطن ورئاسة بعض كبار الغرباء على بعض كبار المصالح هو الذل والاستعباد وان خروج العساكر وعزل الموظفين وخلع العمال هو الاستقلال الذى نريده والغاية التي نسعى اليها بل ان ذل البلاد وسكانها هو ان ترى لباسها ومساكنها وطرقاتها وانوارها وادواتها واثاثها وبلاط شوارعها وانية طعامها وشرابها كلها من بلاد الاجانب وصنع الغرباء . هذا هو الاستعباد والذل وذهاب الحرية وتقييد الشعب بالقيد الثقيل الذي لا يضاهيه احتلال ولا يزيله انجلاء . ما الفائدة من

خروج الانكليز عنا وعزل الغرباء من مناصبنا وابعاد الاوربيين عن قطرنا ونحن لا نقدر ان نسير خطوة ولا ننير شمعة ولا نلبس ثوباً ولا نمشي في طريق الا على اعمالهم ومن فضلات بضائعهم وسلعهم التي يأخذون بها اموالنا قناطير مقنطرة ويشترون بها محصولاتنا بالثمن البخس ليردوها الينا بالثمن الغالي جزاء اشتغالهم واجتهادهم واجرة فوزهم علينا وسبقهم لنا في كل فن ومطلب. ألم يكن الاولى بالطامعين في الاستقلال من غير بابه وهم من انصار الوهم واشياع التصور الباطل ان يقصروا خطبهم الرنانة ومقالاتهم الطويلة العريضة واقلامهم السيالة الماضية الى استقلال البلاد الادبي اولاً وجعلها في غنى عن سواها من بلاد الاجانب الغرباء بدلاً من سعيهم الذاهب هدراً في اخراج الانكليز من مصر والذي ينبغي ان يكون بعد الاستقلال الاول وتمام الغنى الاستغناء. فاذا اخرج الانكليز من بلادنا واخلوا ديارنا لنا وجعلنا العمال والجنود والقواد منا فهل نقدر ان نخرج مصنوعات اوروبا من بيننا وهل نقدر ان نستغني عن زر صغير نصنعه في معاملنا وهل نقدر ان نعود على انفسنا ببعض المال الذاهب من ايدينا الى ايدي سوانا وهل نجد في قطرنا معملاً صغيراً يسد حاجة صغيرة من صغار حاجاتنا الضرورية فضلاً عن الكمالية. أليس كل هذا الاحتياج منا لاوربا يعد احتلالاً عاماً من اوربا علينا لا نجد الاحتلال الانكليزي الحقيقي في جنبه الا قطرة من بحر ونقطة من قطر. اذن فما الفائدة من جلاء القوم عنا واوربا كلها تحتلنا وماذا يهم الشعب الاعظم من امر الاحتلال الذي لا يهم الا افراداً سياسيين

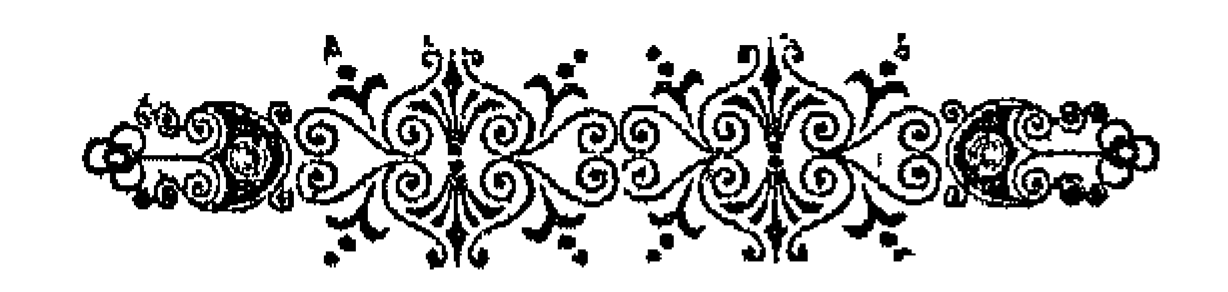
وهو يرى بلاده خالية خاوية لا صناعة فيها ولا معمل لها ولا شركة صناعية من ابنائها ولا شيء مفيد من معدات الاجانب الذين نقتدي بهم ونأخذ عنهم يشتغل به عاملنا الصغير وياخذ منه حاجته تاجرنا الغني الكبير هيهات ليس الاستقلال في حكم البلاد فقد كانت مستقلة من قبل لم يغنها الاستقلال فتيلاً ولا باحتلال الانكليز فقد كانت خالية منهم من بضع عشرة سنة ثم لم يزدها الاحتلال انحطاطاً ولا تدميراً ولا بجعل المناصب في ايدي الوطنيين ولا بقولنا كل يوم او قول البعض منا ان مصر قد بلغت حد الكفاءة ووصلت الى نهاية القدرة والعلم واصبح ابناؤها قادرين بانفسهم على الاحكام فان الامر الآن ليس بتولي الاحكام ولا حرية البلاد ولا ذهاب الاوربيين ولا خلاء الديار من العساكر المحتلين بل الامر المهم والاستقلال الخطير الذي يسمى استقلالاً ويعد حرية وانطلاقاً هو ان تستغني بلادنا عن بلاد سوانا وتكتفي باعمال رجالها عن رجال غيرها وتصون اموال ابنائها في ايدي ابنائها ولا تضطر اذا منعت اوربا مواردها عنها ان تبيت منازلها بلا قشة ثقاب لا يقاد انوارها وسكانها بلا ثوب ولا قميص لستر اجسادها وكتابها بلا مداد ولا ورق لتسطير افكارها وطباعة جرائدها المنادية بالحرية وطلب الاستقلال

أيحسب بعض القوم اذا قال ان مصر اصبحت كفوءاً لنفسها وابنائها اهل لاحكامها ان اوربا تصدقهم في ذلك الحديث وهي ترى بضائع بلادها جميعاً من الدقيق الى الجليل ترد الى مصر تباعاً تكذب كل

سلعة منها كل مقالة من تلك المقالات وتبهت كل قطعة من قطعها كل من قال ان مصر قد اصبحت في ذروة المدنية وقمة الكمال . بل لو ناقشتنا اوربا الحساب وقالت تعالوا الى موقف سواء بيني وبينكم انتم يا من تريدون التشبه بي وتطلبون الاستقلال نظيري اين جمعيات العلم عندكم واين مجالس التجارة والصناعة واين المعامل واين المشروعات واين الاختراعات واين الشيء الصغير الذي تقدرون ان تستغنوا به عني ليكون لكم الحق بان تكونوا مثلي الا اذا اكتفيتم ببضائع بلادكم الحاضرة وعدتم الى مثل ما كنتم عليه من مئات سنين او الى مثل ما نرى عليه زارعكم الان في غيطه بين قميصه و . . . . . ابمثل هذه الحالة تطلبون الاستقلال وعلى مثل هذا الذل تطيب لكم حرية وانفراد بعيشك ماذا يجيب رجالنا وماذا يقول افاضلنا وكيف ينطق اغنياؤنا وكبارنا لدى هذه المسائل الصغيرة الكبيرة الا ان تطرق وجوههم خجلاً وتنكس ابصارهم حياءً ومذلة ويقولون من ليست كل ملابسه من صنعك يا اوربا فليجبك اولاً بحرف

اذن فليست هذه مقدمات الاستقلال ولا من هذا السبيل نصل الى الكفاءة وحرية الاحكام ولا نحن في حاجة اليوم الى اقوال الواحد في الدولة العثمانية والامة الاسلامية ولا الى خطب الاخر في الحالة الافريقية والمسألة المصرية والجمعية الاستعمارية فان ذلك شأن نهتم به متى قدرنا ان نستغني عن سواه مما هو اهم منه والزم بل نحن في حاجة الى ايدٍ عاملة واموال مباحة وانفس سخية وهمم عالية تصرف كلها في اقامة المعامل

وتجديد المعالم وفتح المدارس وانشاء المصانع وتشييد المناسج وترويج الاختراعات والبضائع الوطنية واغناء البلاد بصنع ابنائها عن مصنوعات سواها حتى اذا انقطع عنا وارد اوربا ولو يوماً واحداً لا نبيت بلا سراج ولا نمشي بلا حذاء ولا ثياب · ومتى اجتمعت تلك الايدي وفتحت تلك الموارد والارزاق وجرت الاعمال والمعامل وقام الغني بالواجب على ماله من اقامة تلك المشروعات وقام الفقير بواجب حاجته من الشغل والاختراع فقل قد اصبحنا شعباً مستقلاً وامة منفردة غنية واقبل الاستقلال المدني يطلبنا من نفسه كما يطلب الماء انحداره والا فاذا بقينا على حالنا نطالب الخلاص من الاحتلال الانكليزي وحده ونترك الاحتلال الادبي الصناعي نازلاً علينا وعلى اموالنا فما ابعد ما نطمع بالاستقلال وما اضيع ما نسعى الى الحرية والانطلاق وما اطول حبس الاسير اذا فك قيداً واحداً وبقيت عليه اغلال وقيود وما اتعب سعي الساعين في جاب الهداية بغير نور ولا دليل والله يهدي من شاء الى سواء السبيل .



جرائد اليوم

جاء في اقاصيص الاولين ان هرةً ساءها ما هي عليه من حطة المنزلة في عالم الحيوان واعجبها ما راته في الانسان من رفعة الشأن ونفوذ الكلمة على سواه من سائر المخلوقات فتابت الى ربها عما اقترفته في ماضي ايامها من الذنوب فاصبحت طاهرة النية نقية الذيل جديرة بان يستجاب لها الدعاء فطلبت من الخالق سبحانه وتعالى ان يرفعها من منزلتها تلك ويجعلها غادة حسناء تفتن بجمالها الالباب وتأخذ رقتها بمجامع القلوب فاستجاب الله جلت قدرته دعاءها وانقلبت فتـــاة معتدلة القوام بارعة الجمال رقيقة الحديث تحوم على كمالها القلوب فكانت في كل مجتمع مرمى اللواحظ والعيون والكنانة التي تتطاير سهامها الى الافئدة والاكباد فتاهت على سائر اخواتها بما اعطيت من الجمال الفتان واخذ العجب منها مأخذًا عظيماً فاتفق ذات ليلة في احد المراقص ان كثر عليها الزحام وطوقتها الابصار وقد اخذها شاب جميل الطلعة عالي القدر بين ذراعيه يرقص معها فحانت منها التفاتة فرأت فارًا صغيراً خرج من احدى الغرف المحاذية وجعل يركض في صحن الدار حيث كانت وكان الراقصون فهاجت رؤيته ما كمن في فؤادها من الميل الغريزي الى صيده وتاقت نفسها الى مطالبها الاصلية فافلتت من يدي رفيقها الشاب وهجمت على الفار تطارده من زاوية الى اخرى وهي تزحم الراقصين وقد تلألأت عيناها فرحاً به

وخفق فؤادها سروراً بصيده وطمعه

وانما ضرب الاقدمون هذا المثل دلالة على ان الاميال الغريزية لا تزول دفعة واحدة وان الطبع غلاب وكل سريع النمو سريع الزوال ولا يمكن الفرد او الامة ان تنقلب بسرعة ما لم يبق في النفس كمين من سابق الاميال يستره التكلف ويمنعه من الظهور لجام التعقل فاذا انقطع هذا اللجام من غضب او تهيج في العواطف رجع الطبع الى مجراه الاصلي وتمزق ستار التكلف فانكشف الغطاء عن عواطف النفس الاصلية وما اسهل تمزق هذا الستار لان النفس بوجوده مجهدة على ايقاف اميالها عند الحد الذي يريده التشبه والتقليد فلذلك يسهل جدا انحرافها الى سابق عوائدها ومشتهياتها ورحم الله امير الشعراء حيث يقول

واسرع مفعول فعلت تغيراً   تكلف شيء في طباعك ضده

والامثلة على ما ذكرنا كثيرة لا يكاد يحصيها عدٌّ يراها كل ساعة من اوتي الفطنة ودقة النظر في طبائع البشر والحيوان انما نذكر منها اقربها بنا عهداً وهي الحرب الاخيرة التي نشبت بين الصين واليابان فان اليابانيين قوم كانوا منذ عهد غير بعيد في اشد حالات الجهل واظلم مواقع الهمجية كاخوانهم اهل الصين وما جاورها من بلاد الشرق القاصي ثم افاقوا من غفلتهم تلك ورأوا الدول الغربية سائرة امامهم شوطاً بعيداً فعمدوا الى التشبه بها وتقليدها في تمدنها فجروا في ذلك المضمار وافلح سعيهم في زمن قصير جداً لا يكاد يجد التاريخ له مثيلاً فاصبحوا الان في مقدمة الدول المتمدنة في آدابهم وعلومهم وجيوشهم

ومدرعاتهم ولكن ما كمن في النفس من الهمجية لم يزل مستوراً حتى افتتحوا مدينة ارثر ودكوا قلاعها وانطلقت يدهم فيها فاسكرتهم خمرة النصر ومزقت عن اميالهم براقع المدنية فذبحوا الرجل والنساء وعذبوا الاطفال ولم يدعوا قبيحاً الا فعلوه فاشبهوا اعداءهم الصينيين في ذلك والسبب في هذا انهم اسرعوا في الارتقاء فلم تتمكن اداب المدنية منهم بل كانت صورة ظاهرية مزق حجابها ذلك الانفعال الشديد

بل اقرب الينا من رجال الشرق القاصي واقرب بنا عهداً من عهد الحرب اليابانية الحرب القائمة الآن بين جرائدنا العربية ورجال الادب وائمة الاقلام فينا فانك لا تجد فيها سوى ساقط القول والطعن الشخصي وهتك الاعراض وتناول الاباء والاجداد بالسب والشتم والاندفاع في القبيح من التعابير والفاحش من مهجور الكلام مما يجعلنا ان نسيء الظن بالتمدن الذي وصلنا اليه والادب الذي حصل عليه رجالنا من ارباب القلم فان العلم ينير البصيرة فترسخ انواره فيها فاذا اخرجت الى الظلمات انارت سوادها كما تتألق الماسة التي عرضت للنور زمناً فاذا اخرجتها الى الظلام انارت كالنجم ولو عرضت زجاجة نظيرها للنور ابد الدهر لما انارت في الظلام ولا بانت لعين الناظر والسبب الذي دفع الجرائد الى امثال هذه القبائح هو نفس السبب الذي دفع تلك الهرة بعد ارتقائها الى مقام الانسان الى اتباع اثر الفار والسعي وراء القبض عليه فاننا لسنا في حالة بعد توهلنا للصحافة المطلقة عن كل تقييد فقد اسرعنا في هذا الطريق من المدنية وسرنا فيه وفي

النفس كمين من ماضي الحال وسابق الاميال وقد كان يجب ان يترفع اصحاب هذه الجرّائد عن امثال هذه الاقوال فان الكاتب يلام على زلته لانه يكتب بعد التروي والتبصر في عواقب الاقوال ولا يلام الجندي اذا اطلق يده في الذبح والنهب في ساعة الحرب والانتصار فان اعماله ساعتئذٍ عن غير تروٍ ولا يمكنه ان يتملك عقله وامياله كما يتملكها الكاتب وهو على منصة كتابته ووراء دواته · واذ قد عرفنا ذلك فقد وجب على جرائدنا وادبائنا ان يجعلوا الادب طبعاً فيهم ويغلبوا النفس على اجلال الصحافة ومقام القلم حتى اذا غلبنا الطبع عدنا الى الادب المحض ورقة الخطاب وصيانة منزلة النفوس في الجدال وسرنا ان يقال عنا عند ذلك ان الطبع غلاب

الشرق والغرب

لفظتان نذكر اولاهما قبل الثانية مجاراة للاصطلاح اللغوي ومراعاة للتغليب اللفظي من قولهم المشرقين للشرق والغرب كما يقولون الابوين للاب والام والقمرين للشمس والقمر ولو انصفنا لخالفنا هذا القياس وعدلنا عن ذلك الاصطلاح وقلنا الغرب والشرق ثم وضعنا بين اللفظتين من الاصفار ما يعادل ما بين المسميين من الاميال في البعد ومن الدرجات في سلم التقدم والارتقاء

ولسنا نريد تفضيل الغرب على الشرق في مطلق زمانه ومكانه فاقد

مضى على الشرق اعصار كان واضع ذلك التغليب فيها مصيباً في تقديمه له وتفضيله اياه على اخيه كما لا يزال في بعض جهات الغرب اقوام لا يفضلون امثالهم في الشرق ان لم نقل يقصرون عنهم ويؤيدون ذلك الاصطلاح القديم ببرهان. ولكن الذي نقصد اليه بيان الفرق بين المشرقين في حالها الحاضرة المعروفة وايراد ما نقصر دونهم فيه في الذي نأخذه عنهم من سبل الاقتداء وطرائق التقليد. فلقد وجدنا اهل الشرق في هذا العصر قاموا يقتدون بسكان الغرب في انواع معايشهم وادابهم واخلاقهم ومصطلحاتهم وما يتبعها من سائر شؤونهم واحوالهم فاخذوا عنهم المطابع والجرائد والفكاهات والقصص والملاعب والروايات وقام افراد منهم بكل نوع من هذه الانواع ينشرونه بين اخوانهم ابتداعاً من عند انفسهم والحكومة عنهم بمعزل والاسعاف منهم براء فكان نصيب اكثرهم التقصير عن القصد والوقوف دون الغاية عن عجز مما في ايديهم وقلة من الاقبال عليهم والاخذ بنصرتهم فكانت اعمالهم غصوناً املوا فيها الفلاح فجنوا منها التقصير والعجز ثم عادوا وهم ينشدون نعم الغصون ولكن بئسما الثمر

ولو نظرنا الى السبب الذي تبنى عليه حقيقة هذا التقصير والهبوط في شرقنا والنجاح والاقبال في الغرب مع ان الاصل واحد وهو تلك الاعمال والمشروعات في كليهما لوجدناه اشبه باختلاف التربة والهواء على النبات الواحد فانه ينمو في بلاد ويصوح ويذبل في غيرها ولا سبب له الا ذلك الاختلاف بين الارضين من استعداد احداها لقبوله ومنافاة اقليم الثانية له. وبيان ذلك ان الغرب لما تقدم في معارج المدنية واستنار بمشكاة

الاداب والعلم اخذهو من نفسه يطلب الجرائد والمكاتب والملاعب والمؤلفات وما شا كلها وساعده على تحصيلها ما في ايديه من فضل الثروة والغنى فنهض واستقام ثم رآه الشرق على مثل ذلك فاحب الاقتداء به في النتيجة والغاية وهو لا يزال مقصرًا عنه في المبداء والاصل فوقف دون الامرين جميعًا وكانت الجريدة والرواية والكتاب والمكاتب عندنا تطلب شعبًا يقبل عليها وعامة تقوم بانجاحها فلا تجد فتخسر وتبور وهي في الغرب انما يقتضيها الشعب وتطلبها العامة ويلتمسها القراء بما لها عندهم من استعداد العلم ومقدمات المعارف والاداب فتسري وتروج وشتان من يطلب الشيء ليشتريه وهو محتاج اليه ومن يصنع له ويعرض عليه وهو لا يعرفه ولا يشعر بوجوبه . واذ قد تبين السبب في كل ذلك كما قدمناه كان على الشرق ولا سيما على الحكومات فيه ان تصرف اكثر اهتمامها الى العلم والمدارس واندية الاداب والمعارف وعلى الشعب ان يساعدها في هذا السبيل بما يبديه من الرغبة في التعلم والاقبال على الدرس والمطالعة حتى اذا تم له ذلك واستحكمت فيه ملكة العلم وحب الاطلاع اصبح وهو الذي يقتضي اسباب التمدن ويطلب نشر العرفان ويقبل على موارد العلم والادب مدفوعًا من عند نفسه اليهـا من غير ان تعرض عليه وهو يصد عنها كما يفعل اكثر افراده الان وعندها تروج المعارف وتنتشر المطبوعات وتسري الجرائد بين ايدي الناس وتعمر الملاعب واندية الادب بالطالبين والزوار ويصير الاقتداء طبيعيًا والتمدن حقيقيًا والاقبال على كل مشروع ادبي ملكة وجبلة في كل انسان والاشياء مرهونة باوقاتها

غلادستون

نعت انباء البرق الوزير الخطير والسياسي الكبير والعالم الفاضل والخطيب العامل فريد زمانه ونسيج وحده وكبير قومه الذي كان يقلب الارض على بنانه ويلعب بسياسة الدول بين يديه ويجمع اقاصي الارض في فكرته الوقادة النيرة نعني به غلادستون وزير انكلترا الاول وكبير رجالها واعظم ابطال سياستها في هذا العهد · توفي الى رحمة الله تعالى في الساعة الخامسة من صباح ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ وله من العمر ٨٩ عاماً كان فيها مثال الفضيلة وعنوان الاجتهاد ومقدام السياسة وامام الخطابة ورب البلاغة والبيان

ولقد فقدت به انكلترا خطيباً مفوهاً كانت تهتز لاقواله عروش الملوك لا اعواد المنابر · وكانت اقواله تؤثر في اقاصي الارض فيسمع دوي صداها كل بادٍ وحاضر · وسياسياً محنكاً كان ينظر الى الدنيا باسرها فيجمعها في دائرة فكره · ويقلب كرة الارض على بنانه كما يريد كأنها لا تدور الا طوع امره · ووطنياً صادقاً خدم دولته بامانة فرفعها في عهد وزارته الى اوج العلاء · ورحيماً شفيقاً كان قلبه لا يفرغ من اشغال السياسة حتى يشتغل برحمة البائسين والاشقياء · ومتواضعاً رقيق الجانب عرضت عليه اعظم القاب البلاد فاباها عن انفة واعتلاء · فكان وزيراً كبيراً في منصبه وكان عامياً بسيطاً في الالقاب والاسماء · وكل ذلك لكي يبقى في وسط الشعب

المحبوب يبسط له يداً للرحمة والحنان ويبسط الاخرى فيتناول بها تاج الملك اذا شاء · وماذا عسانا نصف من حسنات هذا الرجل الكبير وكل حياته الطويلة حسنات · وكل خدمته واعماله من محاسن الصفات · انذكر خطبه على منبر مجالسه حيث كان يتدفق كالبحر بلاغة وبياناً ام نذكر رحمته لبني الانسان حيث كان يسيل فؤاده رقة وحناناً · ام نذكر مهارته في السياسة وقد كان وحيدها الذي يعرف ادق خفاياها · ام نصف حبه للعلوم والاداب وقد توفاه الله وهو يشتغل في بيان اسرارها وكشف خباياها · بل هو الرجل الذي نعدّ تقصيرنا عن وصفه نهاية ما نبلغ اليه من وصف فضله · ونرى ان عجز الاقلام عن بيان كماله ونبله خير دليل على تناهي كماله ونبله · ولو كان مقام هذه الجريدة يتسع لتاريخ حياته لملأنا صفحاتها بتاريخ حياته · ولو كان هذا القلم مما يفي بسرد صفاته لافنينا مداده في بيان صفاته · وغاية ما نقول فيه انه احسن كثيراً في حياته احسن الله اليه في مماته

انكم تخدمون الانكليز

١

هذه عبارة نسوقها اليكم يا ارباب الصحائف ويا حملة الاقلام ويا دعاة الكتابة والانشاء فقد بدأ امركم بالمناظرة الادبية في جرائدكم ثم تدرجتم الى المناظرة الشخصية ثم صرتم الى الهجو والسباب وها انتم الان في الطعن الديني والتعريض المذهبي وقد اغتنمتم ما لديكم من اسباب الحرية

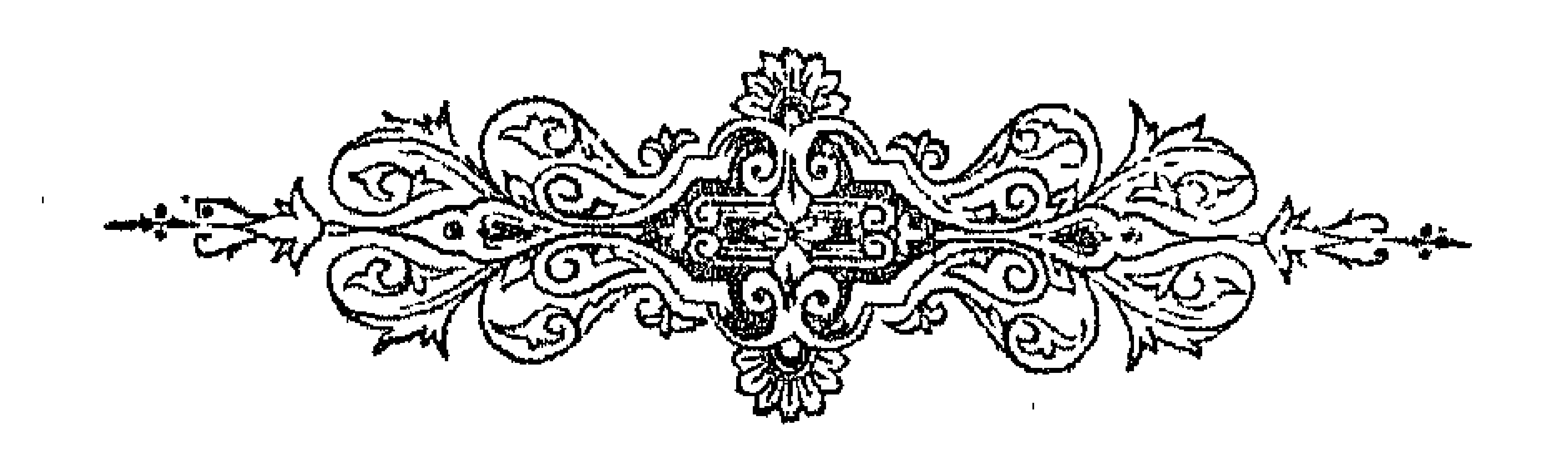
وارخاء العنان وسكوت اولي الاحكام (وما هم الا رجال الاحتلال) فقمتم تعرضون بالمذاهب وتطعنون في الدين وتلعنون الملة وتثيرون الجنس على الجنس وتوغرون صدر المذاهب على المذهب بعبارات سافلة واقوال بذيئة وكلام تعصب وجهل لا يصدر عن حامل معول فضلا عن حامل قلم حتى صرنا نخشى ان يكون لكلامكم تاثير في النفوس ووقع شديد في القلوب وان تثور الثورة بين الاديان من عقلاء القوم وقرائهم وجماعة المطالعين بينهم لا من الرعاع او الجهلة الذين يخشى ذلك منهم وقد انعكست الاية وساء المصير . وما ندري ما القصد من هذا التعصب وما الفائدة التي ترجونها من زرع الشقاق والنفور بين الاحزاب والاجناس واي دخل للدين بين جريدتين تتناظران او كاتبين يتناقشان و يتحاوران . الا تدرون انكم بذلك تخدمون الانكليز وانتم لا تشعرون . الا تعلمون ان المحتلين لم يفسحوا لكم هذه الحرية في جرائدكم الا لكي تصلوا الى هذا الحد المهيج وتجعلوا لهم به سبباً للبقاء بينكم او اطالة الاحتلال عليكم اتأمنون من ثورة دينية تثور غداً بين الاجانب والوطنيين تنسفك فيها الدماء هدراً وترجع على البلاد بالذل والهوان وشدة التضييق وضغط الاحتلال ونرجع نادمين على ما كان في ايدينا وقد اضعناه بعوامل الجهالة والغرور ام تأمنون ان تتخذ انكلترا هذه الاقوال منكم غداً بمثابة روح تعصب وشقاق في البلاد وتزيد جندها علينا اضعافاً نقوم بنفقاتهم ونحمل احتلالهم ثم تدعي علينا لدى اوربا اننا قوم لا نزال في جهل وانحطاط وانها تخشى ان تترك البلاد بين ايدينا بل تخشى ان لا تزيد عساكرها علينا ويكون لها من ذلك

حجة طويلة الاذيال يطول معها اجل الاحتلال الى ما شاء الله . الا تدرون ان الدولة التي اقامت محكمة مخصوصة في البلاد لاجل ضابط من رجالها ضربه رعاع او جندي بسيط من جندها اعتدى عليه بعض الجهال لا تلبث غداً ان تقيم محكمة عسكرية لاجل قوم هم ارباب اليراع ودعاة الاصلاح والمنادون بالمساواة والاخاء والعدالة والنظام ويكون داؤنا من حيث نرجو الدواء والجاني علينا من نرجي منه دفع الجناية ونشر الانصاف

ثم نعود فنقول اي دخل للدين بينكم يا ارباب الادب ويا كتاب الجرائد واية شريعة ادبية او دينية او سياسية او همجية تبيح لكم ان يشتم بعضكم دين بعض جهراً صراحاً في جرائد سياره بكلام لو قاله ادنى السفلة في ادنى الحارات لعاقبه عليه القانون بما هو اهله من العقاب فكيف اذا كان منكم وانتم تدعون النزاهة والادب وعلم الصحافة والبيان اتحسبون ان تفريق الاجناس في بلادكم يعد خدمة لها وانتم ترونها تحت نير الاجناس وحكم الاجانب الغرباء . اتظنون ان ذلك يقرب حريتكم ويظهر اهليتكم ويجلي المحتلين عنكم فيقولوا امنت البلاد وتمدن سكانها واستراح قاطنها ونازلها وسادت النزاهة والاخاء بين سكانها فحان لنا ان نرحل عنها ونتركها لابنائها يحكمون كما يشاؤون ....

يا قوم ليست هذه خدمة لنا ولبلادنا ولا بامثالها نرجو حريتنا واستقلالنا بل هي خدمة لمن تريدون جلاءهم يشكرونكم عليها كل يوم يطول فيه اجل احتلالهم بسببها وليس شكرانهم لكم الا السكوت عنكم وفتح ابواب القول امامكم وترككم في طغيانكم تعمهون . اذن فانتم تخدمون

المختلين ولا تعلمون وتجنون الضرر من حيث ترجون النفع وتضيقون القيد
على اعناقكم من حيث تؤملون الفرج والانطلاق وهي خطة لا يريدها
عاقل لنفسه ولا يسعى اليها لبيب على قدمه بل لقد كنا نظن انكم لو
دفعتم اليها بيد من حديد لرجعتم عنها باقدام من مثلها ولو كان فيها
خمولكم وانحطاطكم والخمول عن عقل خير من النباهة عن غرور وجهل
فاتقوا الله في عباده انكم تفسدون اخلاقهم وتوغرون صدورهم بالجهالة
واتقوا الله في بلادكم انكم تشدون وثاقها وتطيلون اجل رقها واستعبادها
وهي ترجو منكم الغوث والمدد واتقوا الله في انفسكم انكم تجنون عليها وهي
منكم ولا تكونوا اعداء لها باعمالكم وغروركم فان الجاهل عدو نفسه. وغاية
رجائنا من عقلاء القراء — اذا خاب رجاؤنا من عقلاء الكتاب — ان
لا تؤثر فيهم هذه الاقوال الصبيانية والكلمات الفاسدة التعصبية وان
يقابلوها بالعقل وان كانت صادرة عن غير عقل ويطرحوها وراء الظهور
وان كانت خارجة عن خبايا الصدور فانما هي تخرج من صدور فاسدة
لتطفئها اكف صالحة وقد يهدم العقل ما شيد الجهل



انكم تخدمون الانكليز

٣

تقدم لنا من مدة تحت هذا العنوان مقالة طويلة اظهرنا فيها ما يبديه بعض الرجال من خدمة الانكليز جهلاً واغتراراً وهم يحسبون انهم يقصدون العكس من ذلك ايام الفتنة التي قام بها بعض الرعاع على العساكر الانكليزية فرجموها بالحجارة واستوجبوا من اجلها عقاباً كان من فوق الذنب وقانوناً جديداً كانت البلاد في غنى عنه مما لا يزال في علم الكثيرين من القراء ويسوءنا ان تدعونا ظروف الاحوال اليوم الى معاودة هذا العنوان لحادثة اخرى مثل التي سبقت لم يقم بها رعاع القوم ولا بدأ بها سفلة الناس ورعاع العامة بل كان صدورها لسوء الحظ عن معدن العلم ومصدر الادب ومجتمع العرفان ومنتدى الطلبة والمدرسين الا وهو الجامع الازهر الذي تفتخر به مصر بل الامة العربية باسرها وتعده من اقدم ماثرها واجمل اثارها في اندية المعارف والاداب

وليس من غرضنا في هذه المقالة ان نبين وجه الحق واللوم في هذه الحادثة المكدرة ولا الى من يرجع فيها القصاص وتبعة العقاب ولكننا نوجه انظار القراء من اخواننا الوطنيين الى ان الانكليز نزلوا البلاد المصرية متذللين بغية في الاصلاح وادعاة بتسوية الامور وتثقيف الجمهور وجعل القطر قادراً بابنائه على حكم نفسه والاستغناء بهم عن سواهم من

نزلائه ومحتليه . وسواء صدق الانكايز في دعواهم هذه ام لم يصدقوا فانما هو قول قالوه ووعد تقدم لهم وقد وجب علينا ان نتبعهم فيه وننتظر وفاءهم عليه ونساعد انفسنا بانفسنا على اقناعهم باتمامه واستكماله

ولقد وجدنا اكثر رجالنا واصحاب جرائدنا ينزعون الى هذا القول كل يوم ويذكرون به الانكايز في كل مقالة وجريدة ويحاولون ان يقنعوا اوربا بان هذا الوعد قد تم وان الاصلاح والسكينة والهدو قد اصبحت كلها اليوم احسن واوثق مما كانت عليه من قبل الاحتلال

ولقد آنس الانكايز من ابنائنا هذه النية وعرفوا منهم خفايا تلك الضمائر والاقوال ورأوا انفسهم قد احتلوا مصر بقعة مخصبة وغنيمة باردة لا يروق لهم تركها ولا يرضون بوفاء وعودهم فيها ولو كانت تلك الوعود على راس البنان وطرف الثمام فاحبوا ان يفتحوا للرعية المصرية ابواب شقاق ونفور ويمهدوا لهم آثار عصيان واضطراب تكون لهم حجة على البقاء وعذرا دائما في طول الاحتلال فاطلقوا للاهالي عنان الحرية بما لم تتعوده مصر من قبل في زمن من الازمان ونظموا لهم المحاكم ونادوا بينهم بالمساواة واوقفوا الامير في موقف الصعلوك والحاكم في رتبة المحكوم لدى عدل القضاء والقانون وهم لا يريدون بذلك نفع مصر ولا يبغون تسكين البلاد تماما كما هو الظاهر من نتائج اعمالهم الى الان لانهم عرفوا ان مصر اذا اعطيت لها الحرية ونشرت بين ابنائها المساواة والعدالة وهي لم تتهيأ لهذه الدرجة بعد بما قبلها من مقدمات العرفان وانتشار العلوم

والآداب افضى ذلك ولا شك الى استعمال الحرية في غير مكانها واستخدام تلك المساواة في سوى زمانها ومكانها وكانت كل هذه الاصلاحات في يد مصر وهي لم تتدرج اليها بعد اشبه بالسيف القاطع في يد الغلام الصغير لا بد ان يلوح به احياناً فيجرح بعض من حوله ويحسب له ذلك ذنباً وليس الذنب فيه له بل للذي وضع في يده ذلك الحسام

وعلى هذا المبدأ من اطلاق الحرية والاستقلال قامت بعض جرائدنا تذم الانكليز وتطعن فيهم ما شاءت وشاء التعصب او الغايات وتزرع كرههم وبغضاءهم في نفوس العامة البسطاء حتى توهم القوم ان كره المحتلين اصبح ديناً ومعا كستهم عين الوطنية وضربهم اذا امكن هو عين الجهاد والاجر وعصيانهم هو الطاعة والهدى والبر واصبحنا نرى في هذه الايام التي زعم الانكليز انها ايام العدالة والاصلاح والحرية ما هو شر من الظلم والدمار والتقييد بل لقد فضلنا العصر القديم بظلمه واستبداده على هذا العصر بحريته وعدالته التي هي في غير مكانها وقد اصبحت كلها ضرراً وشؤماً على البلاد

وليس البرهان على ذلك بصعب ولا الشاهد له ببعيد وهذه مصر حديثة العهد بالاحتلال والاستقلال فليقل لنا واحد متى كان يثور الاهالي على الحكومة في عهد اسماعيل واوائل عهد توفيق ومتى رأينا السكان يعارضون الحكام في شؤون الصحة وامور الوقاية ولا سيما في ايام الوباء وانتشار الامراض ومتى كان محافظ العاصمة المسلم الوطني

يذهب الى جامع مثل الجامع الازهر العظيم فيلاقي فيه ما لقيه هذه المرة من الاهانة والرجم الشديد ومتى كان المصري يخرج اطباء الحكومة من منزله بالقوة بعد ان يوسعهم ضرباً وشتماً ويدفن ميته في النعش الذي يريده كما يشاء ومتى كانت العاصمة والاسكندرية ملعب مضاربات وميدان عصيان ومشاجرات الا في هذه الايام ايام الحرية والانطلاق والعدالة والمساواة بل ايام الجرائد والوطنية والتحزبات والتشيعات والميل لفلان والكره لفلان وبث سموم المفاسد والغايات في قلوب سليمة لم تتعود هذا البذار من قبل ولم يكن لها به عهد قبل الان

ولقد زعم البعض ان الانكليز في جريهم على هذه السياسة المستقيمة في ذاتها والعوجاء في مكانها وزمانها يحسنون صنعاً في اعمالهم وانهم يستميلون اليهم المصريين ويجعلوهم راضين عنهم تابعين لاحكامهم مادحين لاحتلالهم وانهم بذلك يطيلون اجل الاحتلال الى ما شاء الله وقد فاتهم ان المحتلين لم يتبعوا هذه السياسة الحليمة الساكنة المتغاضية الا توريطاً للسكان وتغريراً بالرعية في مهاوي العصيان والنفار الذي يكون منه طول ذلك الاحتلال ودوام تأبيده لا من رضى المصريين ولا من استمالتهم اليهم لانهم لم يحتلوا البلاد برضاهم ولن يكون خروجهم منها كذلك · وقد وصل الانكليز اليوم الى الغاية التي سعوا اليها واخذوا يجنون من اعمالنا وتهورنا في معاداتهم ومعاكستهم ما كانوا يرجون من ثمار الاعذار لدى اوربا في طول نزولهم علينا ومكثهم بين اظهرنا واصبحوا يقولون للدول تعالي فانظري يا من تريدين اخراجنا من مصر واعلمي كيف يقابلنا سكان مصر في شؤون صحتهم

ووقاية انفسهم وكيف يعارضون حكومتنا في حياطتهم وتطهير منازلهم من ادران الوباء بل كيف يستقبلنـــا رجال الازهر انفسهم وهم ابناء العلم وطلبة الاداب والمعارف من رجم الحجارة والشتم الوبيل وكيف يضطروننا الى اطلاق الرصاص عليهم ودفع الشر بالشر معهم واحكمي بعد ذلك يا اوربا هل نقدر ان نخرج من مصر وهل نأمن على ارواح الناس فيها من طائلة الوباء فقط ان لم نقل من سواه

لعمرك اليس ذلك حجة دامغة تقوم بها انكلترا لدى الدول او ليس العمل الذي يقوم به بعض اخواننا الوطنيين في الاسكندرية ومصر وهو عين الخدمة للانكليز في مآربهم وعين المضرة والوبال على البلاد التي يحبونها ويريدون انقاذها من القيد والاحتلال . افلم يكن الاولى بالجرائد التي تثير هذه النار وتزرع هذا الشقاق والعصيان من كف خفي وهي تزعم انها تحب الاوطان وتغار عليها ان تعدل عن هذه الخطة العوجاء التي لم نجن منها غير العوج والضلال ولم تكن نتيجتها على السكان الا شقاقاً وعصياناً تزيد به مسافة الاحتلال ويثقل به نير الاجانب على الامة والبلاد . واذا قضت بذلك غايات الجرائد ولم يكن من انفاذ مآربها او اخذ اجرتها من محيص افلا يكون من باب العقل والحكمة لمواطنينا المتمدنين الادباء ان يقفوا من اقوالها على القراءة فقط وان يرجعوا بعد ذلك الى انفسهم ويعلموا انهم لم يتبعوا تلك الاقوال الى اليوم الا عادت عليهم بالفشل والخذلان . تلك نصيحة خالصة نعرضها من قلوب مخلصة الى من يخدمون بافعالهم الانكليز ونريهم بالبرهان ان خدمتهم كانت عليهم

لا لهم لم يستفيدوا منها شيئًا ولا افادوا بها الوطن العزيز

كيف تعظم العقول

شبه احد شعراء الانكليز اعمال الانسان بالنجوم وشبه حياته بالنهار وموته بالليل وقال كما ان النجوم لا تظهر الا في الليل فكذلك اعمال الانسان لا تظهر الا بموته وهو تشبيه حسن صائب وقد قال العرب مثله بمعناه ومنهم العلاَّمة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي اذ قال

لا يحمد القوم الفتى الا متى　　مات فيعطى حقه تحت البلى

على ان هذا الاتفاق الذي بيننا وبينهم انما هو اتفاق في القول فقط وليس له الا اثر قليل عندنا وعندهم كل الاثر والحقيقة فقد مات بالامس المستر غلادستون عظيم انكلترا ووحيدها فعرف الناس حقيقة مقداره بموته وتبين لهم صدق ذلك التشبيه اذ ظهرت نجوم اعماله في ظلمة موته واتسع مجال القول فيه من وراء لحده الضيق وليس من غرضنا الان ان نذكر اعمال غلادستون وحقيقة مجده فان ذلك مما ستنشأ له الكتب الكبيره ويودع الدفاتر الكثيرة لان غلادستون كان اكثر من رجل واكبر من انسان ولكن اي الشيئين اهم واعظم العين التي تبصر الحسن فتستحسنه ام الحسن نفسه · تلك حال لا يمكن الحكم فيها ولا يصح الا بتوزيع الفضل على فريقي الناظر والمنظور وهو ما يوصف به الانكليز والمستر غلادستون او غلادستون وكل امرىء معجب به بل اذا كان غلادستون ذا فضل عظيم لانه فرد

اعجب شعباً كبيراً فالشعب مع ذلك اعظم منه لا لانهم عرفوا فضله بل لانهم هم الذين انشأوا له هذا الفضل ودلوه على طريقه

ذلك لان هذا الرجل العظيم لم يكن عظيماً في بدء امره ولا تمكن منه الفضل والعلم في حين انتشائه بل كان يحسن فيجد من يعرف له حسنته فيزيد عليها ويخطب فيلاقي من يسمعه ويثني عليه فيزداد بلاغةً وجرأةً وكان ينبغ امامه عظماء الناس فيرى كيف يكون الثناء عليهم فيقلدهم وينظر ماذا كان ثوابهم وجزاؤهم فيسعى للحصول على ما حصلوا بل كان يرى امثاله من الافراد يدرجهم الموت فيرفعهم الثناء المؤبد وتطويهم الالحاد فتنشرهم التماثيل المخلدة فكان يتحقق ان جزاءه سيكون كجزائهم فيجد لان ينال ما نالوا فالثناء والجزاء هما اللذان اوجدا غلادستون وليس هو الذي اوجدهما

ذلك هو السر الذي يعلو به عظماء الافرنج واكابرهم وليس السر في نفس عظمتهم الفطرية وجودة عقولهم الاصلية فان العقل موجود في كل راس كما توجد النار في كل حجر ولكن يقتضي للنار المعالجة لتظهر ويقتضي للعقل المزاولة والنشاط لينمو وارض اوربا لا تنبت الرشد ولا جوها يجيد العقل ولكن العقل ينبته الرأس ويجيده ثناء الناس والافرنج انما كانوا مثلنا جهلاء فاجتمع جهلهم المتفاوت فبرقت منه بارقة الرشاد فاستناروا بها وعرفوا الحيلة على العقل فعالجوها ولقد كان يصح ان يكون من رجالنا اعظم من غلادستون عقلاً واوفر من غيره رشاداً ولكن لم يعرف منا احد من هو صاحب ذلك العقل فيهيئ له منزلته ويدل غيره عليه ولا استطاع صاحب ذلك العقل الناشيء ان ينير تلك الظلمة الكثيفة ولا احتمل

مصباحه الضعيف هبوب تلك الارياح المتتابعة فانطفأ فنحن اذن نميت العقول الموجودة واما الافرنج فيخلقونها من العدم وينيرونها وهي في الظلمة وان عندهم لمدرستين مدرسة يتعلم بها الانسان من الكتاب ومدرسة يتعلم بها الانسان من الانسان وهذا غلادستون وامثاله قد تعلموا من تلك المدرسة الثانية وكان اساتذتهم بها من تقدمهم من انماطهم واشباههم مثل كرومول وبالمرستون وبيكونسفليد وغيرهم من رجال اوربا المخلدين وكانت كتبهم الشهرة والعظمة وجوائزهم الثناء والشكر بل المال الوافر والنعيم الحقيقي ثم ان الافرنج يموت العظيم بينهم فيكون بعده عظماء مثله فلا ييأسون لموت احد ولا يتفرّد في بلادهم احد بل يموت الشاعر العظيم عندهم حتى يظنوا ان لا يكون بعده مثله يتنعم بثنائه ويثاب بجزائه ولكن لا يلبث ظنهم هذا ان يسوق غيره حتى يصبح مثله طمعاً بان يكون له ما كان لسلفه . واما نحن فتسمح عندنا الطبيعة برجل فرد يفلت افلاتاً من بين ايديها ثم يموت فلا يخلفه احد الى الابد فهذا المتنبي قد مات فلم يخلفه مثله ومضى الزمخشري وابن سينا وابن رشد والهمذاني فلم يأت نظراؤهم ذلك ليس لانهم اوتوا من العقل ما لم يؤته غيرهم وان الطبيعة ولدتهم ثم عقمت من بعدهم فان الناس مثل النبات يحصد فياتي مثله ومثل الغصن يفرى فينبت على اثره الاملود بل كان ذلك لان الناس بعدهم يئسوا ان ينالوا منالهم لو كانوا مثلهم فلم يجتهدوا ورأوا نجدة الرجاء غير موجودة فرجعوا على رغم عقولهم وانخذلوا على قوة افهامهم . يقولون من المستحيل ان يجيء مثل المتنبي وانه انسان فوق الناس وقد وهبته الطبيعة حقيقة الشعر ثم ماتت على اثره ولكن الحقيقة

ان الذي مات هم امثال سيف الدولة الذي كان يجازي المتنبي كل عام بثلاثة الاف دينار وهو قدر قد لا يناله اعظم الوزراء في زماننا ولا يوجر به اكثر الرجال جهداً واقداماً فهاتوا مثل سيف الدولة وخذوا امثال المتنبي وهاتوا مثل عصر الرشيد والمأمون وخذوا عشرات من مثل من كانوا في ذلك العصر بل اقيموا الان في شوارعنا وساحاتنا تماثيل وقبباً لعظائنا السالفين ولو تمثيلاً وهمياً ونحن نضمن لكم انه يكون عندكم مثلهم واعظم منهم يطمعون ان يكون لهم تماثيل على الاقل بعد وفاتهم . كل ذلك لا يوجد له اثر في بلادنا حتى بالتوهم والذكر بل غاية ما عندنا الاسف على عظائنا الماضين وحسد جيراننا الافرنج الحاضرين

ثم ان جزاء الافرنج لا يقتصر على عرفان اقدار الموتى ومكافاتهم بحسن الذكر والتخليد حتى يقلدهم من بعدهم بل يكافئون الاحياء ويتبعون خطاهم فان ثمن سطر واحد كان يكتبه ستانلي بعد رحلته الافريقية يبلغ ثمن كتاب كبير عندنا يؤلفه صاحبه بسنين ومثل ذلك كان لنانسن الرحالة القطبي . بل هذا الرحالة اندريا الذي تلا نانسن في العام الماضي «١٨٩٧» فانه تاخر عن ميعاد رجوعه مدة قصيرة فاضطربت لتاخره اوربا كلها وقامت دولتا روسيا واسوج العظيمتان تستطلعان اخبار ذلك الرجل وتنفقان لمعرفة حاله الاموال الطائلة وترسلان البعثات العظيمة لانقاذه فمن الان من رجال اوربا لا يخاطر بحياته لاستثبات حقيقة وهو يعلم ان وراءه دولاً باسرها وانه اذا رجع حياً كانت له حياة الهناء والنعيم واذا مات كانت له حياة الابد

هذه هي المدارس التي انشأت غلادستون وتنشيء كل يوم امثاله فهاتوا لنا قسماً منها ولكم منا ما تشاؤون لمن تشاؤون

الحقيقة ومصر

اعتادت اكثر الجرائد في هذا القطر ايهام قرائها بغير الواقع والضرب بهم في مفاوز الحدس والتخمين من وراء الحقيقة بمراحل سعياً في تأييد مذاهب لها وجرياً وراء غاية شخصية تنالها من شخص او اكثر وتترك سواه من القراء الذين يعدون بالمئات في تيه بعيد عن واقع الامر ووجه المراد٠ مثال ذلك انك تجد الجريدة الواحدة من جانب تؤيد الاحتلال وتدافع عنه وتستبعد كل انجلاء عن القطر وتغالي في بقاء الانكليز عليه ورضى الدول عنهم فيه وانهم قد ملكوا البلاد او كادوا ولا يخرجون منها ابد الدهر. ثم تجد الجريدة الاخرى من جانب آخر تطعن على الاحتلال وتقرب ايام انقضائه وتعد قراءها بقرب انجلائه حتى يذهب ببعضها الوهم وحب التغرير الى القول بان الانجلاء سيكون في شهر كذا ويوم كذا وان المسألة المصرية جنين في احشاء الايام قد اصبح في شهره الثامن اي يولد بعد شهر تعني في اكطوبر (وما ابلغ هذه الاستعارة وما افصحها) وان اخراج الانكليز من البلاد اصبح على طرف اليد وادنى من قاب قوسين وما جرى هذا المجرى من عبارات الايهام والتضليل٠ وقد اتخذوا الدول في ذلك لعبة يلعبون بها وسياستهن آلة يديرونها كيف

شاءوا وشاءت الاغراض والغايات ويستخدمونها حيث يميل بهم هوى النفس وتدعوهم عوامل المذهب والنيات فيقول بعضهم ان فرنسا ستفعل كذا وتامر بكذا ثم ينتهي امرها الى اخراج الانكليز من مصر ويقول البعض الاخر ان الروسية قالت كذا ونوت سياستها على عمل الشيء الفلاني وان ذلك سيؤدي الى بقاء انكلترا في احتلالها والاتفاق معها على غيره من مسائل الشرق والاستعمار حتى يخيل للقاريء ان الدول قد اصبحت لعبة يديرها قلم الكاتب وخادماً تأمره الجرائد وتنهاه وسفينة تائهة في بحر السياسة تهديها وتضلها عوامل الاقلام وان الدنيا اصبحت محوراً يدور على يراع الصحافة وآراء اصحابها وكتابها وكل يحاول ان يميل بها الى قصده ويستخدمها في الغاية التي يريدها وقد فسد القياس وضاع البرهان

ولا يخفى ان مصر قد خرجت اليوم من سابق خمولها وتعلقت على اذيال العلم والمعارف وعادت على ما اندرس من ربوع الحقائق تعيد معالمها وتشيد مدارسها فهي اشبه بالمتعلم السائر في طريق الادب النازع الى اقتباس العلم وتحصيل فوائده ولذلك كانت في اشد الحاجة الى بيان الحقائق كما هي مجردة عن الاغراض والغايات والاشتغال بالجواهر منزهة عن العرض والوهم لتتم طريقها الى قمة العلم وذروة المدنية والكمال بلا معارض يوقف سيرها ولا تمويه يخلط عليها سبل التقدم والارتقاء ومتى بلغت هذه الغاية من شوطها البعيد ووصلت الى الصميم الذي تريد النزول فيه من منزلة المعارف والاداب واصبحت كالامم الاوربية في

تمام حضارتها وعزة مدنيتها وعلمها هان عليها التمويه والتضاليل ولم يضرها شيء من الاغرار والايهام لانها تكون قد وصلت الى الحقائق الخالصة واصبحت قادرة على تمييز الحق من الباطل والصواب من الخطاء وكان اختلاف الجرائد وتباين الكتاب بمثابة فكاهة لها تقرأها متفكهة ملتهية وهي عارفة بما وراءها من حقائق الامور كالرجل العاقل ينظر بما يجري حوله من ملاعب الاولاد في اوقات الفراغ ثم يعود الى حقيقة شغله من اعمال الرجال

اما الان ومصر في مهد حضارتها واول ميدانها (ونريد بمصر السواد الاعظم من عامتها وسكانها) فمن الجريمة تضليل العقول فيها وستر الحقائق عن ابنائها وتعليق القلوب بالمحال من مستقبل خوفها ورجائها بل ان الجريدة الحرة الصادقة الخادمة للوطن واهله هي التي تروي لهم الواقع على علاته وتترك التحزب والاغراض في سبيل فائدة من شخص او رتبة من دولة اي هي التي لا تقطع املهم من الجلاء كما تفعل بعض الصحائف الحاضرة ولا تعين لاملهم اجلاً للاحتلال كما تفعل سواها بل تروي لهم حقيقة الحالة كما هي مع ما يقبله العقل على براهينها ويرضي به الطبع السليم من المقدمات والاقوال والله الهادي الى الصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل

السوريون في مصر

هو موضوعٌ جليلٌ تكلمت فيهِ الجرائد ملياً من امد غير بعيد اي من يوم نشأت مسألة الوطنية المصرية على يد بعض الوزارات السابقة الا ان هذه الجرائد لم تخرج فيه عن حد الكلام ولم تتجاوز بيان ما للسوريين النازلين في مصر من حق الوطنية المصرية بعد مرور المدة المعينة لوطنيتهم في قانون البلاد والمطالبة بهذا الحق لهم ودعوة اهل القطر الى مساعدتهم فيه دعوة الاخاء والاخلاص · حتى كانت هـذه الايام الاخيرة نخرجت هذه المطالبة من حد الجرائد واقلامها الى حد المحاكم وقضاتها ونهض بعض الوجهاء من السوريين القاطنين هذه الديار من سنين عديدة تفوق قانون الوطنية المحدود فانتدبوا حضرة الخطيب البليغ والمحامي البارع الشهير نقولا افندي توما الى ان يرفع دعواهم لدى القضاء ويطالب لهم بما تأباه الحكومة عليهم من حقوق الوطنية والانتخاب في شورى القوانين وغيرها كما ينتخب سواهم من اعيان البلاد بحجة انهم وطنيون مصريون بطول سكناهم في مصر وبما خولهم اياه القانون من حق تلك الوطنية العادلة التي يطالب بها كل غريب في كل بلاد اجنبية بعد انقضاء المدة المعينة له فيها وينالها حقاً واجباً لا مراء فيه فكيف بنزلاء مصر من السوريين وهم اخوان اهلها في الجنسية واعوانهم في الجوار وشركاؤهم في اللسان واصحاب اكثرهم في الدين بل هم اخلاطهم في

التابعية وامثالهم في الرعاية العثمانية التي نرى المصري احرص الناس عليها واكثرهم مجاهرة بها واقربهم انتماء اليها بما يتقرب اليه من جانب الخلافة العظمى وبما يفاخر به من التابعية والاخلاص لجلالة امير المؤمنين ويجهر به في جرائده ومجالسه من الدعاء للعرش الحميدي والتمسك باهداب الدولة العثمانية · فاذا كان ذلك اعتقاد اخواننا الوطنيين في دولتهم وجلالة سلطانهم وتلك اميالهم اليها وشدة علائقهم بها وكرههم للابتعاد عنها وتكذيبهم لكل من يتهمهم بانفصال بلادهم عن احكامها وكان السوري كما يعلمون من رعية دولتهم واتباع خلافتهم والمطيعين لاوامر حكومته وحكومتهم المخلصين في خدمة بلاده وبلادهم فما بالهم يقفون عند هذا الحد ولا يعتبرون السوري منهم كما اعتبروا انفسهم منه ولا يعدونه داخلاً في حكومتهم كما يعدون انفسهم داخلين في حكومته وتحت اوامر دولته وسلطانه وهو انما يريد ان يكون منهم مثلما هم منه وان يتقرب اليهم بالوطنية المصرية كما هم يتقربون الى مولاه بالتابعية العثمانية فاذا كان لهم حق في ان يأخذوا من الدولة العلية وسام تابعيتها فلماذا لا يعطون السوري ما له عندهم من حق تلك التابعية والوطنية بل كيف يتقدمون الى الدولة عند اخذ تلك التابعية العثمانية ثم يتأخرون عنها عند اعطاء مثل ذلك الى ابنائها العثمانيين اي اخوانهم في الجنس والجوار واللغة والدين

وفوق ذلك فان مصر قد فرضت على نفسها في نص قانونها ان تعطي وطنيتها المصرية لكل سوري يقيم فيها عشر سنوات وهو عهد قد اخذ

عليها بلسان الامة كلها التي هي في عرف التمدن الحاضر صاحبة القانون والبلاد فكان من واجب عدالتها ان تفي بهذا العهد الذي جعلته عليها في قانونها وكان من واجب رجالها وافرادها بما عهد في الامة المصرية من مكارم الاخلاق وحسن الجوار والائتلاف ان يتلقوا اخوانهم السوريين اعوانًا لهم على احوالهم وشركاء لهم في سرائهم وضرائهم كما هم شركاؤهم في متاجرهم واموالهم واذا كان بعض الجهلة يكره السوريين عن جهالة وحماقة بذنب بعض الافراد منهم من اصحاب الجرائد والاقلام فان السواد الاعظم من عقلاء البلاد لا يعتدون بهذا الذنب الافرادي ولا يأخذون الجماعة بجريرة الاحاد بل هم يعتبرون الاجنبي عنهم ويكرمون الغريب عن جوارهم ولغتهم وتابعيتهم فكيف لا يكرمون السوري الذي هو اليفهم ونزيل ديارهم وله عندهم حق الجوار وشفعة الاقامة ووصلة الخدمة ووسائل الالفة وشراكة الوطنية والاميال

ذلك ما نعهده في اخواننا المصريين وما نحب دوامه بينهم وبين السوريين من الالفة والتعاون وحسن الاجتماع وذلك ما نرجو ان يجاب السوري اليه من اشتراكه في الوطنية واجابة طلبه في حقوق التابعية المصرية ولا سيما وهو يطلب ذلك بنفسه ويسأل خدمة الوطن المصري بذاته ويعرض على الامة الوطنية اخلاصه لها وحسبانه من افرادها وابنائها وكل امة في الدنيا تطلب ان تكون اكثر مما هي وان تزيد مجموعها بما تضم اليها من الاجانب والغرباء فكيف لا تسر مصر بهذا المزيد عليها من قوم هم ابناء جنسها وهم الطالبون الانتماء لها والانضمام

اليها لا طمعاً بنيل تابعيتها فان التابعية العثمانية تشمل الجميع في كل مكان ولكن حباً بخدمتها والاشتراك مع اهلها في حبها ورفعة شأنها وحب الوطن من الايمان

الجلاء عن مصر

مضى على الاحتلال الانكليزي اربعة عشر عاماً يظن البعض فيها كل يوم انه صار في آخره وهو لا يزال كأنه في بداية امره من التثبت والتمكن وقد اتى على الجرائد كل هذا الحين من الدهر وهي منقسمة فيه بين قائلة ببقائه وهي القليلة النادرة في هذا القطر وبين منادية بوجوب زواله وانقضائه وهي الكثيرة المستفيضة بين ايدي القراء حتى قامت تسعدها اقوال الخطباء في هذا العهد ونهض بعض فتيان الوطنية يرقون ذروات المنابر ويقرعون آذان القوم بزواجر الخطاب والتنديد والتهديد وكلهم لا برهان لهم على اقوالهم ولا حجة يؤيدون بها مطالبهم سوى قولهم اننا نريد الانجلاء عن بلادنا ونطالب بحرية الاحكام بين رجالنا ونرغب ان تعود مصر الينا واننا اهل لها وهي اهل لان تحكم نفسها بنفسها وان تعد بين الطبقات العالية من بلاد التمدن والعمران ولكنهم لم يأتوا على هذه المزاعم ببرهان واحد ولا اظهروا لسامعيهم وقرائهم صحة هذه المطالب بحجة واحدة يصح السكوت عليها غير قولهم اننا نريد ذلك وهم لا يعرفون حقيقة ما يريدون

ولا يخفى ان كل بلاد متمدنة عامرة حرة انما تقوم بامور ثلاثة لا ندحة عنها لتمام العمران والحرية والاستقلال وهي الزراعة والتجارة والصناعة فاذا اخذنا الزراعة في مصر هل نجدها كغيرها من بلاد اوربا المتمدنة التي هي ذات حق بالافتخار والمباهاة بما وصلت اليه من امور زراعتها واتقان اغراسها ومد الخلجان والترع في انحائها واستثمار كل بقعة صخرية من بلادها الجبلية الوعرة فضلاً عن غيرها من سائر البقاع بل اين التفنن في زراعتنا والعناية بمغروساتنا والاختراعات الجديدة في استثمار ارضنا والهمة العظيمة في ايصال مياه النيل الى كل بقعة من بلادنا بدلاً من ان يذهب ماؤه جزافاً وينصب في البحر مالاً ضائعاً وحياة مهدورة بل اين الاختراعات العظيمة والتسهيلات الجديدة التي تحرث بها الارض في زمن قليل ويخرج بها المحصول نقياً صالحاً للاستعمال في اقل من ذلك كما هو العهد في زراعة اوربا وتفنن اربابها في كل معنى زراعي مفيد

واذا اخذنا التجارة في بلادنا هل نراها كغيرها من تجارات اوربا المتمدنة العظيمة ذات الحق بالحرية والاستقلال والفخر بما بلغته من امتداد المتاجر وسعة المصادر والموارد وربط انحاء العالم بالسلع والبضائع بل اذا اخذنا التجارة في نفس بلادنا الداخلية هل نجد منها شيئاً في غير ايدي الاجانب الغرباء الا النزر اليسير . وهذه ادارة الجمارك عندنا يقدر ان يزورها كل انسان ويرى كم فيها للوطني بل هذه اسواق المدائن عندنا يرى الناظر فيها كم للاجانب من محلات

التجارة وموارد الكسب والارتزاق وكم للوطنيين بينها من هذا القبيل الا اذا كانت حانوت عطار او دكان سمسار وفيما سوي ذلك فان التجارة كلها في يد الاجنبي يأخذها منا بماله ويصدرها الى بلاده ويستوردها بعد ذلك من عملائه وينشيء لها المعامل في وطنه وياخذ منا الدينار درهماً ويرد الينا الدرهم قنطاراً واموالنا بين ذلك ذاهبة في لباس نستجيده وهو صانعه وحلية نزدان بها وهو الكاسب منها وقطن نبيعه وهو الرابح فيه ومركب نشحنه الى بلاده وهو صاحبه وآخذ الاجرة عليه وحانوت نبنيه وهو يستأجره وينتفع منه ونحن وقوف نتفرج على التمدن وآثاره ونرى باهر اعماله ونقول اننا قد تفرجنا على التمدن فنحن اذن متمدنون وقد رأينا كيف يكون العمران والاستقلال في البلاد الاوربية فنحن على ذلك مطلقون مستقلون وقد كفانا ان تفرجنا ورأينا فصرنا خيراً من الذين لم يروا ولم يتفرجوا وما رآءٍ كمن سمع . ونعم نحن خير منهم ولكننا لم نصل بعد الى درجة الاوربيين واذا لم نصل الى ذلك فلم نحصل بعد على شعائر وعواطف مثل عواطفهم ونهضتهم في سبيل العلاء واذا لم نحصل على ذلك فلا نستحق ان نكون مثلهم في طلب الحرية والاستقلال والادعاء بالعمران والمدنية ادعاءً بلا حجة ولا برهان

واذا اخذنا الصناعة اخيراً وهي رأس الحاجات واول الضروريات فهل نجد بين ايدينا منها اثراً مما هو للاجانب في بلادهم . فاين معاملنا واين اختراعاتنا ومناسجنا واين مصانع الحديد والآلات عندنا بل اين

المتقن لصناعة بسيطة من قومنا الا النزر القليل الذي لا يعتد به واين النجار الماهر والخياط البارع عندنا الا ان يكون من الاجانب النزلاء . وابناء الوطن انفسهم يعرفون ذلك وكل واحد منهم يشهد هذه الشهادة ويعرف هذا النقص ويشعر بالحاجة القصوى التي نشعر بها لهذا الكمال . واذا تركنا كل ذلك واستغنينا عنه باوربا وقلنا لنا في مصنوعاتها واختراعاتها غني عن امثالها عندنا فاين وسائطنا الادبية واين ائتلافنا الجنسي واين علومنا ومعارفنا واين الرابطة القومية بين ابنائنا واين الغيرة الوطنية التي تفتح المدارس وتسهل سبل العلم والعرفان علينا وتقرب افهامنا من افهام مناظرينا الذين نحاول ان نتشبه بهم ولكن في الازياء ونقول اننا مثلهم في المدنية والعمران وواجب الاستقلال ولكن على سبيل الادعاء

فاذا عرفنا كل ذلك ووجدنا ان لا صناعة ولا تجارة ولا زراعة كاملة متقنة في بلادنا وشعرنا ان لا رابطة ادبية ولا صلة علمية ولا معرفة عامة بين افراد قومنا كما نرى بين افراد القوم الذين نتحداهم وناخذ عنهم فكيف يصح لنا ان نطلب الاستقلال في حكومتنا ونحن غير مستقلين في انفسنا ومنازلنا وملابسنا وسائر حاجاتنا بل كيف يجوز لنا ان نطلب خروج الاجنبي عن احكامنا ونحن لا نستطيع ان نخرجه من دواخل بيوتنا ولا ان نستغني عنه في ابسط حالاتنا وادنى طبقات المعيشة عندنا أليس كل ذلك غرورًا يوقع النفرة بيننا وبينه ونحن ضعفاء وهو قوي وناهيك بها نفرة وعداوة وناهيك بما نصير اليه من الاضرار وعلى من تقع تلك الاضرار . ألم يكن الاولى بنا ان نصلح داخلنا ونعرف مقادير

انفسنا ونسعى في اصلاح منازلنا ثم نسعى بعد ذلك في اصلاح مدائننا ومن بعدها في اصلاح قطرنا باسره واخراج الاجانب منه . تلك كلمات حقيقية نسوقها الى ابناء وطننا انهاضاً لهممهم واعلاءً لكلمتهم وجمعاً من شتاتهم واصلاحاً لداخل احوالهم ورغبة في تعميم العلم والمعارف بينهم وتحريضاً لهم على مساواتهم الاجنبي في نفسه قبل ان يساووه في حكومته حتى اذا طلبوا الاستقلال ونادوا بالحرية وجدوا من انفسهم معيناً ومن كفاءتهم واستغنائهم ناصراً ومن علمهم ومعرفتهم ظهيراً قوياً يغنيهم عن استنجاد اوربا او يجعل اوربا ذات حق في نصرهم ونجدتهم فان من ليس معه يؤخذ منه والذي معه يعطى و يزاد

المرأة والولد

تكلمت بعض الجرائد الباريسية في هذه الايام كلاماً مستفيضاً عن الامومة وعلاقتها بالوالد والوالدة في هذا العصر الذي كثر فساده وتعددت مذاهب الزواج فيه بين خليلة وحليلة بينهما في الحقيقة فرق كبير وان لم يكن بينهما في الوضع الا نقطة يقول البعض انه لا ينبغي ان يحاسب عليها . وقد راينا في هذا المعنى كلاماً لاحدى الكاتبات الباريسيات نشرته في جريدة النساء نلخص منه ما ياتي ببعض تصرف قالت

ان هذه المسألة التي نتكلم الان فيها تتعلق من طرفيها بنقطتين مهمتين هما الولد والوالدة والمقرر في عرف الجمهور ان الولد ما دام طفلا لا يقدر

ان يفيد بلاده ولا ان يستفيد من مدارس الحكومة ومحلاتها الخيرية المجانية التي جعلتها للتربية والتهذيب

فالوالد والوالدة كفيلان بحياته على السوآء لانهما اشتركا في ولادته جميعاً ومنهما انقدحت شرارة هذه الحياة التي تلزمها كفالتها والحرص عليها كما نصت عليه شرائع الزواج وقوانين المجتمع الانساني . واذ قد اتضح ذلك فما بالنا نرى الحكومة قد خصت بقانونها الام فقط وجعلت السوءال عنها والطلب قاصراً عليها وانها اذا وجدت طفلاً لقيطاً في مكان كان اول ما وجهت سعيها الى البحث عن امه والزامها به بل اي عدل يراه الوالد في هجران الوالدة بعد ان يستولدها طفلاً واي انصاف يجيز له ان يستحسنها وهي وحدها ثم يكرهها متى ولدت وجاءت له بمن تلزمه كفالته وضمانة حياته

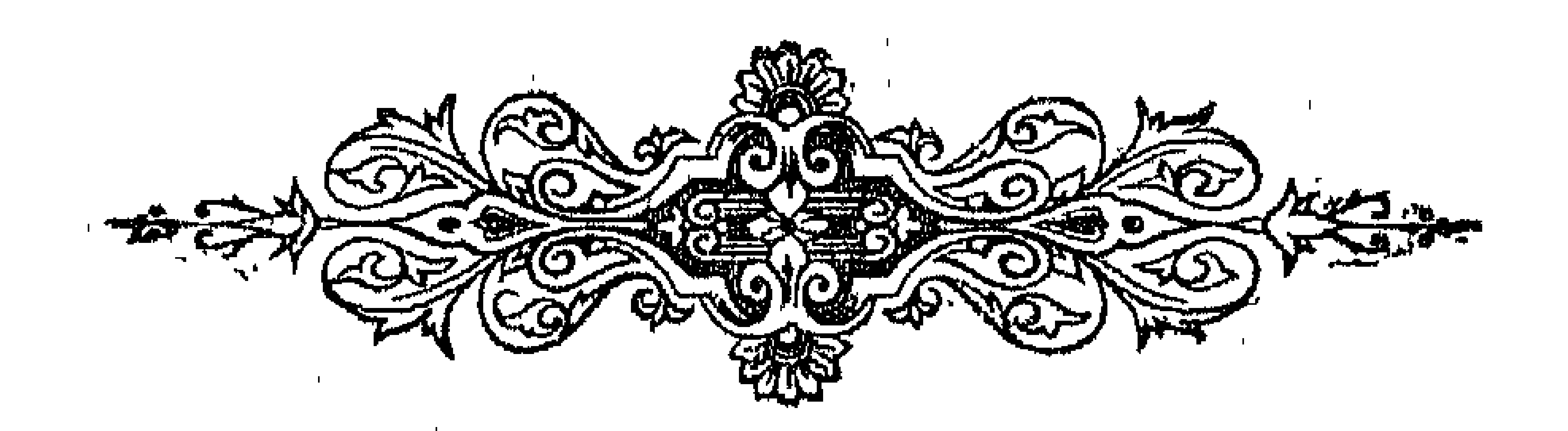
وما ننكر ان ذلك قد يكون احياناً من غير قصد وان الوالد يضطر لان يهجر المرأة خليلته لاسباب ماسة ودواع موجبة او يكون لا يعلم بما جنى من ولادة ذلك الطفل ولكننا نذكر انه يوجد في الحكومة قانون يقضي على من اتلف شيئاً سهواً او سبب ضرراً من غير قصد ان يعوض للمتضرر عوضاً نظير اتلافه وضرره . اما الاب فيقدر ان يحدث مثل تلك المضرة بعينها ويجلب على المرأة حملاً ثقيلاً من قبل حمله الى ما بعد وضعه ثم لا يجد قانوناً يلزمه بما جنى ولا شريعة تقضي عليه بالتعويض عما اتلف اللهم اذا قالوا ان عدم هذا القانون عقاب للمرأة على تهورها وتماديها وتسليمها نفسها للمعاصي وعند ذلك الا يكون الرجل الذي اغراها مذنباً ايضاً او لا يجب ان يكون وضع مثل هذا القانون عليه عقاباً له مثل عقابها

بعدمه الان

هذا ما نقوله عن الرجل في الحقوق التي عليه اما المرأة في هذه الايام فقد اصبح قرانها عندنا على نوعين نوع شرعي بالزواج المعروف ونوع غير شرعي بالمحبة والتراضي وهذا الذي نضع كلامنا فيه . فان الرجل يرى الفتاة الحسناء فتعجبه و يستميلها فتسلمه شخصها وعرضها وحياتها يتصرف بها كيف شاء على وعد القران واتمام الاتصال بالزواج ثم لا يمضي عليهما قليل حتى تأتي ثمرة ذلك الوداد وتصبح تلك الفتاة اماً وعند ذلك يأتيها العاشق فاتراً والمحب نافراً ويقول لها انه يريد هجرانها وان لا علاقة بينه وبينها وانها حرة في نفسها تفعل ما تشاء فمنهنّ من تحمل مصابها بالشكر والرضى وتصرف تلك السحابة بوابل من الشكوى والخصام ومنهنّ من يعظم عليها الامر فتترك ولدها ملقى في الطريق وتذهب فتلقي نفسها في نهر فتموت او تأخذ سماً تنقضي به ايام شقائها ويأسها ويبقى الولد بعدها تحت رحمة الناس وايدي الشفقة او القساوة من ملتقطيه

وما اكتم عنك ايتها الوالدة الخليلة انك ذقت قبل هذا العذاب هناء وقبل ذلك اليأس املاً وغبطة وانك جنيت ثمرات الغرام يانعة من روضة الهوى وشربت كأس النعيم مترعة من كف الصبابة والهيام حتى ذهبت في سكرات من الحب تعادل ما تصبحين فيه بعده من يقظة اليأس وافاقة القنوط والحزن ولكن ما ذنب هذا الطفل الصغير واية لذة ذاقها في وجدانه ليلاقي في نظيرها اضعف ما تلاقينه انت من المصائب

والشقاء بعد هجرانك وابعادك . الا ينبغي ان يربى هذا الطفل حق تربيته وان يكون رجلاً يخدم قومه وبلاده . اتقدر المرأة وحدها على ذلك العمل من غير ان يعاونها الرجل وهل يكون من العدل ان يذهب الاب عن خليلته هاجراً فينفق امواله في المفاسد والملاهي الساقطة ويترك ابنه طفلاً بين انياب الاحتياج والفقر الشديد . اتريدون يا رجال العدل ان يكون علينا نحن معاشر النساء كل هذا الظلم الشديد ولا نشكو منه ولا نطلب منكم الانصاف . تلك هي الحقوق التي تطلبها المرأة من حكومتها وينادي بها الطفل في صراخه وبكائه عسى رجال الامر ان ينظروا في طريقة تكفل براحة الناس وتمنع عواقب الظالم ان لم يكن رقة لاصوات النساء الشاكيات فرحمة لصراخ الطفل البريء المظلوم



وقال يمدح

السلطان الاعظم والخديوي المعظم

(وهو محرر لجريدة السلام)

لقد عاد عصر العلم بعد انقضائه ... وجدّد هذا الطرس بعد امحائه

ولاحت شموس الفضل بعد افولها ... واشرق نور القطر بعد اختفائه

وفتح فيه العلم ازهار روضه ... وشاد عليه العدل عالي بنائه

وناداه صوت النصر من جانب العلى ... فكان صليل السيف رجع ندائه

فابى واكباد الاعادي خوافق ... لديه كخفق الريح حول لوائه

وعاهده الفتح القريب فلم يزل ... وفيا لديه ثابتاً في ولائه

تقاسم كل المجد بين سيوفه ... وبين ظبى الاقلام من شعرائه

فمن ذي يراع يزدهي بمداده ... ومن ذي حسام يزدهي بدمائه

ومن صحف خطت عليها يد العلى ... ومن صحف تبدو لنشر علائه

وقد زادت الايام فيها صحيفة ... «سلام» بها يهدى الى كرمائه

تباهي بعنوان السلام وتنتمي ... الى وطن كل العلى في انتمائه

بظل امير المؤمنين تفتحت ... كمائمها عن مدحه وثنائه

مليك حوى نوراً من المجد باهراً ... تودّ الدراري انها من ضيائه

وادرك ما بين السلاطين منزلاً ... رفيعاً يرد الطرف باهي سنائه

تقلد فوق السيف سيف مهابة من الله حد السيف دون مضائه
واظهر من نور الخلافة رونقاً لنا ما حكاه الدهر عن سلفائه
سليل بني عثمان لا زال ملكهم على الناس تجري الارض طوع قضائه
الا حبذا «عبد الحميد» وحبذا زمان تبدى فيه من خلفائه
ويا حبذا مصر التي ابتسمت لنا بانوار (عباس) العلي وبهائه
لقد ناب عن مولاه خير نيابة كما ناب بدر في الدجى عن ذكائه
امير تولى القطر والخطب مظلم فجلى دياجي الخطب نور ذكائه
وقام باعباء الامور يديرها بحكمة كهل في اقتبال فتائه
ومن كان من نسل العلي محمد فغير بعيد حقه من رجائه
اذا افتخر القطر العزيز ففخره بان قد غدا العباس من امرائه
فلا زال يرعى القطر دوماً ولا تزل مدائحه موصولة بدعائه

تذكار مصر

زُرْ ارضَ مصر وقفْ على ربواتها واحفظْ فؤادكَ من ظبي ظبياتها
وتوقَّ انفاسَ النسيم فانها ممزوجةٌ بالحب من غاداتها
ارضٌ كساها النيل زُخرُف وجهه واعار برد مياهه نسماتها
فبدت كان الارض وجه مليحة وكانها خال على صفحاتها
لله روضتها وقد حي الصبى اغصانها فحنت لها هاماتها
وتحدثت امواهها فوق الحصى توحي لطير اراكه نغماتها

والاوضُ من ظلّ الغصونِ كأنما ... نثرتْ دنانير على جنباتها
ولقدْ جلستُ الى الغزالةِ ساعةً ... غفلتْ بها عنا عيونُ وشاتها
واللحظُ ينطقُ والشفاهُ صوامتٌ ... لغةٌ تخطُّ عيوننا كلماتها
حتى اذا طفحَ الغرامُ ولم تعدْ ... كلمُ العيونِ تفي بوجداناتها
عاتبتها فتحدرتْ من جفنها ... دُرَرٌ وددْتُ اكونُ من قطراتها
ورنتْ اليَّ فقابلتها أدمعي ... فكأنها نظرتْ الى مرآتها
انَّ القلوبَ غصونُ اربابِ الهوى ... ومدامعَ الاجفانِ من ثمراتها
فاذا جرى فيها نسيمُ صبابةٍ ... نثرتْ ثمارَ الوجدِ من عبراتها
دمعٌ تراهُ مقلتي في خدّها ... ماءٌ ونفسي منه في جمراتها
ضدّانِ قد جُمعا به وكذا الهوى ... فيهِ السعادةُ مازجتْ آفاتها
لتكنْ كما تهوى الصبابةُ انني ... لا التقي فيها سوى لذاتها
تعذيبها عذبٌ يروقُ ورودُهُ ... عندي فكيف العذبُ من حالاتها
سكرَ الفؤادُ بها باقداحٍ من الـ ... احداقِ دارَ السكرُ في داراتها
يسعى بها قمرٌ لو انَّ نجومنا ... منه لكانَ البدرُ من هالاتها
فصفحتُ في سكري بخمرة حبه ... عمّا اساءَ اليَّ من هفواتها
هيهات ما الدنيا ليذكرَ ذنبها ... وسعادتي بلقاكِ من حسناتها
لقيا اخالُ الارضَ دارةَ درهمٍ ... فيها وكلّ العمرِ من ساعاتها
حتى لأحسب انَّ نفسي في ربى ... جناتها والخلدَ بعضُ حياتها
واظنُّ صرفَ الموتِ ألينَ جانباً ... من أنْ يكدّرَ بيننا خلواتها
واقولُ دعنا يا مماتُ وعجْ الى ... نفسٍ ترى راحاتها بمماتها

كم من نفوسٍ تشتهيك حزينةً ... تدعو وتبسط في الدعا راحاتها
فالى دُعاتكَ فاستجبْ كرماً ودعْ ... اهلَ الصبابة عنك في جناتها

مصر والمصريون

يا ارض مصر تحية وسلامُ ... وسقاك من صوب الغمام ركامُ
بل انتِ غانية عن المطر الذي ... يهمي فان النيل فيكِ غمامُ
نهرٌ تبارك ماؤُهُ فتكاد ان ... تمحى بطهر مياهه الآثامُ
ويكاد لو رشف العليل زلاله ... يشفى العليل وتذهب الاسقامُ
يحيي البلاد بمائه فكأنه ... الروحُ التي تحيي بها الاجسامُ
ان شابه كدر ففي اكداره ... صفو وفي فيضانه انعامُ
يجري على ارضٍ مباركةٍ كما ... تجري فتحيي الشاربين مدامُ
ارضٍ اذا لم يعلُ في ارجائها ... علمٌ فان كرامها أعلامُ
لبست من المجد التليد مطارفاً ... ولها من المجد الطريف وسامُ
وتعانقت والفخر من قدم كما ... قد عانقت الف الكتابة لامُ
مجدٌ به هرم الزمان ولم يزل ... غضاً وقد شهدت به الاهرامُ
هرمان زانا صدر مصر فاشبها ... نهدين زانهما سناً وتمامُ
نهدان كان الدهر يرضع منهما ... ان الزمان لمجد مصر غلامُ
ارض الفراعنة الذين بنوا لها ... في الدهر ما لا تبلغ الاوهامُ
بنيان عزٍ في السطور مخلدٌ ... وبناء مجدٍ في الصخور يقامُ

لا بدع ان بقيت مآثرهم فقد بقيت جسومهم وهنَّ رمامُ
جثث كأنَّ الدهر هاب مساسها او كان معها للزمان ذمام
يا حبذا ارجاء مصر وحبذا للزهو فيها مرتعٌ ومسام
الشرق هامٌ وهي مقعد تاجه والشرق جسمٌ وهي منه الهام
والشرق وجهٌ يزدهي بجماله بشرًا ومصر ثغره البسام
هي جنة الدنيا التي يجلى بها وجه الزمان وتبسم الايام
وحديقة العلم التي يزكو بها ثمر العقول وتنبت الاقلام
ان غاب بدر كمالها فيما مضى فاليوم عاد البدر وهو تمام
بدر جلته عشيرة علويةٌ فجلا به ظلم وزال ظلام
قومٌ اذا كتبوا اجاب يراعهم واذا هم ضربوا اجاب حسام
واذا هم ركبوا السبيل الى العلى فالعزم سرجٌ والذكاء لجام
قد سارت الايام تحتهم كما شاءوا الى ان ادركوا ما راموا
نامت عيون الناس تحت امانهم دهرًا وعين الدهر ليس تنام
ان كان قد لؤم الزمان بما جنى في ارض مصر فاهل مصر كرام
يلقون حد الحادثات بانفس يرتد عنها الدهر وهو كهام
من كل من يحيي الرجاء فؤاده صبرًا ويعصم صبره الاسلام
متواضعون على الجلال وانما عند التواضع يعرف الاعظام
كرماءُ قد الفوا الندى خلقًا فما لهمُ على غير الندى لوام
يتحملون الضيم عن نزلائهم وجوارهم والجار ليس يضام
شيمٌ من العرب الاكارم انها ما اورثَ الاخوال والاعمام

ارثٌ قد احتفظوا به ولطالما قد ضيعت ميراثها الاقوامُ
ولو انه ارث النضار لفرقت بدراته الفقراء والايتام
فخرًا بني مصرٍ فان فخاركم باقٍ على الايام ليس يرام
تهديكمُ الدنيا المدائحَ والثنا فهي الفواتح والسلامُ ختامُ

القمار

اكل نقيصةٍ في الناس عارُ وشرُّ معايب المرء القمارُ
هو الداء الذي لا برء منه وليس لذنب صاحبه اغتفار
تشاد له المنازل شاهقات وفي تشييد ساحتها الدمار
منازل كم اريق دم عليها وكل دم اراقته جبار
نصيبُ النازلين بها سهادٌ فافلاسٌ فيأسٌ فانتحارُ
قد اختصروا التجارة من قريب فعدمٌ في الدقيقة او يسار
وبئس العيش فقر مستديم يعارضه يسار مستعار
وبئس المال لا تحظى يمين به حتى تسلمه اليسار
كأن الزئبق الرجراج فيه يدور فلا يقرّ له قرار
يفرّ من البنان فليس يبقى لهم من اثره الا اصفرار
كأن وجوههم ندمًا وحزنًا كساها لون صفرته النضار
فبينا تبصر الوجنات وردًا اذا هي في خسارتها بهار
كأن المال بينهم نجومٌ ورقعة لعبهم فلك مدار

فبعض نجومها فيه سعودٌ ... وبعض نجومها فيه البوارُ
تراهم حول رقعتها قعودًا ... يدير عيونهم ورق يدارُ
عصائب لا يود المرءُ فيها ... اخاه ولا يراعي الجارَ جارُ
يلاحظ بعضهم بعضاً بعين ... يكاد يضيءُ اسودها الشرارُ
فتحسب ان بين القوم ثارًا ... ولا ثار هناك ولا نفارُ
ولكن جارت الاقدار فيهم ... ففي ابصارهم منها ازورارُ
كأنَّ عيونهم لما اديرت ... فراش حائم والمال نارُ
فهم لا يبصرون سواه شيئًا ... كساري الليل لاح له منارُ
وهم لا يعطفون على خليلٍ ... وليس يشوق انفسهم مزارُ
وهم لا يذكرون قديم عهدٍ ... وليس لهم سوى الامس اذكارُ
يذكرهم بما خسروه فيه ... وما كانوا عليه وكيف صاروا
كرب الثأر اقبل يبتغيه ... فزيد عليه فوق الثار ثارُ
ترى الحاظهم فتخال فيها ... خمار طلى وليس بها خمارُ
ولكن دارت الحسرات فيهم ... كما دارت بشاربها العقارُ
فكم غضبوا على الايام ظلمًا ... وكم حنقوا على الدنيا وثاروا
وكم تركوا النساء تبيت تشكو ... وتسعدها الاصيبية الصغارُ
تبيت على الطوى ترجو وتخشى ... يؤرقها السهاد والانتظارُ
فبئست عيشة الزوجات حزن ... وتسهيد وهجر وافتقارُ
وبئست خلة الفتيان همٌّ ... واتعاب وخسران وعارُ

بدء الهوى

ترى عندكم للحب مثل الذي عندي وهل وجدكم بي مثلما بكمُ وجدي
وهل شوقكم شوقي وهل في جفونكم كما في جفوني من دموع ومن سهدِ
وهل تذكرون العهد بيني وبينكم فان فوادي دائماً ذاكر العهدِ
رجعت الى سبل الهوى مُذ رأيتكم ولم ادرِ هل فيها ضلالي ام رشدي
واهديتكم قلبي على يد ادمع هي الرسل للعشاق تحمل ما تهدي
فلا ترجعوا ما قد اخذتم فانه هدية حب غير مقبولة الردِ
ولا تجزعوا من نارهِ ان نارهُ سلام وان كانت مؤججة الوقدِ
فيا مهجتي كوني لديهم قريرة فقد زال ما تشكينه من الم البعد
ويا جسدي قد نال قلبك ما اشتهى بهم فاسترح منه ومن الم الصدِ
ويا قلب ان رمت السعادة فيهم فمت ان موت الحب ضرب من السعد
خليليَّ ما للحب يستعبد الفتى وما للفتى في الحب اطوع من عبد
وما للهوى يغني فؤاد اخي الهوى ولو كان ذاك القلب من حجر صلد
تبارك خلاق المحاسن انه ينال بها ثأر الظباء من الاسد
يقلدها اجفانها ولحاظها فتسطو علينا بالحسام وبالغمد
سقيمة جفن راح قلبي يعودها ولم ادر ان السقم من جفنها يعدي
تتيه دلالاً ثم يغلبها الحيا فيبدو كحبات الغمام على الورد
يميل فؤادي من تثني قوامها وتندى جفوني من ندى ذلك الخدِ

فيا حسن ذاك الغصن يثني ويثنثي ويا طيب ذاك الورد يندى ويستندي
عرفت الهوى من يوم باشرني الهوا كأنا لدى الميلاد كنـا على وعدِ
فؤادي على مهد الهوى وفؤادها معاً غير انا مـا التقينا على مهدِ
ولم انسَ ليلاً ضمنا فيه مجلسٌ رقيق حواشي الانس مؤتلف الوفدِ
وقد مازجت كأس الطلا خمرة الهوى وطابت بلحن العود رائحة الندّ
ودارت كؤوس من جنى الكرم مزة فلم يكُ احلى من جناها جنى الشهد
يرصعها نظم الحباب بلؤلوء كما دار حول الجيد منتظم العقد
وبات فؤادي في الهوى ينشد الصبا وبات مغنينـا يغني على الرصد
ولا رسل الا اللحظ بيني وبينها ونحن سكوت لا نعيد ولا نبدي
كلام بلا نطق وعهـد بلا يدٍ وسمع بلا اذنٍ وشوق بلا بعـد
سطور هوى من ثغر حوآء انزلت على وجنة التفاح في جنـة الخلد
ولما دعاها آدم هزّه الهوى وانشد هذي ارث نسلي من بعدي
تراثٌ تولاه الكرام من الورى فما حرمت منه سوى مهجة الوغد
وقد قسمت بين القلوب سهامه فمن كل ذي لحظ الى كل ذي كبد
فيا لك من ليل محوت ظلامه بظالمة العينين عادلة القد
سقتني بعينيها الهوى وسقيتها ولم ادر اني قد سكرت بها وحدي
الى ان بدت كف الصباح براية تلوح على جند من الليل مسودّ
وغابت مصابيح النجوم كانما طفاها نسيم الفجر من فمه الوردي
فقمت وقـد سلمت للحب مهجتي وقضيت في شرع الهوى واجب الود
وقاسمت من اهوى فؤادي والهوى فكان فؤادي عندها والهوى عندي

الحب والخمر

لا تسألوا عن روحي البدنا ... ان كان من قتل الهوى فانا

ما حال من سلب الهوى دمه ... وفؤاده والصبر والوسنا

صدّوا فما تركوا له سكناً ... ونأوا فما تركوا له وطنا

كتم الهوى زمناً فباح وما ... اجداه كتمان الهوى زمنا

جارت عليه لحاظهم فشكا ... سرًّا وزادت فاشتكى علنا

قد كان يعشق ساكني دمن ... واليوم اصبح يعشق الدمنا

يهوى المساكن عند وحدته ... من كان يهوى بينها سكنا

وبمهجتي حسناء ما تركت ... في العين شيئاً بعدها حسنا

الحاظها للحب قد عقدت ... سوقاً فكانت روحي الثمنا

تركت فؤادي طائراً غرداً ... لما ثنت من قدها غصنا

يا حسن ليل قد خلوت بها ... فيه سوانا لم يكن معنا

والروض قد فاحت ازاهره ... تحنو علينا من هنا وهنا

كلمتها همساً فما نطقت ... الا بلحظٍ ان رنا فتنا

اوحى الى قلبي معانيها ... لكنها لم تدخل الاذنا

حتى انثنت والسكر يعطفها ... كالريح هزّ نسيمها فننا

كشف المدام عن الهوى فبدا ... واثار خافي الحب فاعتلنا

وسطا على اسرارها فحكت ... وازال خجلة طرفها فرنا

قالت اموت على هواك فلا ... تجمع عليَّ الحب والشجنا
يا برد ما قالت على كبدي ... لو كان يخلص في الغرام هنا
غزي الرقيب بنا واي هوى ... يصفو وقد غري الرقيب بنا
وافى فكدر صفو ليلتنا ... وسعى فكدر بعدها غدنا
ووشى فابعد قربنا حسداً ... وبغى فهدَّم بيننا وبنى
غلب الغرام على وشايته ... فينا فابعده وقرَّبنا
واعدت طرفي في محاسنها ... فلقيت ثم جناية وجنى
ورنت اليَّ لحاظها فتنا ... منهنَّ بين منيةٍ ومنى
ورجعت اذكر طيب موقفنا ... ولو ان في ذكرى الهناء عنا
وحلفت اني لا افارقها ... حتى تفارق روحيَ البدنا



﴿ فهرست ﴾

(تنبيه) حدث في الطبع بعض سقطات مطبعية وهي قليلة فضلاً عن ان صوابها مما لا يخفي على الفطن ولذلك لم نتكلف اصلاحها بجدول خاص

